الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
التخصص: الدراسات اللغوية
في ضوء التواصل الحضاري

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث الموسومة:

# «التواصل الحضاري وأثره في تطوير اللغة العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني»

أعضاء لجنة المناقشة:

| | | | |
|---|---|---|---|
| أ.د. أحمد دكار | أستاذ التعليم العالي | جامعة تلمسان | رئيسا |
| أ.د. عبد الجليل مرتاض | أستاذ التعليم العالي | جامعة تلمسان | مشرفا ومقررا |
| د. والي دادة عبد الحكيم | أستاذ محاضر "أ" | جامعة تلمسان | عضوا |
| أ.د. أحمد عزوز | أستاذ التعليم العالي | جامعة وهران | عضوا |
| د. عبد القادر بوعصابة | أستاذ محاضر "أ" | مركز جامعة النعامة | عضوا |
| د. كمال رقيق | أستاذ محاضر "أ" | جامعة بشار | عضوا |

**إعداد الطالب:**
أحمد بن عمار

**إشراف:**
أ.د. عبد الجليل مرتاض

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/ 2014-2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

# شـــكر وتـــقـــديـــر

أحمده سبحانه وتعالى على كريم فضله ومنه وأشكره على جزيل عطائه.

فاللّهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا.

وعرفانا بالجميل أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان، إلى شيخي الفاضل، وأستاذي الجليل الأستاذ الدكتور "عبد الجليل مرتاض" الذي أحاطني بحسن رعايته وتوجيهاته، حيث لازمني ملازمة الأستاذ لتلميذه، وملازمة الأب لابنه، وفي كل مكان وزمان.

و أدعوا العليّ القدير بكلماته التامات وأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يمنّ عليه بوافر الصحة والعافية، وأن يصبغ عليه نعمه ويبارك في عمره، فاللّهم أجزيه عنّي خير ما تجزي به عبادك الصالحين.

وأتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى جميع أعضاء لجنة المناقشة كلّ باسمه على تحمّلهم عناء قراءة هذه الرسالة، وأسأله جلّ في علاه أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

# إهـــــــداء

إلى:

- روح والدتي، فاللّهم جازها عني أحسن الجزاء، وأرحمها كما ربّتني صغيرًا.
- والدي الكريم.
- جميع أفراد عائلتي.

# مقـــــــدمـــــــة

**مقدمة:**

إنّ من أهم العوامل المساعدة على رقيّ الحضارات وتطورها تواصلها وتفاعلها مع بعضها بعضاً، انطلاقا من تبادلها جوانب الأخذ والعطاء في جميع المستويات المكونة للبناء الحضاري للأمم والشعوب. وخاصيّة التراكمية للإنتاج البشري بشقيّه المادي والمعنوي تلغي كلّ الحدود الجغرافية، والعرقية والعقدية واللغوية في الاستفادة من تبادل جوانب التأثير والتأثر بين جميع الأمم والشعوب على تباين ثقافاتهم.

فمن الصعوبة بمكان أن ترتقي حضارة ما بنفسها وبمعزل عن غيرها، لأنّ ما بلغته الحضارة الإنسانية في ميادين شتى هو نتاج جهد جماعي للبشرية كلها جمعاء ولا يقتصر ذلك على جنس بعينه. وكان للأمة العربية كغيرها من الأمم والشعوب جسور تواصل واحتكاك بالثقافات الأخرى استجابة لعوامل مختلفة، ونتيجة لذلك ، فقد كان الأخذ والعطاء.

وإذا كانت اللغة مقوِّماً من مقوِّمات الأمة العربية ،فمن تحصيل الحاصل أن تخضع لعوامل التأثير والتأثر في الاتجاهين السلبي والإيجابي، غير أنني سأقتصر على هذا الأخير و مدى انعكاساته على ا للغة العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني في هذه الرسالة. وبناء على هذه المعطيات وقع اختيارنا على " التواصل الحضاري وأثره في تطوير اللغة العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني"، وهو العنوان الذي تناولت فيه ما نتج عن علاقة التواصل الحضاري باللغة العربية من جوانب إيجابية على هذه الأخيرة في الفترة الزمنية المحدّدة تماشياً مع مقتضيات هذه الرسالة. ولعل أهميته في نظري تكمن في جدلية علاقة اللغة العربية بالتواصل الحضاري في مرحلة ازدهر فيها نشاط البحث اللغوي العربي، وعرف كذلك توسع وكثافة العلاقات في مجالات متعددة بين العرب والشعوب الأخرى .حيث تناول هذه المسألة ثُلَّةٌ من علماء اللغة من أبرزهم حسن ظاظا في "كلام العرب من قضايا اللغة العربية"، رمضان عبد النواب في "لحن العامة والتطور اللغوي"، أحمد مختار عمر في "البحث اللغوي عند العرب".واجتمعت عوامل عدة جعلتني أختار هذا الموضوع دون

غيره ، ويكمن الدافع الذاتي من وراء اختيارنا لهذا العنوان أنني أجد متعة معرفية في تناول مثل هذه المواضيع.

أما الأسباب الموضوعية فأجملها فيما يلي:

- إنّ هذا الموضوع جدير بالبحث وذو قيمة علمية.
- كما أنه يتناسب وطبيعة التخصيص الذي انتمي إليه.
- ربما يكون هذا البحث إضافة جديدة للمتلقي المهتم بهذه الجوانب.
- وكان نقصي في بعض الجوانب التي لها علاقة بمسألة اللغة العربية في ضوء التواصل الحضاري في المرحلة الزمنية المحددة دافعا لاختيار هذا الموضوع.

ووقع اختياري على هذا العنوان بناء على مجموعة من التساؤلات لعليّ أتمكن من الإجابة عنها وهي كالتالي:

- هل ساهم تواصل العرب في العصرين العباسي الأول والثاني مع شعوب يختلفون معهم في الثقافات واللغات في تطوير لغتهم؟
- وإلى أيّ مدى انعكس تغيّر نمط حياة المجتمع العربي (الانتقال من البداوة إلى الحضارة) على اللغة العربية في الجانب الإيجابي؟
- وكيف نتصور حال اللغة العربية اليوم إذا افترضنا أنّ العرب لم يتواصلوا مع غيرهم، وبقيت لغتهم منغلقة على نفسها؟

واقتضى البحث عن الإجابة لهذه التساؤلات اعتماد المنهجين الوصفي، والتاريخي باعتبارهما المناسبين لهذا الغرض.وبنيت منهجية هذا البحث وفق خطة تتشكل من بابين بعد مدخل وقفت فيه عند علاقة اللغة بالمجتمع من حيث أنّ التطور الذي يحدث في المجتمع يلحق باللغة، وأنّ ما لحق بالمجتمع العربي في الفترة العباسية من تطور انعكس بشكل مباشر على اللغة العربية. ومهّدنا لهذا العمل بهذا العنوان بغية تيسير فهم طبيعة العلاقة بين اللغة والمجتمع.

وخصصت الباب الأول للتواصل الحضاري والدرس اللغوي العربي خلال العصرين العباسي الأول والثاني. ووقع اختياري على هذا العنوان في هذا الحيّز من البحث كون موضوع البحث يتشكل من متغيرين ثابت وهو تطوير اللغة العربية، و تابع وهو التواصل الحضاري. وبذلك اتضح لي أنه من الضروري التطرق لهذين المتغيرين كل على حدا حتى يسهل علي في الباب الثاني من البحث (الجانب التطبيقي) ربط هذين المتغيرين لفهم العلاقة التي تربطهما بالوقوف عند أهم الأسباب والنتائج الناجمة عن هذه العلاقة بين تطور اللغة العربية والتواصل الحضاري خلال الفترة الزمنية المحددة في البحث. وانضوى تحت هذا الباب فصلان، حيث جعلت التواصل الحضاري في العصرين العباسي الأول والثاني عنوانا للفصل الأول والذي قسمّته كذلك إلى أربعة مباحث. ففي المبحث الأول وقفت عند التواصل من حيث مفهومه وأنواعه بشكل عام، وخصصت التواصل الحضاري بشكل خاص عنوان للمبحث الثاني من هذا الفصل من خلال مجموعة من النقاط، وحدّدت التواصل الحضاري في العصرين العباسي الأول والثاني في المبحث الثالث، ووقفت في المبحث الرابع منه عند آليات ونتائج التواصل الحضاري في المدة الزمنية نفسها.

وتناولت في الفصل الثاني من هذا الباب واقع الدرس اللغوي العربي خلال العصرين العباسي الأول والثاني بشكل مختصر بالوقوف عند أهم ما ميّز الدرس اللغوي العربي في هذه الفترة التي اعتبرت مرحلة نضج وتطور الدرس اللغوي العربي في جميع مستوياته. ففي المبحث الأول تحدثت عن نشأة وتطور الدرس اللغوي العربي، ودرست بشكل مختصر كذلك في المبحث الثاني من الفصل الثاني من الباب الأول الدرس النحوي العربي خلال المدة الزمنية المحدّدة في البحث من حيث نشأته، ومراحل تطوره، وأهم مظاهر تطوره. أما الدرس المعجمي، والصوفي، والصرفي خلال المدة نفسها فتناولته بشكل مجمل في المبحث الثالث. كون الدرس النحوي أخذ حيّزا كبيرا من اهتمامات علماء اللغة في تلك المرحلة. وأدرجت بشكل موجز مناهج البحث اللغوي خلال العصرين العباسي الأول والثاني في المبحث الرابع من هذا الفصل.

ووقفت في الباب الثاني من هذا العمل عند أثر التواصل الحضاري في تطوير اللغة العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني من خلال العلاقة بين هذين المتغيرين وما نتج عنها، حيث خصصت الفصل الأول من هذا الباب للتواصل الحضاري العربي العربي وأثره في تطوير اللغة العربي، وعالجت هذه المسألة في أربعة مباحث؛ ففي الأول درسنا آليات تفعيل التواصل الحضاري بين الأقاليم العربية في مجموعة من النقاط، وفي الثاني أشرت إلى أنّ مدرسة بغداد نشأت نتيجة لتواصل علماء مدرستي البصرة والكوفة، وثالث هذه المباحث جعلته للتواصل بين الأقاليم العربية وأثر ذلك في تطوير الدرس اللغوي العربي، وتحدثت في الرابع منها عن المناظرات اللغوية ودورها في تطوير الدرس اللغوي باعتبارها أداة للتواصل.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب وقفت عند التواصل الحضاري العربي الأجنبي وأثر ذلك في تطوير اللغة العربية، حيث عالجت هذا العنوان في أربعة مباحث كذلك. ففي المبحث الأول أشرت إلى دور الترجمة في تفعيل النشاط العلمي خلال العصرين العباسي الأول والثاني، وعقدت المبحث الثاني للتواصل الحضاري العربي اليوناني وأثره في تطوير الدرس اللغوي العربي. وأدرجت في المبحث الثالث التواصل الحضاري العربي الفارسي وأثره على اللغة العربية، وفي المبحث الرابع تناولت علاقة العرب بالهنود خلال الفترة الزمنية المحدّدة في البحث وأثره على اللغة العربية.

وختمت هذا البحث بخاتمة ضمنتها أهم ما وقفت عنده من نتائج خلال عملية البحث في هذا الموضوع.

وربما الصعوبة الوحيدة التي واجهتني خلال عملية البحث هي تداخل موضوع التواصل الحضاري بتطور اللغة، وقلة المصادر التي تعالج هذه المسألة على تداخلها.وأتمنى أن أكون قد وفقت إلى درجة ما بالإحاطة ببعض جوانب هذا الموضوع. وأسأله جلّ جلاله أن يوفقنا إلى سواء السبيل.

**والله وليّ التوفيق**

**أحمد بن عمار** **تلمسان: 2015/01/16**

# مـــــــــدخـــــــــل

## مدخل:

أرى انه من المفيد – وبحسب طبيعة الموضوع– أن أمهّد لهذا العمل المتواضع بالوقوف عند العناصر التالية:

علاقة اللغة بالمجتمع من حيث تبادل جوانب التأثير و التأثر ،وكذلك عوامل نمو وتطور اللغة العربية ،كما أتناول حتمية التطور اللغوي وذلك لما لهذه العناصر مجتمعة من علاقة بموضوع البحث بشقيه المعرفي والمنهجي.

### 1- اللغة والمجتمع:

عرف المجتمع العربي عبر مراحله المتعاقبة تطورات متباينة نتيجة عوامل مختلفة ساهمت في تشكيل هذا التطور عبر الزمان والمكان في هذا المجتمع. ففي العصر الجاهلي تميزت العلاقات الخارجية لسكان شبه الجزيرة العربية نوعا ما بالانغلاق ، وغلب بشكل عام نمط البداوة على الحياة المعيشة لهؤلاء السكان ،مما جعل الحاجات اللغوية للمنتمين لهذا الحقل اللغوي تكون تبعاً لهذه السمات الأساسية للمجتمع. وبمجيء الإسلام عرف المجتمع العربي تطوراً ملحوظاً في هذا الجانب سواء ما يخص العلاقات الداخلية للمجتمع العربي ،أو علاقات هذا المجتمع بالأمم الأخرى بفضل تعاليم جديدة جاء بها الدّين الإسلامي سرّعت جوانب التطور في الدولة الإسلامية الجديدة داخلياً وخارجياً. لكن في المراحل الأولى لنشأة الحضارة العربية الإسلامية ( صدر الإسلام والعصر الأموي ) حافظ هذا المجتمع إلى درجة ما على النمط البدوي في حياته المعيشة، وبالانغلاق النسبي للعنصر العربي على نفسه.وبسقوط الخلافة الأموية التي قامت محلها الخلافة العباسية شهد المجتمع العربي تغيّرا واضحاً فيما يخص نمط الحياة بحيث انتقل المجتمع من حياة البداوة إلى نمط معيشي يغلب عليه التحضّر؛ أي سيادة مظاهر الترف وسعة المعيشة التي لم يعهدها الإنسان العربي من قبل.

كما عرفت هذه الفترة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية تفاعل العنصر العربي مع الأعجمي بل وسيادة العنصر الأعجمي على العربي لاسيما في المراكز المرموقة من الدولة ؛ الأمر

الذي جعل الحياة الاجتماعية تشهد تغيرا جذريا في بعض مستوياتها. وتبعا لهذه التطورات التي عرفها المجتمع العربي عبر هذه الحقبة الزمنية السالفة الذكر فإن الحاجات اللغوية تزداد وتتطور بناء على ذلك في الاتجاهين السلبي، والايجابي. وبناء على تلك المعطيات وقع اختياري على هذا العنوان في هذا الحيّز من البحث. ويقول أحمد محمد المعتوق في هذا الشأن: «ولو تتبعنا تطور اللغة عبر العصور لوجدنا أن دراسة اللغة اصطبغت بحاجات المجتمعات ومشكلاتها عموماً، وهذا شأن العلوم جميعاً، فأنها تنشأ وتترع لدى الإحساس الاجتماعي بالحاجة إليها، وتتوجه لحل مشكلات تلك الحضارة كل حسب ميدانه، كما أن الثقافة والحضارة القوية تعد من المؤثرات الحضارية والثقافية التي يمكن أن تؤثر في الفرد من خلال اللغة، بحيث تقوم اللغة بتشكيل معتقدات الأفراد وتوجهاتهم النفسية نحو الجماعات والأقوام والأشياء في الكون. كما تهمين على موقفهم العام من الكون وتؤثر في تكوين الشخصية البشرية، وإذا كانت اللغة نتاجاً للحضارة فهي أداة فعالة من أدواتها أيضاً. وبوصفها هذا يمكن أن تدلنا على كثير من شؤو ن الحضارة والمجتمع الذي نشأت فيه ...».[1]

أشار المعتوق في هذا النص إلى جدلية العلاقة المتبادلة بين اللغة والمجتمع ، واثر كلا منهما في رسم ملامح الآخر . والبعد الاجتماعي للغة يجعل تطورها يسير في اتجاه التطور العام للمجتمع وفي جميع مستوياته وهو ما يؤكده حسن ظاظا في قوله :

«الإنسان كائن اجتماعي بغريزته، ولغته بدورها ظاهرة اجتماعية لا يمكن تصورها إلا في نظام عام للتبادل المادي والفكري بين أفراد المجتمع الواحد، ومعروف أنه بمجرد ظهور الإنسان المميز على هذا الأرض، انطلق في سعي دائب لتحقيق هذا التبادل بالوسائل المختلفة التي تمليها عليه حياته».[2]

---

1 - أحمد محمد المعتوق ،**الحصيلة اللغوية: أهميتها مصادرها وسائل تنميتها**،د ط ،عالم المعرفة ،الكويت، 1996، ص:71.

2- حسن ظاظا ، **كلام العرب من قضايا اللغة العربية** ،د ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1976 ، ص:57.

فاللغة تتطور بتطور المجتمع والعكس كذلك، فلا يمكن دراسة اللغة بمعزل عن المجتمع، ولا المجتمع بمعزل عن اللغة، حيث يفسر المهتمون بعلم اللغة ظاهرة التطور اللغوي بالتطور الاجتماعي للمنتمين لأي حقل لغوي؛ لأن حداثة الوسائل الاجتماعية، وتنوع العلاقات بين البشر أمر يستدعي استحداث الألفاظ والمصطلحات التي يمكن من خلالها تفعيل عملية التواصل بين أفراد المجتمع البشري، وضمان استمراريته، ومواكبته للمستجدات على الصعيد الاجتماعي.

### 1-1. تطور اللغة بتطور المجتمع:

تتطور اللغة وتنمو نتيجة عدة عوامل. يقول حسن ظاظا: «إنّ اللغات تعيش حياتها كالكائنات، تتغير وتتطور وتنمو مع نمو الفكر وتقدم الزمن وفي أثناء ذلك تغيراً كثيراً من بضاعتها، فتخفف مما لم تعد الحاجة تدعوا إليه وتضيف ما صار ضرورياً، وتحرر من بعض الألفاظ في النطق، أو الإملاء، أو المعنى...».[1]

فنمو اللغة يكون من الداخل، وبفضل عوامل خارجية تساهم في ذلك أيضاً ، وهو ما سأتناوله لاحقاً في هذا الفصل بشيء من التفصيل.

ولا يمكن أن تخلو لغة من لغات العالم قديمها وحديثهاً من تطور يحيط بها، أو ينفذ إلى صميم كيانها، باعتبارها ظاهرة اجتماعية يصيبها ما يصيب المجتمع من آفات، ويلحق بها ما يلحق بالمجتمع من تغيّر من شكل إلى آخر. « عندما ينمو الفكر ويتطور فأنه يأخذ بيد اللغة معه وسيطوّرها لتكون هذه اللغة خليقة للتعبير عن هذا الفكر السامي المتطور ... هذا الفكر يحتاج في هذه إلى لغة لتعبّر عنه.»[2] ولا يمكن تصور مجتمع بدون لغة ، واللغة تدين بوجودها للمجتمع ، إذا أن حاجة الناس إلى الاتصا ل والتفاهم قد دفعتهم دفعا لإيجاد الوسيلة التي تحقق لهم وجودهم الاجتماعي ، فكانت اللغة[3] لأنها « تمثل نوعا معينا من المؤسسة الاجتماعية. فاللغة كنظام من الأدلة الاعتباطية لا

---

[1] - **المرجع السابق** ، ص:144.

[2]- حاتم صالح الضّامن ، **علم اللغة** ، مطبعة وزارة التعليم العالي ، الموصل ، ص: 145.

[3]- محمد عيد ، **المستوى اللغوي للفصحى واللهجات** ، دط ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص :17.

تكون إلا باستعمال واتفاق جماعة . وكمؤسسة اجتماعية تعرف تطورا مشروطا بالمجموعة التي تتكلمها . فنمو وترجع لغة ما لا معنى لهما إلا بالنظر الى استعمال هذه اللغة من طرف الناس . »[1]

واللغة العربية ليست بمنأى عن اللغات الأخرى في هذا الموضوع، على اعتبار أنّ الحياة اللغوية للمجتمعات المختلفة، إنما هي نتيجة للماضي الطويل الذي تعرّضت فيه اللغة لعوامل ومؤثرات متنوعة، ولرحلات وانتقالات بعيدة المدى، وصراع مع لغات أخرى، كلها عوامل عملت على الانتقال باللغات من مستوى إلى أخر وهذه ظاهرة تشترك فيها كل اللغات باختلاف زمانها ومكانها.[2]

كما أشار حلمي خليل لهذه الجدلية أيضا في قوله:« اللغة إذن ليست من الأمور التي يمكن أن يصنعها فرد واحد، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع الإنساني وما يقتضيه هذا النسق من الحياة من تعبير عن الخواطر وتبادل للأفكار ،وهي بالتالي نظام اجتماعي تخضع لما يخضع له المجتمع من مؤثرات تتطور بتطوره وتنمو بنموه. فإذا عرفنا مما يتكون المجتمع عرفنا بالتالي العوامل الاجتماعية التي تؤثر في التطور اللغوي ... ».[3]

وبحكم أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية فهي تخضع لما يخضع له المجتمع من تطور ونمو عبر المراحل المتعاقبة للتاريخ البشري، فكل تطور يطرأ على المجتمع ينعكس بشكل مباشر على اللغة ويرى حلمي خليل أيضا بأن: «اللغة خلقت خصيصًا لتيسير التبادل المادي والفكري مع المجتمع فاللغة التي تسايره لا تثبت على حال هي الأخرى بل تتطور وتتغير، وهي صورة صادقة لحضارته ونظمه.

---

[1]- جان بيرو ، **اللسانيات** ، تر : الحواس مسعودي ، مفتاح بن عروس ، دط ، دار الأفاق ، الجزائر ، ص: 127.

[2] - ينظر، كاصد الزيدي ، **دراسات نقدية في اللغة والنحو** ، ط1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان،2003 ، ص: 22.

[3]- حلمي خليل، **دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام**، د.ط ، مطبعة مصنع إسكندرية للكراريس، 1978، ص:18.

فالمعجم اللغوي لأمة ما، هو في نفس الوقت صورة مخلصة لما تعرفه هذه الأمة في حياتها اليومية وكيانها الاقتصادي... فكل تطور يحدث في ناحية من النواحي يتردد صداه في اللغة».[1]

ولقد أشرت فيما سبق إلى أهم ما ميّز العصر العباسي الأول والثاني من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية على الصعيد الاجتماعي، حيث شهدت الحياة الاجتماعية في هذه الفترة تحوّلات كبيرة في مختلف أوجهها نتيجة لعدة عوامل عجلت بذلك، أبرزها عامل الاختلاط والتزاوج بين الشعوب التي تشكل منها المجتمع العباسي، وكذلك رغبة العرب وتفتحهم على الحضارة الجديدة بالنسبة لهم وأساليبها، ومظاهرها المختلفة. وكان للمعتقد الدور البارز في ذلك بنبذه كلّ النعرات والحساسيات التي من شأنها إحداث التفاوت بين العرب وغيرهم من الأمم والشعوب الأجنبية في هذا المجتمع الجديد، وبذلك يعتبر الدين الإسلامي العامل الأساس- إلى جانب مجموعة من العوامل- الذي ساعد على مدّ قنوات التواصل مع هذه الشعوب بعضها ببعض، وتعدّ ظاهرة امتزاج الحضارات المختلفة، وما نتج عن ذلك من أثر في تغيير مجاري الحياة الاجتماعية، وبناء الإنسان الجديد في الدولة الجديدة عقلياً وفكرياً وأدبياً وحضارياً من العوامل التي تركت أثراً واضحاً في مظاهر الثراء والترف والبذخ الذي حل محل حياة البداوة المتسمة بالقساوة،[2] ولم يتوان العرب في تلوين ثقافتهم العربية منذ أواخر العصر الأموي بألوان الثقافات التي وجدوها في البلاد التي وقعت تحث سلطتهم كالثقافة الفارسية واليونانية والهندية وغيرها من الثقافات التي ترجمت إلى اللسان العربي.[3]

إنّ التحوّلات الكبيرة التي شهدها المجتمع العربي في العصرين العباسي الأول والثاني - وعلى جميع المستويات - صاحبه تطور في اللغة العربية واتساع جغرافيتها بتزايد عدد الناطقين بها،

---

[1]- **المرجع السابق**، ص:37.

1- ينظر، مصطفى بيطام ، **مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول**، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، الجزائر، دس،ص: 22.

[3]- ينظر، **المرجع نفسه**، ص: 24.

ودخول ألفاظ جديدة إليها. وفي المرحلة نفسها عرف الدرس اللغوي العربي قفزة نوعية خصوصاً في الجانب المنهجي منه «وكما التفت علماء العربية إلى البيئة الاجتماعية والفكرية وأثرها في تطور اللغة ونموها، التفت البعض إلى أثر البيئة المادية الاجتماعية والفكرية وأثرها في تطور اللغة، فالآ ثار المادية من خصوبة أو ترف أو رقة أو خشونة، أو قبح و جمال كل ذلك يحدث أثره وتعكسه اللغة في ألفاظها وتراكيبها».[1]

وتحدثت الجرجاني عن أثر البيئة الاجتماعية على اللغة ودورها في رسم وتوجيه معالمها في قوله:« فإنّ سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخِلقة. وأنت تجدُ ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك. وترى الجافي الجِلْف منهم كز الألفاظ. معقد الكلام، وعرْ

الخطاب حتى إنك وبما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته، وفي جرْسه ولهجته. ومن شأن البداوة أن تُحْدث بعض ذلك».[2]

وفي العصر العباسي امتزج البدوي بالحضري والعربي بالأعجمي، وبذلك امتزجت الثقافات والأنماط الاجتماعية فتشكلت فسيفساء أثرت بدورها على الحقل اللغوي في تلك الفترة الزمنية من الحضارة العربية.

وأشار الجرجاني إلى ذلك في قوله: «فلما ضرب الإسلام بجيرانه، واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر، ونزعت البوادي إلى القرى، وفشا التأدب والتطرف، اختار الناس من الكلام ألينه وأمهله، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً، وألطفها من القلب موقعاً، وإلى ما للعرب فيه لغاتُ فاقتصروا على أسلسها وأشرفها،كما رأيتهم يختصرون ألفاظ

[1]- حلمي خليل، **المولد: دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام** ،ص: 67.

4- أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، صححه وشرحه احمد عارف الزين، مطبعة العرفان ،صيدا، 1331ه ، ص: 21.

الطويل، فإنهم وجدوا للعرب فيه نحواً من ستين لفظة، أكثرهم بشِع شنع، كالعشنط والعنطْنَط... فنبذوا جميع ذلك وتركوه، واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان وقلة نبو السمع عنه...»[1]

ويفهم من كلام القاضي الجرجاني أنّ مظاهر الحياة المعيشة تؤدي دورا بالغ الأهمية في بناء الاتجاهات العامة للغة خصوصا المستوي الصوتي منها حيث تجلى ذلك بشكل واضح في لغة المجتمع العربي العباسي

## 1-2. التطور اللغوي استجابة لحاجات المجتمع:

إنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تنمو وتتطور وفقاً لمتطلبات المجتمع، "وتخضع في تطورها لعدة عوامل يمكن حصرها في ثلاثة عناصر رئيسية تمثل بدورها مجموعة من العلاقات هي:

علاقة اللغة بالفكر، وعلاقة اللغة بالمجتمع، وعلاقة اللغة باللغات الأخرى".[2]

وتتطور هذه الحاجات الاجتماعية بتطور الزمان والمكان بناءا على مجموعة من المعطيات تساهم بشكل أو بآخر في ديمومة الحياة الاجتماعية، واللغة إحدى هذه المعطيات.

واللغة أداة اجتماعية، وبوصفها شفرة مشتركة تمكّن الناطقين بها من إرسال الأفكار والرغبات فيما بينهم وبذلك تعمل على ترجمة وتفسير التفكير الجمعي لمستخدميها.

وتتجلى أهميتها اللغة بالنسبة للأفراد والجماعات، أنه عندما تُفقد يفقد معها جزءاً أساسياً من النسيج البشري ومعه منظوره الخاص، وثقافته كاملة، وربما الآف السنوات من التواصل تموت بموت هذه اللغة، كما أنها بالمقابل تنمو مع تغير ثقافاتها، وبذلك نجد أنّ اللغة الإنجليزية مثلاً قادرة على التكيّف بدرجة فائقة،[3] فهي تتغير ببطء من خلال إضافة كلمات جديدة إلى حقلها، أو تحل محل أخرى انقرضت، تبعاً للمستجدات والحاجات اللامتناهية داخل المجتمع.« فالإنجليزية مع أنها

---

[1]- **المصدر السابق**، ص:18.

[2]- حلمي خليل، **المولد: دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام** ،ص: 77.

[3]- ينظر، روبرت إي الأصغر، **مقدمة في التطور اللغوي**، ت مصطفى محمد قاسم، ط1، دار الفكر، عمان، 2010، ص:50.

بالفعل صاحبة أكبر عدد من الكلمات (700.000 تقريباً) تضيف حوالي ست كلمات في اليوم، ومع أنّ كثيراً من هذه الكلمات مصطلحات علمية فإنها تتضمن أيضاً كلمات متداولة بين شباب الجامعات...».[1]

إنّ حالة اللاستقرار التي تميز المجتمعات البشرية؛ أي عدم ثباتها على مستوى معين من مستوياتها الثقافية والدينية والاقتصادية والسياسية... إضافة إلى التفاعل الدائم بين الأمم والشعوب الذي لا يمكن الاستمرار في حال انعدام هذا التفاعل. أمر يفرض على اللغة هذه الخاصية أيضاً باعتبارها وسيلة مهمة لخلق وتفعيل عملية التواصل بين أفراد المجتمع المنتمين إلى حقل لغوي واحد، أو إلى حقول لغوية متعددة، الأمر الذي يجعلها في حالة ماسّة لتطوير نفسها.

وتُعَدّ اللغة أسلوباً تكيفياً بالنسبة للإنسان كفرد، أو جماعة داخل المجتمع . ونشأت ونمت في وقت أوجدت الظروف البيئية مجموعة من البشر في مواقف تتجدد مع مرور الزمن، وتتطلب التواؤم معها للمحافظة على استمرارهم وبقائهم، وربما تتطورت وفق هذا النمط وبفضل القيمة الحياتية التي افترضها الإنسان للغة، فبدأ يصدر أصواتاً حينما واجه ظلاما أعاق حياته، وكذلك أصدر أصواتا أخرى حينما التمست يداه مواد حجرية أو معدنية أو نباتية كانت. فتتطور الأصوات اللغوية، ويزداد تباينها، وتمايزها كلما حققت وظيفة أو قدمت خدمة للإنسان أو ساعدته لتفادي ضرر ما، العامل الذي يجعل الإنسان يلجأ إلى تكرار الصوت، واتساع نطاق استعماله.[2] فكلما زادت وتطورت حاجات الإنسان نمت وتطورت معها اللغة وزاد نطاق استعمالها كذلك وفقا لحتمية التطور التي تمس كل الظواهر التي لها صلة بحياة المجتمعات البشرية.

« فاللغة كائن حي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع وتستمد كيانها منه ومن عاداته وتقاليده وسلوك أفراده، وهي

---

[1]- **المرجع السابق**، ص: 39.

[2]- ينظر، نايفة قطامي، **تطور اللغة والتفكير لدى الطفل**، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، 2008، ص:09.

تتطور بتطور هذا المجتمع، فترقى برقيه وتنحط بانحطاطه، وليست اللغة من صنع فرد أو أفراد، وإنما هي نتيجة حتمية للحياة في مجتمع يجد أفراده أنفسهم مضطرين إلى اتخاذ وسيلة معينة للتفاهم والتعبير عمّا يجول بالنفس، وتبادل الأفكار، تلك الوسيلة هي اللغة».[1]

يتضح مما سبق أنّ التطور الذي يمس المجتمع؛ أي تغيره من حالة إلى أخرى وعدم استقراره وثباته على حالة معينة، ونظرا لأهمية اللغة في المجتمع البشري، وضرورة وجودها لتفعيل التواصل بين الأفراد والجماعات وكذلك تطور العلاقات بين الأمم والشعوب التي تنتمي إلى حقول لغوية متباينة نتيجة عدّة عوامل –سأحاول توضيحها مع مسار هذا البحث- وبفضل كلّ هذه العوامل مجتمعة نرى أنه يستحيل أن تبقى اللغة ملبيّة لهذه الحاجات وتواكبها ما لم تتطور مع نمو وتطور حاجات المستخدمين لها.

## 1-3. علاقة المستوى الفكري بالمستوى اللغوي في المجتمع:

ينفرد كل مجتمع بشري بنمط خاص في طريقة تفكيره بناء على الخصوصيات الثقافية، والجغرافية، والعقدية، والسياسية... التي من شأنها أن تساهم في نسج تلك الخصوصيات الفكرية ، العامل الذي ينعكس بشكل مباشر على الأنظمة اللغوية المتباينة للمجتمع البشري. « قد أصبح من الواضح بدرجة متزايدة أن الحديث عن التفكير مع تجاهل اللغة أمر يعوزه التناغم إلى حد بعيد. فاصطلاحات النشاط اللغوي ليست ذات أهمية بالغة بالنسبة لتجارب تحقيق المفاهيم ، لكنها الوسيط الأساسي لكافة أنواع التفكير. »[2]

حيث يقول حسن ظاظا في هذا الشأن: « ولأن اللغة من خلق الفكر، وأنها خلقت خصيصاً لتسيير التبادل المادي والفكري مع المجتمع، ولأن المجتمع دائم التطور، فاللغة التي تسايره دائمة التطور أيضاً، وهي صورة صادقة لحضارته، فالمعجم اللغوي لأمة، هو في نفس الوقت صورة

[1]- رمضان عبد التواب ، **لحن العامة والتطور اللغوي** ،ط1 ،مكتبة زهراء الشرف ،القاهرة ،2000 ،ص:35.

[2]- جوديث جرين ، **التفكير واللغة** ، تر: عبد الرحيم جبر ،دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1992.ص :113.

مخلصة لما تعرفه هذه الأمة في حياتها اليومية، وكيانها الاقتصادي وسلوكها الديني والأخلاقي، وتقدمها العلمي والفني».[1]

وإنّ معظم التغيرات التي تحدث في اللغة هي تحقيق ملاءمة بين عناصر اللغة والواقع الاجتماعي المتطور بحيث يمكن أن تتكيف بمقتضاها مختلف الوحدات لتستجيب وتلبيّ حاجات التواصل بين أفراد المجتمع، وإنّ دوام واستمرار التواصل اللغوي يقتضي من المتكلمين الاتفاق على أوجه استعمالهم للغة، لأن ما يشجع من مظاهر التطور المحققة لتلك الملائمة إنما هو مواضعة جماعية استمدت جزءاً مهما من مقبوليتها من المعيار الاجتماعي والفكري الذي أمدّ تلك المظاهر التطورية شرعية التداول والاستعمال.[2] وينطلق مفهوم النسبية اللغوية من فكرة أن اللغة انعكاس لثقافة المجتمع الذي تستعمل فيه . واختلاف اللغات يعني اختلاف الأفكار التي تعبر عنها هذه اللغات أيضا ، فهي تصطبغ بها وتتشكل وفق أشكالها .[3]

وإنّ كل ما يحدث في أيّ مستوى من مستويات اللغة يرجع بشكل طبيعي إلى أمور عامة يشترك فيها جميع أفراد الطبقة الواحدة، كما يتمايزون بها عن أفرد الطبقة السابقة لهم، والتطور الطبيعي للظواهر النفسية تختلف في كل طبقة عنها في الطبقة السابقة لها، وليس بمقدور الأفراد على اختلاف مستوياتهم الفكرية أن يوقفوا تطور لغة ما.[4] وبذلك يكون تطور اللغة تبعاً للتطور الفكري للمجتمع، فكلما نمت الحركة الفكرية واتساع نطاقها تطورت اللغة في جميع مستوياتها واتسع نطاق استعمالها أيضا .

---

[1]- حسن ظاظا، **اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة علم اللغة**، ط2، دار القلم، دمشق. 1990، ص: 93.

2- ينظر، محمد شندول، **التطور اللغوي في العربية الحديثة من خلال نماذج من كتب التصويب اللغوي**،دط، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012، ص:20.

[3]- ينظر سيلفان أورو وأخرون ، **فلسفة اللغة**،تر،بسام بركة،ط1 ،المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ،2012 ، ص :550.

[4]- علي عبد الواحد وافي، **علم اللغة**، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر ،القاهرة، ص: 250.

## 1-4.زوال اللغات من منظور اجتماعي للتطور اللغوي:

اللغة كائن حي تخضع لقوانين التطور والارتقاء، وليس فيها كسب دائم من النمو والتجديد، فكل نمو وتطور يقابله نوع من الأفول في الجانب الآخر. وفي اللغة العربية من الألفاظ ما يملك مقومات الحياة والبقاء فيستمر ويبقى، ومنها ما يفقد تلك المقومات فيزول ويفنى، وفيها ألفاظ هجرت لأسباب عدة، فزالت مثل ( المِرْباع، والنَّشيطة )* وللمماة في اللغة ضربان رئيسيان:

**الأول**: زوال الألفاظ، لكن في العربية نجد أنّ الممات من ألفاظها كتب له البقاء، من خلال تدوينه وكان ذلك إرهاص لإحيائه.

**الثاني**: زوال المعاني، وهو أن يزول المعنى ويبقى اللفظ لتغيّر دلالته وانتقالها إلى معنى آخر، كالألفاظ التي غيّر معانيها بعد مجيء الإسلام واستعملت لمعاني غير المعاني التي دلّت عليها في العصر الجاهلي مثل: الصلاة، والصوم، والزكاة ....[1]

بينما يرى أصحاب النظرة الاجتماعية للتطور اللغوي أنّ اللغات تموت على ثلاثة أشكال:

**1**) أن تزول اللغة زوالاً طبيعياً، بناء على الكبر والقدم وفي هذه الحالة يكون المتكلمون بهذه اللغة قد كثروا وتشعبوا، وتباعدت مواطنهم، وأقاموا لهم حضارات متباينة لا يتصل بعضها ببعض، فتنشأ لدى كل طائفة منهم لهجة محلية تنبثق من اللغة القديمة، ومع مرور الزمن وتعاقب الأجيال تنقرض اللغة الأم من ذاكرة الأجيال وتموت على ألسنتهم كالفارسية القديمة والسنسكريتية والسامية الأم.

**2**) أن تزول اللغة بفعل التصادم العنيف بين الأمم عن طريق الحروب أو الغزو المسلح، وحتى يكون هذا الزوال ممكنا لابد من توفّر ظروف معينة ومن بينها: أن يكون الغزاة أكثر عدداً

---

1- ينظر: عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، **موت الألفاظ في العربية**،مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،1997،العدد:107 ص:351.

*- المِرْباع:ربع الغنيمة ، النَّشيطة:ما يقع في أيدي المقاتلين قبل الموقعة واستعملتا في زن الرسول (ص).

بأضعاف كثيرة من أهل تلك اللغة، بحيث يكون استقرار هؤلاء بلغتهم في الأرض المفتوحة بمثابة طوفان يبتلع الشعب الأصلي القليل العدد، ولغته معه كذلك وهذا ما حدث عند غزو الساميين القدماء العراق حيث تلاشى الشوميريون ولغتهم.[1]ومع ذلك تعاطى الساميون حرفهم المسماري.

أو أن يكون هناك تساو في العدد تقريباً بين السكان الأصليين والغزاة، وهنا ينبغي أن يكون الغزاة أعلى درجة في الحضارة من الأمة التي أصيبت بالغزو، وإلاّ فالغزاة هم الذين يفقدون لغتهم، وتسود لغة المنهزمين، الشيء الذي حصل عندما هاجمت القبائل المتبربرة أوروبا اللاتينية وقتها كان شعوبها أكثر تقدماً في الجانب الحضاري، حيث تخلى هؤلاء الغزاة عن لغتهم الأصلية، بل ومعها أديانهم الوثنية.لكن بالمقابل إذا كان الغزاة متحضرين فإنهم يفرضون لغتهم في شتى المجالات.[2]

**3)** «أن تموت اللغة بالتسمم، ويبدأ ذلك بتسرب رشح من الدخيل من لغات أخرى تحتاج إليه اللغة فتتقبله، بل تحس مع تعاطيها له في البداية بمزيد من الانتعاش والقوة والنشاط يشجعها على تقبل جرعات أكبر فأكبر من هذا الدخيل، فتسقط من الإعياء، تاركة المجال للبقية الباقية من الدخيل تتسرب إليها بدون أيّة مقاومة حتى تجهز عليها وتميتها، هكذا ماتت اللغة السريانية في الشام».[3]

لكنّ للمماة من الألفاظ دور في تنمية اللغة، وإعادة إحياء الألفاظ من جديد وتوظيفها في معنى مناسبة لها وفي وقت الحاجة لذلك.

« أنّ للمماة دوراً في تنمية اللغة العربية يتمثل في إمدادها بألفاظ من مخزونه الثري، فلربما ماتت الكلمة وا ختفت زمناً طويلاً ثم بعثت من جديد لتستخدم في معناها القديم، أو في معنى جديد، كإحياء الكلمات الميتة للتعبير عن المصطلحات العلمية الجديدة ...»[4] وإذا أمكن من إحياء

---

[1]- ينظر: حسن ظاظا، **اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة**، ص:117.

2 - ينظر: **المرجع نفسه**، ص:118.

3- **المرجع نفسه**، ص:118.

4- عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، **موت الألفاظ في العربية**، ص:452.

لفظ مهجور لمعنى مستجد مع وجود لفظ آخر موّلد بإمكانه أن يؤدي نفس الغرض، فهنا يكون إحياء القديم خيراً من استعمال الموَّلد.[1]

واضافة الى ذلك أرى أنه يمكن أن تموت اللغة في حال ما إذا كان عدد السكان أكثر بأضعاف من عدد الطرف الآخر الناطق بلغة غير لغة هؤلاء لتحل محلها لغة الطرف الأخير، بفضل قداسة لغة الطرف الثاني. هذا ما حدث أثناء الفتوحات الإسلامية في جميع اتجاهاتها حيث كان عدد الفاتحين أقل بكثير من عدد السكان الأصلين، ومع ذلك تبنّى هؤلاء اللغة العربية برحابة صدر بحكم قداستها وقدسية النص القرآني الذي كتبت به .

**2- التطور اللغوي:**

قبل الخوض في الحديث عن التطور اللغوي أرى من الضرورة بمكان الوقوف عند مدلول ثلاثة مفاهيم أساسية لها علاقة بهذا العنصر وهي: التطور، والتطوير، والنمو في اللغة.

أ) **التطور:**

ب) يرى حلمي خليل أنّ علماء اللغة يوظفون "التطور" في أربعة معاني مختلفة:

– حيث يوظفه بعضهم بمعنى النمو، ويقصدون بذلك انتقال اللغة من طور إلى طور أحسن.

– بينما هناك طرف آخر يسلك اتجاهاً مضاداً، أو مخالفاً للمفهوم الأول (وهو موقف التقليديين من المشتغلين باللغة)، حيث يرون أنّ ظاهرة تطور اللغة ظاهرة غير صحية، وحجتهم في ذلك أنّ بعض هذه الظواهر لايعني إلاّ خروجاً عن الأحكام والقواعد المحددة والمدونة في كتب اللغة والتي زكّاها اللغويون الموثوق بهم.

– ويتخذ الطرف الثالث موقفاً وسطاً من الموقفين السابقين، بحيث يذهب أنصار هذا الرأي من اللغويين إلى أنّ التطور انحراف يمكن تصويبه بالتنبيه عليه من قبل الباحثين والمختصين في المجال.

1- ينظر **المرجع السابق**، ص:453.

– بينما الا تجاه الرابع فسّر ظاهرة التطور اللغوي تفسيراً موضوعياً على أساس من الواقع – حسب رأي حلمي خليل– حيث فسّروا التطور بالتغيير بمعنى كل اللغات تخضع في حياتها لتغيّرات وفي مستوى من مستوياتها وفي فترة زمنية معينة.[1]

**ب) النمو:**

ويعنى به انتقال اللغة من طور إلى طور آخر أحسن من الأول، باعتبار أنّ اللغة بهذا الانتقال تكون قد استجابت لحاجات الإنسان المتجددة، سواء ما تعلق بالجانب المادي أو المعنوي منها، وبذلك تكون اللغة مسايرة للتطور الاجتماعي الذي يحتضنها، وهذا النوع من النمو يثري اللغة وبه تصبح فتيةً مواكبةً لحاجات المجتمع، ومتصلة بتطور ورقي الفكر الإنساني.[2]

**ج) التطوير:**

ويرتبط هذا المصطلح بإدراك الطبيعة الاجتماعية للغة باعتبار أنّ العلاقات الاجتماعية يحكمها اتجاهان متضادان، فيمتاز الأول بالمحافظة والتقليد، بينما يميل الثاني نحو التطور والتغير. « وهذان الا تجاهان يفرضان فرضاً على اللغة من أصحابها في البيئة اللغوية المعينة».[3]

ويكون التطور في اللغة إما بتحوّ ل تام ويحدث ذلك تدريجياً عبر مرور الزمن، بحيث تنتقل من خلاله اللغة من مرحلة تاريخية إلى أخرى فتصبح لغة غير اللغة الأولى. ويحدث التطور أيضاً بتكيف ذاتي يحدث داخل نظام اللغة ذاته وبذلك يحقق تناسقاً بين البناء اللغوي أو البنى اللغوية والتغير الاجتماعي، وفي هذا الجانب يرى "أندري مارتيني" صاحب الاتجاه الوظيفي في اللسانيات المعاصرة: «أنّ تطور لغة ما مرتبط بتطور الحاجات التواصلية للجماعة التي تتكلم تلك اللغة».[4]

---

[1]– ينظر، حلمي خليل، **المولد، دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام**، ص:18.

[2]– ينظر، حسن ظاظا، **كلام العرب من قضايا اللغة العربية**، ص:100.

[3]– حلمي خليل، **المولد، دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام**، ص:19.

[4]– محمد شندول، **التطور اللغوي في العربية الحديثة من خلال نماذج كتب التصويب اللغوي**، ص:15.

**2-1. التطور اللغوي:** يرى محمد شندول أن العلاقة بين التطور اللغوي وحاجات الإنسان التواصلية هي علاقة تلازم وبهذا يمكن القول بأنّ التطور اللغوي من منظور وظيفي، هو كل تغيّر يحصل في اللغة عبر تعاقب مراحلها التاريخية بغية بقائها صالحة للتواصل وتلبية حاجات المجتمع من خلال ما يتحقق من تكيف بناها والحاجات التواصلية المتجددة.[1]

ويوضح محمد شندول التطور اللغوي بشيء من التفصيل بأنه: « التفاعل الذي يحدث بين بنى لغوية قائمة وواقع اجتماعي متبدل يفضي إلى تلاؤم بين تلك البنى التي تعد تقليدية والحاجات الجديدة».[2]

واستناداً إلى ما سبق ذكره أرى أن بقاء اللغة مرهون بمدى قدرتها على مواكبة التطور والمستجدات الاجتماعية سواء كان هذا التطور من داخل اللغة أو بفضل عوامل خارجية تساهم في تطويرها، لأن اللغات التي لا تستطيع مواكبة حاجات مستخدميها يكون الفناء مصيرها، فظاهرة التطور ظاهرة لغوية صحية في كل اللغات، فكلما تضمنت اللغات عوامل وآليات تساعدها على استمرارية تطورها اتسع نطاق استعمالها، عبر المراحل المختلفة من حياتها.

ويشير علي عبد الواحد وافي إلى ظاهرة التطور اللغوي ويشرح ذلك شرحاً مستفيضاً في قوله: « واللغة- شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى- عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها: أصواتها وقواعدها ومتنها ودلالاتها، وتطورها هذا لا يجري تبعاً للأهواء والمصادفات، أو وفقاً لإرادة الأفراد، وإنما يخضع في سيره لقوانين جبرية ثابتة، مطردة النتائج، واضحة المعالم، محققة الآثار، لا يد لأحد على وقف عملها، أو تغيير ما تؤدي إليه.

فليس في قدرة الأفراد أن يوقفوا تطور لغة ما، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص، أو يسير بها في سبيل غير السبيل التي رسمتها لها سنن التطور الطبيعي، فمهما أجادوا في وضع معجماتها،

---

[1]- ينظر، **المرجع السابق**، ص:15.

[2]- **المرجع نفسه**، ص:16.

وتحديد ألفاظها ومدلولاتها، وضبط قواعدها، ومهما أجهدوا أنفسهم في إتقان تعليمها للأطفال قراءة وكتابة ونطقاً، وفي وضع طرق ثابتة سليمة يسير عليها المعلمون بهذا الصدد، ومهما بذلوا من قوة في محاربة ما يطرأ عليها من لحن، وخطأ، وتحريف، فإنها لا تلبث أن تحطم هذه الأغلال، وتفلت من هذه القيود في السبيل التي تريدها على السير فيها سنن التطور والارتقاء الطبيعيين».[1]

من خلال ما سبق ذكره يبدو جلياً مدى ضرورة وحتمية التطور اللغوي بحيث لا يمكن لفرد أو جماعة أن يَحدوا من درجة التطور اللغوي أو من رسم معالم ذلك فبكونها ظاهرة اجتماعية فأنها تخضع آلياً لما يخضع له المجتمع من ضرورة التطور والتجديد.

وبناء على رأي علي عبد الواحد وافي في ظاهرة التطور اللغوي، فإنّ مهمة العالم اللغوي هنا هي الوصف والتسجيل واستنباط القوانين التي تخضع لها هذه الظاهرة في كل اللغات البشرية، "أمّا ما يخص فرض نظام لغوي معين، والتسليم بصواب نظام لغوي معين وخطأ نظام آخر، وإجازة بناء لغوي ومنع آخر فيبقى ذلك من عمل المعلم لا العالم، لأن التطور اللغوي يتسم بقوة قهرية لا شعورية".[2]

ويكمن دور علماء اللغة أمام هذه الظاهرة في مواكبة هذا التطور بالبحث عن آلياته وعوامله ومراحله عبر الزمن والمكان، وليس بإمكانهم التحكّم في مسار هذه الظاهرة الطبيعية في اللغات.

واللغة العربية كغيرها من اللغات، ميّزها ما يميز اللغات الأخرى من تطور ونمو، كما عملت فيها تلك العوامل التي تتأثر بها كل لغة حية، وخرجت من كل مرحلة من مراحل تطورها منتصرة وملبية حاجات مستخدميها عبر الأجيال المتلاحقة.[3] وللعربية في نموها وتطورها منهجاً وأسلوباً ينبع من خصائصها الذاتية. و لديها من المرونة ما جعلها قادرة على مواكبة التطورات المختلفة التي خضع لها المجتمع العربي على امتداد الزمن . « وشأنها في هذا شأن أيّ لغة، وقد اعتراها من التطور

[1]- علي عبد الواحد وافي، **اللغة والمجتمع**، ط4، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، 1983، ص:77.

[2] - رمضان عبد التواب، **لحن العامة والتطور اللغوي**، ص:36.

[3]- ينظر: حلمي خليل ، **المولد دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام**، ص:78.

في العصور البائدة قبل العصر الجاهلي ما اعترى اللغات الأخرى، وتحاول سنن التطور أن تمارس دورها على العربية بعد عصر الاحتجاج وخلاله، ولكن النحاة حاولوا لأوضاع خاصة- تتمثل في ارتباط العربية بالقرآن- أن يوحّدوا أنموذجها ويثبّتوا معاييرها، وهم محقّون في هذا، بل هذا ما تلتزم به الأمم عادة حين تتخذ لنفسها معياراً ثابتاً تعدُّه الفصيح الذي يلتقي عليه الناس على اختلاف لهجاتهم، ولو لفترة زمنية محدّدة، ومع ذلك كله تبقى اللغة ظاهرة متطوّرة».[1]

ويستحال أن تعيش اللغة العربية أو غيرها من اللغات الأخرى بمعزل عن مواكبة التطور الاجتماعي للمتحدثين بها. « فلو أردنا أن نرتب قواعد من أبواب النحو وفق شيوع قواعده، لو جدنا أنه يتّخذ ترتيباً معيناً في فترة زمنية ما، أو بيئة مكانيّة محددة، ولكنه في فترة زمنية أو مكانيّة أخرى تتغير منظومته، فلا تبقى على حال ثابتة في الغالب. فما كان من المعايير يحتل المرتبة الثانية في شيوعه وكثرة تواتره قد يتغير في فترة أخرى ليحتل المرتبة الأولى أو قد يحتل المرتبة الثالثة أو العاشرة أو يصبح في عداد المهجور».[2]

وهذا ما يؤكده الاختلاف الذي حدث بين المدرسة البصرية والكوفية خلال مراحل مختلفة، وفي مسائ ل متعددة، وهجرت العديد من الألفاظ التي كانت متداولة بكثافة لسبب أو لآخر.

### 2-2. حتمية التطور اللغوي:

ولنأخذ على سبيل المثال اللغة العربية، التي ارتبطت منذ نشأتها في شبه الجزيرة العربية بحياة المجتمع العربي، فاستندت إليه في مهدها، وفي نموها واتساع نطاق استعمالها.

« لقد ظل عرب شبه الجزيرة العربية زمناً في جاهليتهم، وهم قبائل متفرقة، لكل منها لهجتها وخصائص لسانها. ثم أخذت تلك اللهجات تتقارب، وتعمل فيها عوامل الامتزاج والتنقيح والاختيار، حتى برزت من بينها لغة موحدة اصطنعها كبار الشعراء في المواسم والأسواق العامة،

[1] - إسماعيل احمد عمايرة، **المستشرقون والمناهج اللغوية**، ط2، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، 2002، ص:35.

[2] - **المرجع نفسه**، ص:35.

وتناقل الرواة الشعر بها في سائر أنحاء الجزيرة، وأصبح ذلك الأدب الموحد اللسان ديواناً للعرب في معارفهم، وفي نماذج أخلاقهم ومثلهم الفردية و الاجتماعية ...».[1]

وسبق أن أشرت إلى أن التطور اللغوي يكون انطلاقا من تلبية الحاجات المتعددة للمستخدمين للغة عبر مراحلها المتعاقبة، ومردّ هذه الظاهرة خاصية المواضعة الناتجة عن آنية الاستعمال، وإلى كون اللغة في معناها العام مؤسسة اجتماعية، قابلة للتطور كغيرها من سائر المؤسسات الاجتماعية الأخرى، فمن الضرورة أن تخضع لعملية التطور ولو في بعض أجزائها، « فكما يؤدي تبدل الأحوال الاجتماعية والتطور الثقافي إلى تغيير التقاليد المختلفة، فإنّ دافع الحاجة إلى التعبير عن المستجدات يؤدي إلى تطور اللغة».[2]وعبر المراحل المتعاقبة لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية، خرجت اللغة العربية من موطنها الأصلي واتسع نطاق استعمالها في معظم الأمصار والأقطار المفتوحة شرقاً وغرباً، وأدت هذه الفتوحات إلى امتزاج العرب بغيرهم ، كما احتكت لغتهم مع لغات الشعوب الأخرى وبفضل هذا الانتقال من موقع جغرافي إلى موقع آخر تختلف فيه العقول اللغوية باختلاف جغرافية المكان غالباً ما كان على اللغة العربية أن تواكب هذا الانتقال لتلبيّ الحاجات المستجدة بالنسبة للناطقين بها. والشيء نفسه ينطبق على كل اللغات، فظاهرة التطور اللغوي مقترن بالتغير الاجتماعي للمجتمع البشري الذي لا يثبت على حال عبر الزمان والمكان.

لكن تطرح مسألة أخرى هنا قد تُعَدّ بالغة الأهمية، وتتمثل في مسألة حجم التطور الذي يشمل اللغات؛ بمعنى أخر هل يشمل التطور كل المستويات اللغوية أم هو مقتصر على مستوى لغوي واحد أو عدة مستويات محددة.

وهنا يرى محمد شندول أنّ للتطور اللغوي صلة وثيقة بالدراسات اللغوية الزمانية « لأنه لا يهتم بما يعتري وحدات اللغة من أنواع التبدل سواء من حيث التأليف الصوتي والمكونين الصرفي

[1]- محمد عادل عبد العزيز،**الإسلام والتطور الحضاري**، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص:103.

[2] – محمد شندول، **التطور اللغوي في العربية الحديثة من خلال نماذج من كتب التصويب اللغوي**، ص:17.

والدلالي، أو من حيث التركيب النحوي والأسلوب، فهو مفهوم رئيسي تُطرَح من خلاله قضايا اللغة لإعادة النظر في قوانينها وقواعدها».[1] بالمقابل أرى أن وجهة نظر عبد الجليل مرتاض في هذه الظاهرة اللغوية لا توافق هذا الطرح حيث ورد في قوله: « ونقول: إن اللغة تترع نزعة طبيعية إلى الانتقاء من أجل الأطراد والانضباط نعم ونقول: إن اللغة تتفتت ذرها فروعاً، ولهجات ولغات أدبية، نعم. أما أن نقول أن اللغة تتطور، فهذا ما لا نذهب إليه، إلاّ إذا حدّدنا مستوى هذا التطور فيها كالمستوى اللكسيكي، كلما احتاجت اللغة إلى التعبير من مفاهيم ثقافية وتكنولوجية جديدة. لا تزول التراكيب إلاّ بزوال استعمالها. وعليه، فإن اللغة تبقى وتثرى ببقاء مستعمليها، وليس فقط ببقاء أصحابها».[2] ويتضح لي أن عبد الجليل مرتاض يذهب في الاتجاه الذي يرى أن اللغة تتطور في مستوى معين هو المستوى اللكسيكي ، وهذا بخلاف ما سبق عرضه من أراء بعض الباحثين الذين يرون بان التطور يصيب اللغة باعتبارها كائناً اجتماعياً في جميع مستوياتها.

ونجد على العموم أنّ مواقف الدارسين من هذه الظاهرة اللغوية ليست محل إجماع، ولو أخذنا هذه الظاهرة من وجهة نظر تطورّية توليدا يمكن أن يشمل الكثير من مظاهره قوانين اللغة وقواعدها، تعتبر من وجهة نظر الاتجاه المحافظ انحرافاً عن القواعد المرجعية التي تندرج ضمن ما سميّ باللحن والخطأ، لأن اللغة حسب وجهة نظر هذا الاتجاه المحافظ قادرة أن تواكب حاجات الناطقين بها بنفس أوضاعها القديمة ومن بين هؤلاء اليازجي.[3]

### 2-3. عوامل التطور اللغوي:

تتطور اللغات وتنمو نتيجة عدة عوامل تساهم بدورها في تغير اللغة من حالة إلى حالة أخرى ممَّا يضمن لها تلبية مطالب التطور الفكري والحضاري والاجتماعي للمستخدمين لها.

---

[1] - **المرجع السابق**، ص:16.

1 - عبد الجليل مرتاض، **اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي**، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص:71.

[3] - ينظر: محمد شندول، **التطور اللغوي في العربية الحديثة من خلال نماذج من كتب التصويب اللغوي**، ص:16.

فهناك عوامل مختلفة تلجأ إليها اللغات لتحقيق هذا الغرض، ولنأخذ على سبيل المثال –لا الحصر– تلك الآليات التي تساعد على نمو وتطور اللغة العربية والتي من بينها: الاشتقاق، والاقتراض من اللغات الأخرى، والنحت والتوليد والاستغناء عن بعض الاستعمالات القديمة سواء تعلق الأمر بالألفاظ أو التراكيب[1].

وتتلخص العوامل المساعدة على التطور اللغوي، في نوعين من العوامل على العموم:

**أ) عوامل داخلية:**

وهي التي لها علاقة مباشرة بطبيعة اللغة في حدّ ذاتها انطلاقاً من كونها مؤسسة اجتماعية، قابلة لتطور يتم فيه وضع الأدلة بالاتفاق وبحسب ما تدعو إليه حاجات الأفراد المتغيّرة.

**ب) عوامل خارجية:**

وهما ضربان، يتجسد الأول في العامل الاجتماعي الذي له علاقة مباشرة في التأثير في التطور اللغوي، كتبدل الحاجات التواصلية لدى الجماعة اللغوية من مسميات جديدة التي تفرضها المستحدثات الحضارية، إضافة إلى تسرّب الألفاظ والأساليب الأعجمية بفعل التأثير المتبادل بين الثقافات، ويكمن الضرب الثاني في العوامل النفسية التي من أبرز مظاهره نمط استعمال المتكلم للغته في مختلف حالاته النفسية، وأثر محصوله من القواعد المرجعية في ذلك.[2]

ومما يضيفه حلمي خليل إلى العوامل التي سبق عرضها، عوامل أخرى تُعَدّ في نظره ثانوية، كتلك التي لها علاقة بالطبيعة الجغرافية للبيئة اللغوية، إضافة إلى الجانب الفسيولوجي والبيولوجي للمتكلم باللغة.[3]

وتحوّل اللغة في مجال التنمية الداخلية لها على العامل الخارجي، ولا وجود وظيفي وعملي لها بدون العامل الخارجي، وأشار عبد الجليل مرتاض إلى العوامل الداخلية المؤثرة في التنمية اللغوية في

---

[1] – حلمي خليل، **المولد دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام**، ص:77.

[2] – ينظر: محمد شندول، **التطور اللغوي في العربية الحديثة من خلال نماذج من كتب التصويب اللغوي**، ص:23.

[3] –ينظر، حلمي خليل، **المولد دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام**، ص:21.

اللغة العربية وتشمل العوامل المحددة لمختلف أنماط التغيير المتصّلة بالصيغ الصرفية، وكذلك التغيرات التي تصيب النظام الصوتي للغة من اللغات.[1]

و يرى أن العامل الخارجي أسبق وجوداً وحضوراً من العامل الداخلي في أية لغة من اللغات، باعتباره مرتبطاً بمستعمل هذه اللغة، أي المجتمع اللغوي الكلي، ويرى أن العامل الداخلي قد يكون غير كذلك. لاسيما في عصرنا الحالي الذي أصبح فيه التداخل اللغوي ضرورة لابد منها خاصة على المستوى التكنولوجي العالمي.[2]

أما علي عبد الواحد وافي فيحصر العوامل التي تؤثر في ظاهرة التطور اللغوي في ستة عوامل هي:

1) عوامل اجتماعية خالصة والمتمثلة في حضارة الأمة، ونظمها، وعاداتها، وتقاليدها، وعقائدها ، ومظاهر نشاطها العلمي والعقلي، وثقافتها العامة.
2) تأثر اللغة بغيرها من اللغات عن طريق الاحتكاك المتبادل بينهما.
3) عوامل أدبية والمتمثلة في الإنتاج الأدبي للناطقين باللغة، وما تبذله معاهد التعليم والمجامع اللغوية من أجل الارتقاء بها.
4) ويتمثل هذا العامل في انتقال اللغة من السلف إلى الخلف.
5) وتطور اللغة بفضل عوامل طبيعية تتمثل في الظواهر الجغرافية والفيزيولوجيا.
6) وعوامل لغوية تتعلق بطبيعة اللغة في حدّ ذاتها وطبيعة أصواتها وقواعدها ومتنها ... باعتبار أن عناصر اللغة قد تنطوي على نواح تعمل على تطورها.[3]

---

3- ينظر: عبد الجليل مرتاض ،**العربية بين الطبع والتطبيع (دراسات لغوية تحليلية لتراكيب عربية)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص:176.

4- **المرجع نفسه**، ص:177.

[3]- ينظر: علي عبد الواحد وافي، **اللغة و المجتمع**، ص:10.

وعموما ينعكس الأثر الخارجي على اللغات بشكل كبير على المستوى المعجمي من مستوياتها، بفضل سهولة وسرعة انتقال الكلمات من لغة إلى أخرى دون قيد، أو شرط يتحكم في ذلك .

## 3- عوامل نمو وتطور اللغة العربية:

تتطور اللغة العربية وتنمو بفعل مجموعة من العوامل كغيرها من اللغات باعتبار ذلك فعلاً طبيعياً يضمن للغات ديمومتها واستمراريتها جنباً إلى جنب مع التطور الاجتماعي للناطقين بها. وتخضع العربية في عملية تطورها ؛ بانتقالها من حالة إلى أخرى لعوامل خارجية، وأخرى داخلية تتجلى في اللغة ذاتها.

### 3-1. العوامل الخارجية لنمو وتطور اللغة العربية:

لا يخفى على الكثير منا الدور البالغ الأهمية للبعد العقدي المرتبط بالحقل اللغوي العربي في نمو وتطوير الدرس اللغوي العربي، فارتبطت قداسة الدّين بقداسة النص القرآني، وبذلك أولى المسلمون القرآن الكريم،ولغته التي دوّن بها أهمية و مكانة جعلتا تفسير القرآن وشرح مبهمه وتفصيل مجمله من أولوياتهم؛ بسعيهم الدؤوب لفهم خبايا اللغة العربية في جميع مستوياتها. « فكان المسلم وهو عربي لم يتجاوز بعد بلاده، توّاقاً إلى معرفة كتاب الله وما جاء فيه من حلال وحرام وأحكام، ولم يكن ليتأتي له هذا إلاّ بإعراب لفظه وتفسير غريبه، وعلى هذا فإن هذه البوادر صاحبت بداية النص القرآني وتَدَارُسه ، ولذا فليس غريباً أن نجد مؤلفات دراسية في القرآن بصرف النظر عن حجمها ومنهجها، ربما سبقت المؤلفات النحوية – أي اللسانية بالمفهوم العام – نفسها، وكانت هذه المؤلفات أو الدراسات غالباً ما تتناول التفسير القرآني، وما ورد فيه من لغات ومعاني وأحكام».[1] وعلى سبيل المثال- لا الحصر- طرأ على بعض الألفاظ في اللغة العربية ذات الطباع الفقهي أو الشرعي العديد من التطور، حيث كانت هذه الألفاظ موجودة قبل الإسلام،

[1] – عبد الجليل مرتاض، **الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية**، ط2، دار هومه، الجزائر، 2009، ص:45.

لكنها كانت تدل على معان غير التي صارت تدل عليها، فأصبحت تدل على ما يقاربها من المعاني الجديدة. فلفظ "المؤمن" مثلاً كان متداولاً في الجاهلية، وكان يدل على الأمان، أو الإيمان المراد به التصديق، وفي القاموس الإسلامي أصبح يدل على المؤمن وهو غير الكافر وله في الشريعة شروط معينة لم تكن من قبل. والأمر نفسه بالنسبة لمصطلح المسلم، والكافر، والفاسق، والصلاة، والتي أصلها في العربية الدعاء. وكذلك الركوع، والسجود، والحج، والزكاة ... [1]

وبدافع عقدي خالص تمثل في ذلك الرعيل الأعجمي الذي أقبل إقبال السيل الجارف على النهل من حقول اللغة العربية المتنوعة ، بغرض التفقه فيها والتواصل بها حتى يضمن لنفسه مكانة اجتماعية مرموقة بصرف النظر حتى عن دينه . وفي الوقت نفسه تمنى من وراء ذلك التعامل مع نص القرآن الكريم والحديث الشريف دون وسيطة ولا ترجمة، ومن هنا «لا مشاحة في أن الإسلام ، أثر في اللغة تأثيراً كبيراً، كان تابعاً لتأثيره في العادات والآداب والاعتقادات ...».[2]

ومن جهة أخرى أدى التواصل الحضاري دوراً مهماً جداً في تطوير الدرس اللغوي العربي والانتقال به من مرحلة إلى مرحلة أخرى. حيث عرفت العلاقات العربية والأجنبية ازدهاراً كبيراً بفضل التعاليم التي جاء بها الإسلام، والتي شجّعت على التواصل وتعميق هذه العلاقات والانفتاح على الآخر وثقافته ، الأمر الذي جعل الواقع العربي يتطور بوتيرة جد متسارعة سواء باتساع نطاق الدولة العربية وخروج العنصر العربي خارج جغرافية شبه الجزيرة العربية، أو بتغير الأحوال والظروف الاجتماعية للإنسان العربي في جميع مستوياتها كنتيجة لانتقال الأعجمي إلي جغرافية الدولة العربية حينها ، وبذلك عمل التواصل الحضاري على تطوير اللغة العربية من نواحي عدة:

1- اتساع الحقل الجغرافي للغة العربية، و نطاق استعمالها.

[1]- ينظر، جرجي زيدان، **اللغة العربية كائن حي**، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988، ص:36.

[2]- **المرجع نفسه**، ص:35.

2- شيوع ظاهرة اللحن ممّا شجع علماء اللغة العربية على البحث المتواصل في سبيل حماية الملكة اللغوية من خلال وضع آليات وقواعد لذلك، وهذا لا يعني تغيب الدور السلبي للحن على اللغة.

3- ازدهار ظاهرة الاقتراض وسفر الكلمات بين اللغات سواء بالاقتراض من اللغة العربية أو الاقتراض إليها، بفعل الا نفتاح على الثقافات المتعددة وانتقال مسميات لم يكن يعرفها العرب من قبل إلى اللغة العربية لاسيما المتعلقة بمجالات متعددة، ومختلفة باختلاف الثقافات والحضارات التي تواصل العرب معها بواسطة آليات متباينة.« على أي حال، فإن الظروف الاجتماعية المختلفة الطارئة وما صحبها من امتزاج وتفاعل بين السادات العرب والعناصر البشرية الجديدة، وما لازم هذه الحياة من تطور قد أدت إلى ظهور مفردات وأبنية لغوية مختلفة في شتى مظاهرها الصوتية والنحوية والصرفية، وعن هذا الاختلاط الجنسي المتعدد مع أسر عربية في الحروب والفتوحات والصلوات والمصاهرات والأسواق والمواسم الدّينية ... نشأ جيل جديد ثاني مختلط، استجابت أصواته البيولوجية إلى لغة تأثير الناس المحيطين به، لأن الأصوات فينا ليست فطرية ... والخلاف في الكلام المكتسب الذي يزرعه فينا هذا المجتمع أو ذاك، ونوعيته تكون تابعة لهذه الأصناف من المجتمعات».[1]

ويرى حسين جبر أن العوامل التي ساهمت في نمو وتطوير الدرس اللغوي العربي تتشكل في ثلاثة عوامل:

1) «حفظ لسان العرب: وهذا انطلاقاً من كون العربية لغة القرآن من جهة ،ومن جهة أخرى حرص الإنسان العربي على سلامة لغته، حيث عمل العلماء العرب بقواعد النحو ليعرف العربي لغته ويتجنب الأخطاء التي يقع فيها والتي ترتبط بدرجة فهم اللغة وفهم النص القرآني المقدس.

[1] - عبد الجليل مرتاض، **الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية**، ص:43.

2) حرص العلماء على اجتناب الأخطاء، حيث عَمِل العلماء، وبخاصة غير العرب، على رصد قواعد النحو لمعرفة الخطأ من الصواب بسبب شيوع اللحن وازدياد هذه الظاهرة بزيادة جغرافية الدولة الإسلامية.

3) تيسير تعلم اللغة: وجاءت ذلك نتيجة لحاجة الأعاجم إلى تعلم اللغة العربية، حيث احتاج هؤلاء إلى وضع قواعد تيسّر وتسهّل لهم هذه المهمة».[1]

وحصر عبد الجليل مرتاض العوامل التي ساعدت على سرعة وانتشار وتوسع اللغة العربية في الأقاليم الإسلامية فيما يلي:

- « الخصائص الذاتية للغة العربية نفسها كاشتراك اللغة العربية في بعض الخصائص مع اللهجات المفتوحة.
- العلاقات الدموية بين الفاتحين وبعض الشعوب المفتوحة.
- وجود خصائص مشتركة بين لغة الفاتح ولغات المفتوحين.
- الجاليات العربية الفاتحة، كانت تمثل السلطة الغالبة.
- صلة الدّين الجديد باللغة العربية.
- رغبة المفتوحين في تعلم العربية بحكم قداستها.
- أن العربية أضحت بعد تعريب الدواوين لغة الانتفاع الدنيوي (الارتزاق)».[2]

لكن شيوع اللحن، بمعناه الذي يفيد الخطأ، كان من ضمن العوامل الأساسية التي سرّعت بوضع قواعد وقوانين تحمي اللغة العربية من هذه الظاهرة نظراً لقدسيتها وتعصّب العربي للغته. «لا يكاد الحديث عن نشأة النحو العربي يخلو من الحديث عن الأسباب التي كانت وراء هذه النشأة، وتكاد كلها تتركز في قضية "اللحن" الذي رآه القدماء خطراً على العربية وعلى القرآن الكريم.

[1] – حسن جبر، **أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها**، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1999، ص:305.

[2] – عبد الجليل مرتاض، **بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب**، ط1، مؤسسة الإشراق، بيروت، 1988، ص:46.

وهو رأى له ما يسنده من روايات التاريخ على ما فيها من تناقض واضطراب. غير أن "اللحن" وحده لا يفسر نشأة النحو وبخاصة على أول صورة وصل بها إلينا وأعني بها كتاب سيبويه. والأقرب عندي أن النحو- شأن العلوم الإسلامية الأخرى- نشأ لفهم القرآن».[1]

يبدو مما سبق أنّ من بين أهم الأسباب الخارجية المساهمة في نشأة وتطوير الدرس اللغوي العربي تتجسد في سببين رئيسين: تيسير فهم النص القرآني المقدس، ومحاربة ظاهرة اللحن، إضافة إلى تعصّب العنصر العربي للغته والخوف على فساد ملكته اللغوية. لكن تطوير الدرس اللغوي العربي في الجانب المعرفي منه بشكل عام ، والمنهجي على وجه الخصوص خلال المراحل المختلفة من الحضارة العربية الإسلامية أمر يطرح إشكالية مساهمة الأجنبي في ذلك، سواء الأعجمي الذي انضوى تحت راية الإسلام، أو الأجنبي الذي ينتمي إلى ثقافة غير عربية، ويدين بغير الإسلام لما احتواه العنصر العربي في مجتمعه ، لأن خاصية التراكمية في البحث العلمي مسألة تتجاوز الحدود العقدية، والأثنية والجغرافية ، فازدهار العلوم وتطورها كانت نتيجة لعملية الأخذ والعطاء داخل المجتمع الإنساني. فالمعرفة مهما كان لونها هي نتيجة لتراكم وتضافر جهود البشرية جمعاء، وهو ما يطرح جدلية علاقة النحو العربي بالمنطق الأرسطي على وجه الخصوص، وعلاقة الدرس اللغوي العربي بنظيره الهندي والفارسي ... وهو ما سنحاول الإشارة إليه في الفصل الرابع من هذا البحث « ولعليّ أسرع أيضاً فأقول أن المناخ الإسلامي العام هو الذي أنتج (علوماً إسلامية) تشاركت في النشأة وساهمت في أسباب التطور وفي وجه التأثير والتأثر ...».[2]

هذا عرض موجز لأهم العوامل الخارجية المساعدة على تطور ونمو اللغة العربية وفيما يلي سنقف عند العوامل الداخلية في اللغة العربية المؤدية للغرض نفسه.

---

[1]- عبده الراجحي، **النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص:11.

1- **المرجع نفسه**، ص:12.

### 3-2. العوامل الداخلية المساعدة على نمو وتطور اللغة العربية:

إن للغات وسائل متعددة تنمو بها وتواكب من خلالها مستجدات التطور الطبيعي لحاجات المستخدمين لها، واللغة العربية من بين هذه اللغات فلها وسائل وآليات تنمو بها وتتجدد كلما احتاجت لذلك ومن أبرز هذه الوسائل نجد:

- القياس.
- الاشتقاق.
- الوضع والارتجال.
- النحت.
- القلب والإبدال.
- نقل الدلالة.
- التقريب.
- إحياء المماة.

وفيما يخص العامل الأخير يشير عبد الرزاق الصاعدي في قوله: « إنّ للمماة دوراً في تنمية اللغة العربية يتمثل في إمدادها بألفاظ من مخزونه الثريّ، فلربما ماتت الكلمة واختفت زمناً طويلاً ثم بعثت من جديد، كإحياء الكلمات الميتة للتعبير عن العلمية الجديدة».[1]

وترتكز العوامل الداخلية في التنمية اللغوية كل التركيز، «أو تعول كل التعويل على العامل الخارجي، وتصبح هذه العوامل بدون معنى وظيفي وعملي بدون هذا العامل».[2]

إنّ العوامل الداخلية هي عوامل ومؤثرات تمثل التغيرات التي تصيب النظام الصوتي في لغة من اللغات. أما ما يتعلق بالجوانب النحوية والصرفية في التنمية اللغوية، فأمر أثار جدلاً واسعاً في

[1]- عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، **موت الألفاظ في العربية**، ص:452.

[2]- عبد الجليل مرتاض ، **العربية بين الطبع والتطبيع، دراسات لغوية تحليلية لتراكيب عربية**، ص:176.

الدرس اللغوي. « هل اللغة تُنمى داخلياً من حيث بنياتها النحوية والصرفية أم أنها تتخذ شكل الاستقرار والثبات على الدوام».[1] ولا نرى داعي لمناقشة هذه الجدلية هنا.

وفيما يخص إشكالية التنمية اللغوية بفضل العوامل الداخلية والخارجية وأهمية كلٍّ منهما بالنسبة للآخر ، ودور كل منهما في هذه الظاهرة اللغوية تحدث عبد الجليل مرتاض في قوله: «ومن المطلع عليه مبدئياً أن اللغة تنمي في اتجاه مجالين اثنين لكونهما متحدين ومتكاملين، وقائم الواحد منهما على الآخر وهما العاملان الخارجي والداخلي، وهذا العاملان كلاهما يتفرع إلى عوامل أساسية وجزئية غير منتهية بزمان ولا مكان ولا أفراد لأن المنظومة اللغوية ليست منظومة ذاتية. فقط، رغم مالها من مميزات ذاتية فعلاً، بمعنى أنها منظومة ذاتية ولكن يستحيل عليها أن تقوم بذاتها. وبالتالي فإنها لا تنمى في مجال واحد فقط، ومن حيث المبدأ لا يجوز لنا أن نسمي أحدهما أساسياً وآخرهما ثانوياً فهما بالتنمية اللغوية كالجسد والروح لا يقومان إلاّ معاً ...».[2]

من خلال ما أشار إليه عبد الجليل مرتاض يبدو واضحاً مدى صلابة علاقة اللغة بالمجتمع، بحيث لا يمكن للّغة أن تصمد وتتطور في معزل عن المجتمع فما يحدث بالنسبة للناطقين باللغة من تأثير وتأثر بالشعوب الأخرى ينعكس مباشرة على اللغة. وفي هذا الشأن يقول عبد السلام المسدّي: « فإذا نحن حاولنا أن نستشف قيمة النظرية التطورية في تاريخ الفكر اللغوي العربي أدركنا أن الرؤية اللسانية لها قد لا تحصر خصبها في محتواها الذاتي بقدر ما تتبيّنه فيما قادت إليه من اعتبارات مبدئية بشأن خصائص الظاهرة اللغوية عموماً... ومفاد هذا التقرير التطوّري من الوجهة النظرية أنّ اللغة تتفاعل مع الزمن فترضخ إلى سلطانه عبر مواكبتها له في وجودها ...».[3]

---

[1]- **المرجع السابق** ، ص:183.

[2]- **المرجع نفسه**، ص:136.

[3]- عبد السلام المسدّي، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، ط2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1986، ص:93.

وبهذا لا يمكن أنّ يكون للغة شأن في حدّ ذاتها، فاللغة العربية سايرت المجتمع العربي في مراحله المختلفة، حيث خضعت لما خضع له بحكم أنّها جزء من المجتمع، وكائن حي يخضع لنواميس التطور والتغيّر، وإلاّ لجرّدت اللغة من خاصية النسبية التي تتسم بها كل اللغات.

# الباب الأول:

## التواصل الحضاري والدرس اللغوي العربي

## خلال العصرين العباسي الأول والثاني

# الفـــصل الأول

## التواصل الحضاري في العصرين العباسي الأول والثاني

شهدت هذه الفترة الزمنية من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية تطورا مهما في العلاقات العربية الأجنبية من جهة، والعلاقات العربية العربية من جهة أخرى وعلى جميع الأصعدة بفضل عوامل عدة ساهمت في الارتقاء بهذه العلاقات وتطويرها؛ ممّا شجع عملية التبادل بين الشعوب التي تواصل معها العرب، وحتى بين الأقاليم العربية نفسها.

**المبحث الأول: التواصل مفهومه وأنواعه.**

نرى انه من المفيد هنا أن نشير إلى الفرق بين مصطلح "التواصل" و"التبليغ" قبل ان نقف عند مفهوم لفظة " التواصل".

ويكمن الفرق بين هذين المصطلحين في أنّ:

**التبليغ:** يقتصر مفهومه على وجود ايجابية من طرف واحد، كطبيعة الاتصال بين التلفزيون ومشاهدة البرامج

أ ←---------- **س**

**– التواصل:** الذي يعني المشاركة والاتصال ذهابا وإيابا كما هو الحال بين المعلم والمتعلم في العملية التعليمية،[1] غير أنّ هناك من الباحثين من لا يفرق بين هذين المصطلحين، ويتفق على مدلول واحد للمصطلحين. أ ←→ ب

**1– المفهوم اللغوي للتواصل:**

جاء في "القاموس المحيط" في مادة وصل بمعنى وصَلَ الشيءُ بالشيءِ وصْلاً وصُلَةً، بالكسر والضم، ووصَّلَه: لأمه. وإليه وصولاً ووصلة وصِلةٌ: بلغه وانتهى إليه. وأوصَله واتصل: لم ينقطع.[2]

[1]– ينظر، سناء محمد سليمان، **سيكولوجية الاتصال الإنساني ومهاراته**، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2014، ص:23.

[2]– ينظر،الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص: 1068.

وورد في "مشتاق الأنوار على صحاح الآثار" في مادة (و ص ل):« تواصل هو متابعة الصوم دون الإفطار بالليل... وقوله إياكم والوصال وإنك تواصل هو صلة صيام الأيام لا يفطر في الليل...».[1]

ويعرف التواصل لغة بأنه الاتصال والتواصل والترابط والالتئام، فهو لا يخرج عن معنى القرب وبلوغ الغاية.

والوصول هو بلوغ، والوصول ضد الهجران وكل شيء أتصل بشيء مما بينهما وصله والجمع "وصل".

والتواصل ضد التصادم، وأصله مواصلة ووصلا ومنعه المواصلة في الصوم بمعنى المداومة.[2]

و أورد قاموس "أكسفورد الصغير" ستة تعريفات مختلفة لكلمة "اتصال" والتي توضح الارتباطات المختلفة لهذا المصطلح وهي:

- عملية نقل المعرفة وخاصة الأخبار، وكذلك المعرفة نفسها أو المعلومات المنقولة.
- وسيلة ربط الأماكن المختلفة ببعضها البعض مثل: الباب، الممر... الخ.
- العلاقات الاجتماعية.
- وسيلة نقل بين القاعدة والجبهة.
- علم أو علوم نقل المعلومات وممارسته علميا وخاصة من خلال الوسائل الإلكترونية والميكانيكية.
- البحث الذي يقرأ على مجتمع أكاديمي أو أمام جمعية علمية.[3]

---

[1]- عياض بن موسى أبوا الفضل، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، المكتبة العتيقة، المغرب، ص:288.

[2]- ينظر، سناء محمد سليمان، **سيكولوجية الاتصال الإنساني ومهارته**، ص:24.

[3]- **المرجع نفسه** ،ص:24.

وعرّف "التبليغ" في القاموس نفسه بأنه: «عملية نقل الأفكار والمعرفة والمعلومات وغيرها... وتبادلها عن طريق الكلام والكتابة والعلامات... ويعني مفهوم العلامات أنّ الاتصال يمكن أن يحدث دون كلمات».[1]

وتشترك هذه التعاريف كلها في معنى التواصل ضد التصادم، والربط، والتبادل الإيجابي بين طرفي التواصل ، وكذلك الجمع بين طرفي عملية التواصل.

**2- التواصل من منظور لساني:**

وعرّف التواصل من هذا المنظور بتعريفات متباينة انطلاقا من مجالات اللسانيات وما يتعلق بها من تواصلات لسانية وغير لسانية.

وورد مفهو م التواصل في معجم اللسانيات الذي أشرف عليه "ج. دبوا" في تعريفين مختلفين:

**أولهما:** أن التواصل تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظا أو قولا موجها نحو متكلم آخر يرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية، وذلك تبعا لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم.

**وثانيهما:** أن التواصل حدث نبأ ينقل من نقطة إلى أخرى. ونقل هذا النبأ يكون بواسطة مرسلة استقبلت عدد من الأشكال المفكوكة.[2]

ويذهب "عبد الجليل مرتاض" إلى أنّ الدارسين لاحظوا أنّ التعريف الثاني يزيد مسألة التواصل غموضا لأنه يعمّم ما يتصل بالغة وبغيرها من المعلومات تستخدم في مجال الاتصالات الأخرى التي لا تمت بصلة إلى اللغة.[3]

---

[1]- **المرجع السابق**،ص:25.

[2]- ينظر، عبد الجليل مرتاض، **اللغة والتواصل: اقترابات لسانية للتواصلين: الكتابي والشفهي**، ص: 78.

[3]- ينظر، **المرجع نفسه**، ص: 79.

«والتباينات المطروحة لتعريف التواصل أعم بين اللسانيين منها بين اللسانيات، لأنّ هدف هذه الأخيرة المتمثل في دراسة نظام علامات اللغة الصوتية لم يعد منذ مطلع القرن العشرين يلج فيه كثير من الدراسيين... ومع ذلك فإن الإشكال يظل مطروحا حول مدلول اللسانيات نفسها، لأننا حين نعمم ميدانها، فإنها ستشمل كلّ أضرب التواصلات. بما فيها التواصلات غير اللسانية».[1]

ويبدو واضحا من خلال التعاريف السابقة لمصطلح "التواصل" من منظور لساني بأنّ مسألة تعدد الأراء اللسانية، وتنوّع أشكال التواصل من لغوية وغيرها بدا واضحا في هذه التعاريف وجاءت هذه التباينات في تعريف هذا المصطلح بناءا على ذلك.

وبذلك يمثل اللقاء البارز الذي حصل بين اللسانيات بصفة عامة ونظرية التواصل طفرة في الدراسات التي اجتازها الباحثون في المجالين معا، بحيث تجد في القضايا الأساسية والفرعية في علم اللسانيات ونظرية التواصل تقاطعات محورية، تعمل بذلك على تجسيد آفاقا واسعة لتبادل الخبرات والنتائج، وكذلك إعادة فحص أطراف عملية التواصل، والآليات الظاهرة والخفية لكل سيرورة تواصلية، مع الاحتفاظ بالخصوصيات الأساسية لكلا التخصصين.[2]

وعرّف "جورج ميد"هذا المصطلح قائلاً «أن عملية الاتصال تحدث كافتراض أساسي للعملية الاجتماعية وفي مقابل ذلك تعدّ العملية الاجتماعية افتراضا أساسيا للاتصال الممكن».[3]

ومن المعاجم اللسانية التي تناولت مفهوم التواصل كذلك معجم تعليم اللغات لكوست وڤالسون حيث « يرى هذا المعجم أنّ نظرية المعلوماتية... تحول الإعلام أو تنقله بين باث ومتلق،

---

[1]- **المرجع السابق**، ص: 77.

[2]-ينظر، عبد القادر الغزالي، **اللسانيات ونظرية التواصل: رومان ياكبسون نموذجا**، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 2003، ص:21.

[3]- سناء محمد سليمان، **سيكولوجيا الاتصال الإنساني ومهارته**، ص:25.

وذلك بفضل مرسلة تمر عبر قناة مثل الإعلام عن طريق التلفزيون، حيث الباث أو المتكلم سيرسل إلى مستقبله أو مكالمه مرسلة بفعل ذبذبات كهربائية، بواسطة قناة الخط الهاتفي».[1]

ويرى "أندري مارتني" ولسانيون آخرون انّ إحدى وظائف اللغة الاتصال، وهي الوسيلة التي تسمح لمستعمليها للدخول في علاقات فيما بينهم.

واهتم الدرس اللساني بالتواصلين الكتابي والشفهي على وجه العموم كجزء من علم السميولوجيا؛ الذي يهتم بدراسة العلامات باعتبارها من أنواع التواصلات التي تؤدي نفس الغرض الذي يؤديه التواصل اللغوي بشقيه، بل وعدّت اللسانيات جزء من هذا العلم الذي يشمل كلّ التواصلات اللسانية وغير اللسانية.

## 3- المفهوم الاصطلاحي للتواصل:

بعد عرض التعريف اللغوي لهذا المصطلح، وكذلك تعريفه من منظور لساني .سأقف هنا عند التعريف الاصطلاحي له بعرض بعض التعريفات من هذا الجانب.

تطور استعمال مفهوم هذا المصطلح بشكل تدريجي في اللغة الفرنسية – على سبيل المثال لا الحصر – « تَوَاصَل communiquer والتواصُل communication ظهرتا في اللغة الفرنسية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي فالمنى الأصلي الذي هو "شارك في" قريب جدا من اللاتينية وفعلها communicare وتعني الوضع داخل وحدة والوجود في علاقة ...والى حدود القرن الخامس عشر اقترب مفهوم communier و communication التي تعني المشاركة في الآراء وفي العاطفة أو وحدة الشعور ، وفي العاطفة أو وحدة الشعور ، وهي صيغة قديمة استعملت في القرن العاشر والثاني عشر ، وهي مشتقة أيضا من فعل communicare ...وفي القرن السابع عشر ظهرت "الأنابيب الناقلة " les tubes communiquer فالظاهر أن الاستعمالات الدالة على التقسيم بدأت تسير تدريجيا إلى

[1]-عبد الجليل مرتاض، **اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي**، ص: 80.

مستوى ثان ، لتترك مكانها للاستعمالات المركزة حول "نقل" ...، وأصبحت القطارات والتليفونات ووسائل الإعلام تدريجيا يعني وسائل للتمرير من (أ) إلى (ب).»[1]

فالتواصل مكوّناً رئيسياً للعلاقات بين المجتمعات البشرية على اختلاف أنماطها،« وفي الوقت نفسه أداة جمع المعلومات وأداة التأثير التي يستخدمها كل أطراف هذه العلاقات. إنّ أطراف التواصل يتبادلون علاقاتهم مع بعضهم البعض عن طريق هذا الفعل الذي يعتبر طريقا للتأثير والوسيلة الآلية للتغير».[2]

وعُرِّفَ التواصل ايضا بانه«العملية التي يستخدمها المشاركون لتبادل المعلومات والأفكار والحاجات والرغبات. وهي عملية نشطة تتضمن تشفير وإرسال وحل تشفير الرسالة المقصودة...».[3]

بما أنّ هدف التواصل على عملية نقل وتبادل المعلومات، والأفكار، والحاجات، والرغبات، فإنّ استخدام هذا السلوك يتجاوز الحدود الجغرافية، واللغوية، والعقدية، والانتماءات السياسية... بحكم أنّ المعلومات المتبادل تتجاوز هذه الحدود.

ويدلّ مفهوم التواصل كذلك على عملية نقل وتبادل الأفكار والتجارب بين الأفراد والجماعات وبين الأمم الشعوب عبر مراحل زمنية متلاحقة، وأماكن مختلفة.

و لتحقيق نجاح هذه العملية على اختلاف حجمها وأهدافها ينبغي أن تتوفر عناصر عدة لتحقيق ذلك.

« والاتصال هو حامل العملية الاجتماعية وهو الوسيلة التي يستخدمها الإنسان لتنظيم واستقرار وتغيير حياته الاجتماعية ونقل أشكالها ومعناها من جيل إلى جيل. وهو ظاهر اجتماعية

[1]- رايص نور الدين ،**نظرية التواصل واللسانية الحديثة** ،ط1، مطبعة سايس ، فاس ، 2007 ، ص: 22

[2]- سناء محمد سليمان، **سيكولوجية الاتصال الإنساني ومهاراته**، ص:25.

[3] - روبرت إي، الأصغر، **مقدمة في التطور اللغوي**، ص:44.

وقوة رابطة لها دورها في تماسك المجتمع وبناء العلاقات الاجتماعية. وهو العلمية الاجتماعية الأساسية طالما كانت المعاني والأفكار التي تنقل بواسطته مؤثرة».[1]

وبحسب فهمي للتعريفات الوارد ذكرها أرى أن للتواصل دوراً مهماً في نشأة العلاقات الاجتماعية وتطويرها، ورسم معالمها وفيما يلي عرض لأهم نظريات التي تناولت هذه الظاهرة(التواصل).

## 4- نظريات التواصل:

إنّ البحث في مسألة التواصل بمختلف أنواعه ليس وليد اليوم. على اعتبار أن البحث في هذه المسألة قديم قدم المعرفة بشقيها الابستمولوجي والمنهجي، حيث تناول أرسطو هذه الظاهرة بوضعه أسس علمية لا تزال قائمة لحد الآن- للتفاعل بين عناصر هذه العملية (المرسل، المستقبل)، وتقوم هذه المعايير على أن تعدّ الرسالة بصورة شيقة وجذابة ومقنعة، حتى يكون لها أثرا بالصورة المراد تبليغها ولا قيمة للتواصل عند أرسطو ما لم تكن الرسالة تؤدي المعنى المراد منها. وقسم بدوره الموقف التواصلي إلى ثلاث مراحل: الخطيب، الخطبة، الجمهور.

ويرى أرسطو أنه يجب على المرسل إدراك ما في نفوس الجماهير المستهدفة على أساس أنّ إدراك الرسالة من قبل المرسل إليه (المستقبل) ينطلق من تفسيره لهذه الرسالة.[2]

بالمقابل بدا لي أن ابن خلدون لم تكن له نظرية في التواصل بل كانت له وجهة نظر في ذلك في قوله: «إنّ النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته خفة من التمحيص والنظر حتى تتبيّن صدقه من كذبه إذا خامرها لا تشيع لرأى أو تحله قبل ما يوافقها من الاختبار لأول

[1]- سناء محمد سليمان، **سيكولوجية الاتصال الإنساني ومهاراته**، ص:32.

[2]-ينظر، **المرجع نفسه** ، ص: 63

وهلة»، بل ألحّ ابن خلدون على المستقبل أن يضع كل رسالة تصل إليه في ضوء طبيعة العمران الإنساني.[1]

## 1- نظرية رومان ياكوبسون التواصلية :

اعتُبر موضوع التواصل في اللسانيات بشكل عام وعند "رومان ياكوبسون" بشكل خاص من أهم المواضيع التي أسست لعديد من الإشكالات النظرية والتطبيقية في مجال اللسانيات الحديثة.

وأفرد مبحثا خاصا بهذا الموضوع (نظرية التواصل) في كتابه "محاولات في اللسانيات العامة". وحدد موضوع التواصل عند ياكبسون بأنه بحثا تأمليا في المميزات الخاصة في كل نظام من العلامات مستعمل بين كائنين (حيين أم تقنيين) يهدف إلى غاية تواصلية.[2]

وبناء على التعريف السابق فإنّ عملية التواصل مكوّنة من أطراف تؤثر في كل مراحل العملية التواصلية، حيث تبدأ من السنن code المشترك بين المتكلمين إلى قناة الاتصال وإبلاغ الرسالة لعناصرها السياقية والمضمونية، أما قطبي التواصل فتتمثل في المحوريين هما: المرسل والمتلقي، ويأخذ كل طرف من أطراف العملية انطلاقا من نمط التواصل.

فالسنن هنا يستند في التواصل اللغوي على مجموعة من الفونيمات والمورفيمات في لغة ما. أمّا في التواصل غير اللغوي فإنه يمثل مجموعة الاصطلاحات المنضبطة والمماثلة للعلامات، وتختلف أنماط السنن بناء على قواعد التأليف وعدد العلامات أو بحسب الممارسين الفعليين لهذه السنن.[3]

أما القناة عند ياكوبسون فأنها تمثل محور عملية التواصل، وتختلف طبيعة القناة باختلاف نوعية التواصل كذلك. أما المرسل فهو مصدر تكون وتحقق الرسالة، كما يندرج تحت مصطلح المتلقي كل آليات تلقي الرسالة.

---

[1]- ينظر، **المرجع السابق**، ص: 64 .

[2]-ينظر، عبد القادر الغزالي، **اللسانيات ونظرية التواصل: رومان ياكبسون نموذجا**، ص: 24.

[3]- ينظر، **المرجع نفسه** ، ص: 24.

وهناك شرطان ضروريان في كل عملية تواصلية، يتمثل الأول في الأفراد المشاركين في التواصل، أما الثاني فيتمثل في العلاقات الزمانية و الفضائية.[1]

واعتبر ياكبسون العوامل الستة ( المرسل ، الرسالة ، المرسل اليه ، السنن ، المرجع ،القناة ) مهمة في الوضع التواصلي بمختلف مستوياته ومميزاته[2]

وفي السياق نفسه أشار ياكبسون إلى التقاطعات بين نظرية التواصل واللسانيات (التواصل اللساني) ، حيث أشار إلى جوانب الاختلاف والتشابه في معالجة عملية التواصل.

**2- نظرية شانون التواصلية:**

كان لميلاد هذه النظرية عظيم الأثر في جلب المهتمين بمجال الإعلام، وأُقحِمت بذلك اللغة الإنسانية في المجال الفيزيقي.

« ويعتبر اللسانيون وعلماء الاتصال أن النظرية التي صاغها كلود شانون من أهم ما أنجز في نظرية المعلوماتية، وما يهم التواصل اللغوي بشكل خاص ثلاثة محاور من هذه النظرية:

1) مخطط أو ترسيمة التواصل ومفهوم القانون أو السنن.
2) قياس كمية الإعلام.
3) مفهوم الإنسان الآلي المتناهي».[3]

ويقترح "كلود شنون" ترسيمة من خلالها يمكن إدراك عملية التواصل وفيها يكون مصدر الإعلام هو الذي يتكفل بإعداد مرسلة والتي لابدّ من تشفيرها لتكون جاهزة للإرسال، ويكون هذا التشفير على مستوى الباث (المرسل ) بواسطة الإشارة المتفق عليها عبر قناة التوصيل أو التبليغ الذي يربط الباثّ والمتلقي معا، وبعدها يكون دور المستقبل ضروري لكي يقوم بفك الإشارة التي

[1]-ينظر، **المرجع السابق**،ص: 25.

[2]- الطاهر بومزبر ، **التواصل اللساني والشعرية** ، ط1 ، منشوات الاختلاف ، الجزائر ، 2007.ص: 24.

[3]- عبد الجليل مرتاض، **اللغة والتواصل: اقترابات لسانية للتواصلين الكتابي والشفهي**، ص:81.

تلقاها، و تصويب أو تصحيح المرسلة الموجهة إلى المرسل إليه، وخضعت هذه الترسيمة لتعديل يسهّل فهمها، حيث أهمل خمسة عناصر من الترسيمة الأولى.[1]

### 3- نظرية ستيفنسون في الاتصال:

وتتضمن هذه النظرية الربط بين الاتصال و الإمتاع على اعتبار أن المستقبل يشعر بالاستغراق والمتعة فيما يقرأ أو يشاهد في الاتصال الجمعي.

كما تضمنت أيضا الربط بين الاتصال وصناعة الرأي العام الارتقاء بالأذواق العامة والثقافة.[2]

لكن كلّ ما يتلقاه المستقبل يمتّعه على اختلاف وتعدد آليات التواصل،كما أنه قد لا يساهم التواصل في الارتقاء بالأذواق وقد يؤدي وظيفة معاكسة للارتقاء بالأذواق والثقافات بالرغم من حدوت الاتصال. وحدّد "ستيفنسون" ثلاثة شروط للموقف الاتصالي في نظريته وهي:

1) «إلزام المرسل بأيدلوجيا المجتمع التي من أهدافها ربط المواطنين بمجتمعهم والارتقاء بأذواقهم في مختلف النواحي الاجتماعية والثقافية.
2) صياغة الرسالة في أسلوب شيق يعتمد على الإمتاع بشكل يجعل المستقبل على اتصال مستمر بمصادر المعلومات.
3) إتاحة الفرصة للمستقبل للدخول في حوار مع المرسل حتى يؤدي ذلك إلى تكوين رأي عام مستير».[3]

على العموم وإضافة إلى ما سبق الإشارة إليه، فإنّ الدراسات والبحوث المتخصصة في نظرية التواصل أخذت تسلك مسلكا علميا في الأربعينيات من القرن العشرين، ومنذ أن قام "شانون"

---

[1]- ينظر، **المرجع السابق** ، ص،81-83.

[2]- ينظر، سناد محمد سليمان، **سيكولوجية التواصل الإنساني ومهاراته**،ص:65.

[3]- **المرجع نفسه**، ص:65.

بتقديم النظرية الرياضية للتواصل، والتي ساعدت على الاهتمام بالجانب التواصلي في اللغة الإنسانية.[1]

والتواصل الإنساني بوجه عام أداة للفعل الاجتماعي، وهذه الأداة معقدة ومنظمة، ومقيّدة بالسياق، ويتضح تعقيدها في تعدد جوانب ووظائف هذه العملية، التي تتضمن كل جوانب التواصل «واللغة إلى جانب العمليات العقلية، كالذاكرة والتخطيط، التي تمارس في إطار المعتقدات الثقافية والمتغيرات الموقفية والاصطلاحات الاجتماعية للمشاركين الفرديين. ورغم تعقيدها تمثل عملية التواصل نمطا منظما من السلوك».[2] وبذلك تلقي عملية التواصل بظلالها على اختلاف أنماطها وتعدد أساليبها على نمط حياة للمتواصلين سواء كانوا فرادى أو جماعات.

## 5- الوظيفة التواصلية للغة:

إنّ من الوظائف الأساسية للغة التواصل بين المستخدمين لها، بغية التعبير عن أغراضهم الخاصة كما أشار إلى ذلك "ابن جني" لكن « فإنه بالمقابل يجب ألا نحصر سمعة اللغة الإنسانية أو وظيفتها في طبيعة الاتصال فقط لأن كائنات حية غير عاقلة في هذا العالم الذي يحيط بنا لا تعجز بالنسبة لعالمها الخاص بها، وحتى بالنسبة لتقاطع عالمها مع عوالم خارجية عنها ولو بصورة نسبية ومتفاوتة أن تتواصل فيما بينها».[3]

وبالرّغم من ان اللغة ليست فطرية ، فإنها أداة أساسية للتوصيل والتواصل بين جميع أفراد المجتمع اللغوي، سواء ما تعلق منها بالجانب العلمي تعبيرا عن الأفكار الذهنية والعواطف المتبادلة، والعلاقات الاجتماعية بشكلها العام، ومن جيل إلى جيل عبر تعاقب الزمن.[4]

---

[1]- ينظر، أحمد حساني، **دراسات في اللسانيات التطبيقية- حقل تعليمية اللغات**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2000، ص:76.

[2]- روبرت إي الأصغر، **مقدمة في التطور اللغوي**، ص: 45.

[3]- عبد الجليل مرتاض، **اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للتواصليين الشفهي والكتابي**، ص: 90.

[4]- ينظر، علي أبو المكارم، **المدخل إلى دراسة النحو العربي**.ط1، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2006، ص: 15.

وعلى أساس اللغة يمكن فهم ودراسة الإنتاج الحضاري للشعوب بوجه عام، فكلما نمت الثروة اللغوية زادت طبيعة التواصل كمّا ونوعا بين الأفراد والجماعات. وبذلك تدوّن الخبرات والتجارب للشعوب التي تنتمي إلى مجتمع لغوي ما.

وانطلاقا من كونها منظومة متكاملة، ليس بالإمكان الاستغناء عنها نظرا لما لها من دور تواصلي فعّال في كافة المجالات التي لها علاقة بديمومة الحياة الاجتماعية حاضرا ومستقبلا، إضافة لدورها المحوري في ربط الإنسان بماضيه الذي لا يمكّن الاستغناء عنه.

وهذا لا يعني- بناء على ما سبق ذكره- أنّ التواصل بين الأفراد، أو الجماعات في المجتمع البشري مرتكزا كامل الارتكاز على اللغة بشقيها الكتابي والشفهي.« فليس من شك في أنّ ثمة أدوات اتصال شتى غير اللغة، بل قد يطلق على بعضها- في بعض الأحيان، تجاوزا- لغة، بل إنّ أعضاء الحواس في الإنسان قادرة على أن يكون لها ما يشبه أن يكون لغة خاصة بها، بحيث تكون هنالك لغة للشم، وأخرى للّمس، وثالثة للبصر، ورابعة للذوق، وخامسة للسمع، فعطر ينشر على ثوب، أو ضغطة يد طال أمدها نوعا ما، أو نظرة تزغرد فيها الفرحة عند لقاء غير منتظر، أو كأس من شراب مثلج في يوم قائظ، دق جرس بعد يوم دراسي حافل، كل ذلك قد يكون أداة من أدوات الاتصال ووسيلة من وسائله بين أفراد المجتمع».[1]

وانطلاقا من ذلك يرى "سوسير" أنّ العلامة مفهوم لغوي قبل كل شيء. لكنها تتسع أكثر لتشمل أنماط كثيرة من ظواهر الإنسانية، ومجال العلامات عند سوسير محددا بناءا على ذلك، لكن هذا المجال يتضمن إضافة إلى اللغة، أنظمة أخرى مماثلة لنظام اللغة، والتي تشترك مجتمعة في اعتباطية العلاقة بين دالها ومدلولها[2].

---

[1]-**المرجع السابق** ،ص:16.

[2]- فرديناند دي سوسور،**علم اللغة العام**، تر،يوئيل يوسف عزيز ،ط1، ط1، دار افاق عربية، بغداد،1985 ، ص:86-87.

ويذهب "سابير" إلى أنّ اللغة نظام إنساني إنساني بحت، ومصطلح نمط اجتماعي منظم يوضح صراحة أنّ اللغة التي يستخدمها مجتمع بعينه جزء من ثقافته. وهذا انطلاقا من تعريفه للغة، والتي عرفها بأنها: «... طريقة إنسانية بحتة غير غريزية لتواصل الأفكار والرغبات بواسطة الرموز المنتجة إنتاجا إراديا».[1]

من خلال ما سبق ذكره عن الدور المهم للغة في العملية التواصلية بين الأفراد والجماعات المنتمين لحقل لغوي معين، أو إلى حقول لغوية متباينة، يبدو واضحا مدى ارتباط مسار هذه الظاهر (اللغة) بالخصائص العامة للمنتمين إلى حقلها اللغوي، فتطور حاجات مستخدمي هذه اللغة ينعكس بالضرورة على مسار هذه اللغة سواء بالإيجاب أو السلب.

والمقصود بالتطور اللغوي الملازم لتطور حاجات مستخدمي اللغة هنا. التطور الذي يطرأ على اللغة بفضل عوامل خارجية لا علاقة لها بالبناء الداخلي للغة.

### 5- مكونات العملية التواصلية:

تُعتبر اللغة وسيلة مهمة من ضمن وسائل أخرى تساهم في إنجاح هذه العملية التواصلية على اعتبار أنّ ذلك يكون تبعا للتوافق الحاصل بين المتواصلين ويتطلب كذلك تنسيقا دقيقا لاكتمال ووضوح هذه العملية. ولتحقيق ذلك لابدّ من توفر عدّة مكونات، أو عناصر كلّ حسب وظيفته بغية تحقيق الغرض من هذه العملية والتي تتمثل في:

❖ **المرسل**: وهو مصدر تكوّن وتحقق الرسالة، وهو كذلك الشخص « المبادر بالاتصال، سواء كان شخصية عادية أو اعتبارية بأن يقوم بتوجيه رسالته إلى شخص أو عدة أشخاص، وتكون الرسالة التي يبثها المرسل في صورة كلمات أو حركات أو إشارات أو صور ينقلها للآخرين».[2]

---

[3]- نقلا عن جون ليوتز، **اللغة وعلم اللغة** ، تر: مصطفى زكي حسن التوني، ط1، دار النهضة العربية، ص: 06.

[2]- سناء محمد سليمان، **سيكولوجية التواصل الإنسان ومهاراته**، ص: 47.

وتكون وظيفة المرسل هنا تعبيرية، ويناط به كذلك المبادرة في التواصل.

❖ **السنن code**: ففي التواصل اللغوي يرتكز هذا المكوّن للعملية التواصلية على مجموعة من المورفيمات والفونيمات في لغة ما، أما فيما عدا التواصل غير اللغوي فإن السنن يشكل مجموعة من الاصطلاحات المماثلة للعلامات المختلفة الغير لغوية.[1]

وتختلف أنماط السنن حسب قواعد التأليف وعدد العلامات أو حسب الممارسين الفعليين لهذا السنن.« ولكي يرسل المتكلم مرسلته، فإنه يستحضر قانونا أو سننا code يفترض في متقبله الغائب أو الحاضر إن هذا القانون المشترك متبادل بينهما...».[2]

وتتعدى وظيفة هذا المكوّن لعملية التواصل اللغة لتشمل علامات أخرى غير لغوية، على اعتبار اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول الذي تشترك فيه العلامة اللغوية والغير اللغوية، لأنّ الشرط المهمّ في إتمام العملية التواصلية هو تشفير الرسالة المدركة إلى علامات متفق حوله بين الباثّ والمتلقي.

❖ **القناة canal**: و تمثل محور عملية التواصل لأنها مكان تشكل السنن في شكل رسالة، إضافة إلى كونها مركز الاتصال الفيزيقي بين الباثّ والمتلقي، وتختلف طبيعة ونمط القناة تبعا لاختلاف نوعية التواصل بين المتكلمين أو المتواصلين بشكل عام. «فتتشكل القناة من الهواء بالنسبة للتواصل اللفظي، والمادة اللغوية المكتوبة في التواصل الكتابي، والأسلاك الكهربائية والألياف البصرية بالنسبة للتلغراف والهاتف...»[3] فنمط التواصل هو الذي يتحكم في نوعية القناة في كل العمليات التواصلية سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات، وكذلك « إما أن

---

[1]- ينظر، عبد القادر الغزالي، **اللسانيات ونظرية التواصل رومان ياكبسون نموذجا**، ص: 25.

[2]- عبد الجليل مرتاض، **اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للتواصليين الشفهي والكتابي**، ص:87.

[3]- عبد القادر الغزالي، **اللسانيات ونظرية التواصل رومان ياكيسون نموذجا**، ص: 25

تكون الرسالة الشفوية إذا ما كانت حالة الاتصال الشخصي، أو عن طريق وسيط مثل الكتب والمجلات (و وسائل الإعلام الجماهيرية) إذا كانت موجهة نحو عموم الناس».[1]

❖ **المرسل إليه (المتلقّي):** ويندرج تحت هذا المصطلح كلّ أشكال استقبال وتلقي الرسائل (المتلقي) والذي تنتهي إليه المرحلة الأخيرة من فك التشفير على مستوى العملية التواصلية، عبر قناة معينة يكون نوعها تبعا لنوع وشكل التواصل.

وتكمن وظيفة المرسل إليه، في الوظيفة الندائية، والتي تتعلق بما يتلقاه الشخص الذي يرسل إليه الخطاب في العملية التواصلية سواء كان ذلك قصدا أو عكس ذلك. [2]

ويكون المتلقي في هذه العملية هو المستقبل للرسالة؛ أي الجهة المستهدفة في التواصل سواء كان ذلك شخصا واحدا أو جماعة من الأشخاص، هذه الفئة هي الجهة التي تقوم بفك رموز الرسالة وتفسير محتواها[3] وفهم معناها انطلاقا من اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول في أداة التواصل بين الملتقي والباثّ، ويكون هذا التشفير بناء على نمط المواضعة والتوافق على علامات التواصل التي تختلف باختلاف الحقول اللغوية، والعادات الاجتماعية داخل المجتمع البشري.

❖ **رجع الصدى أو الاستجابة:** ويقصد بذلك ردة فعل المتلقي للرسالة، «سواء كانت بالسلب أو الإيجاب بحيث يتخذ رد الفعل اتجاها عكسيا في الاتصال»،[4] بحيث ينطلق من المستقبل باتجاه الباثّ (المرسل )، وذلك للتعبير عن موقفه من الرسالة بمدى فهمها أو غموضها، وحتى رفضها، وأصبح هذا العامل مهم جدا في تقويم عملية الاتصال بشكلها العام.

---

[1]- سناء محمد سليمان، **سيكولوجية الاتصال الإنساني ومهاراته**، ص:48.

[2]-ينظر، عبد الجليل مرتاض، **اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي**، ص: 88.

[3]-ينظر، سناء محمد سليمان، **سيكولوجيا التواصل الإنساني ومهاراته**، ص: 48.

[4]- **المرجع نفسه** ، ص: 49.

❖ **السياق أو المرجع:** وهو الموقف الذي يتم فيه توصيل الرسالة وقد يتضمن البيئة والمحيط الثقافي المحلي أو العالمي، و وظيفة هذا العنصر المكون للعملية التواصلية إخبارية.[1]

❖ **الرسالة:** وهي الأداة التي تكون محل تواصل بين طرفي العملية التواصلية وتستلزم عملية الترميز للتعبير عن الأفكار والمعاني المرغوب إيصالها، «وهي كذلك محور عملية التواصل، وتكون إما عبارة عن معلومات متوافرة في مجال معين يريد أن يفيد بها عدد من الناس، أو قد تكون خبرات في مجال العمل، أو هي عبارة عن مشاعر كالقلق...» [2]وهناك نوعان من الرسائل:

- الرسائل اللغوية: وتشمل الجانب الكتابي والشفهي منها.
- الرسائل غير اللغوية: وتشمل كل ما هو غير لغوي كحركات الجسم وتعبيرات الوجه ...

من خلال هذه العناصر المكونة للعملية التواصلية هناك شرطان من الأهمية بما كان في كل وضعية تواصلية، يتمثل الأول في الأفراد المشاركين في التواصل، والثاني يتمثل في العلاقات الزمانية، والفضائية أو السياق الموضوعي، وذلك من خلال العلاقة بين زمن البث وزمن التلقي، وكذلك العلاقة الاجتماعية والتاريخية بين المتواصلين.[3]

وتُبنى العملية التواصلية بشكل صحيح بتفعيل الوظائف الأساسية لجميع العناصر السابقة الذكر ،ويؤدي غياب أو نقص في أداء هذه الوظائف الى إحداث تشويش وغموض ينعكس بشكل سلبي على العملية ككل.

---

[1]- ينظر، عبد الجليل مرتاض، **اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للتواصلين الكتابي والشفهي**، ص: 88 .

[2]- سناء محمد سليمان، **سيكولوجيا التواصل الإنساني ومهاراته**، ص: 52.

[3]- ينظر، عبد القادر الغزالي، **اللسانيات ونظرية التواصل رومان ياكبسون نموذجا**، ص:27.

## المبحث الثاني: التواصل الحضاري

إنّ ما يقوي الحضارات ويطورها عبر مرور الأزمنة واختلاف الأمكنة، انفتاحها على الحضارات الأخرى، وتواصلها مع بعضها بعضا، بفعل آليات متنوعة تساهم في استمرار وديمومة هذا الفعل الصحي الذي لا يمكن لحضارة ما الصمود والاستمرار بدونه.

### 1- التواصل الحضاري أمر طبيعي:

إنّ تواصل الحضارات فيما بينهما، دون قيد جغرافي أو عقدي أو لغوي، أو عرقي، سنة كونية لابدّ منها وحالة صحية تعتري الحضارات، بل يزيد ذلك من فاعليتها بتبادل المعارف والخبرات في شتى المجالات، بالمقابل قد يؤدي التواصل بين الحضارات إلى إضعافها ويحدث ذلك جراء التداخل العنيف بين الأمم عن طريق الحروب.

«لم يكن الإنسان في أيّ مرحلة من مراحل تاريخيه بعيدا عمّا يمكن اعتباره ممارسة لعلمية التفكير والحوار مع الآخر واستخدامها في التغلب على مشكلات الواقع الذي يعيش فيه، وذلك بدءا من العصر البدائي... فعاشت الإنسانية تطبيقا لما أنتجته قريحة المفكرين على مرّ العصور، وهو ما عرف اصطلاحا «الحضارات» تلك التي تنوعت بحسب الزمان، والمكان... ».[1]

إنّ الإنتاج الحضاري لشعب ما لا يمكن أن يكون بمعزل عن غيره، ولا يمكنه أن ينشأ ويكتمل ذاتيا سواء من حيث علاقاته بجذور حضارته السابقة، أو من جانب علاقاته مع الحضارات الأخرى المجاورة له، ولذا فإنّ الحضارة أخذ وعطاء.[2] والمتتبع لمسار النشاط الحضاري البشري بشكل عام يكتشف ان الحضارات نمت وتطورت نتيجة تبادل جوانب الأخذ والعطاء بفعل التواصل المباشر و الغير مباشر وهذا شأن جميع الحضارات دون استثناء .و الحضارة العربية

[1]-خالد حربي، **نماذج لعلوم الحضارة الإسلامية وأثرها في الآخر**، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006، ص: 07.

[2]- ينظر، فخري خليل النجار، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص:159.

الإسلامية أفضل مثال يزكي ما ذهب إليه العديد من الباحثين في هذا المجال، حيث تطورت واتسع مجالها الجغرافي نتيجة تفاعلها بتبادلها لجوانب التأثير والتأثر مع العديد من الحضارات شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، وعبر الحقب الزمنية المتلاحقة من تاريخها، لأن «سنة الله اقتضت أن يكون لبعض الحضارات السؤدد الحضاري مقابل خمود البعض الآخر، وذلك لفترات زمانية محددة ثم تتبادل الأدوار... وهكذا، مع الأخذ في الاعتبار أنّ سنة الله التدافعية سلسلة مشتركة الحلقات بين الأمم، بحيث تحمل كل حضارة بين طياتها مبدأ الأخذ من سابقتها، والعطاء للاحقتها، وبذلك تتحقق منظومة «التكامل الإنسانية».[1]

وهذا ما يؤكده فعلا أنصار النظرية التطورية في تفسير نشأة الحضارة، حيث أنّ التطور الحضاري لم ينطلق من عدم أو لم يثبت يوم ما ان نشأت حضارة معينة من لاشيء، أو خلال فترة زمنية محددة، فما بلغته الحضارات المتعددة على اختلاف أزمنتها وأمكنتها كانت نتيجة لتراكم جهود البشرية ككل دون قيد جغرافي أو عرقي، أو عقدي . ونقصد هنا الجانب المادي من عملية التطور الحضاري ، لأن الجانب المعنوي منها قد يرتبط نشأته وتطوره بعامل الوحي الإلهي .

كما أنّ: « لكل حضارة بعض الجذور الثابتة والتي هي إرث حضاري تتركه وراءها تفيد منه كل أمة لاحقة، يمكن أن تتفاعل حضارتها معه وتجعله حجر أساس في بنيانها الحضاري الجديد، هذا الإرث مشاع عام كالهواء وكالشمس لا يمتنع احد من أن ينهل من معينه، من هنا نرى أنّ الحضارة لا يمكن أن تكون منغلقة على ذاتها تأخذ ولا تعطي، إنما هي منفتحة على كل الحضارات وفي كل اتجاه ... ».[2]

بناء على هذه المقولة يبدو جليا مدى تطابقها مع الاتجاه الذي ذهب إليه أنصار النظرية الانتشارية في نشأة الحضارات حيث بإمكان حضارة ما أن تستفيد من نظيرتها في جانب معين من

[1]-خالد حربي، **نماذج لعلوم الحضارة الإسلامية وأثرها في الآخر** ، ص:07.

[2]-حسين الحاج حسين، **حضارة العرب في العصر العباسي**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1994، ص: 05.

جوانبها، بغض النظر عن مدى الاختلاف أو التشابه في المستوى الحضاري بين الحضارات التي تبادلت جوانب التأثير والتأثر.

## 2- التواصل الحضاري قديما:

لم يسبق للتاريخ البشري أن عرف حضارات منعزلة إلا في حالات نادرة كان مصيرها الفشل والأفول، أما الحضارات القديمة الراسخة ذات الأثر التاريخي الفعّال في رسم معالم التاريخ الإنساني فكانت على قدر كبير من التواصل فيما بينها، العامل الذي مكّنها من تعزيز كيانها على جميع المستويات.

وحُدّد الإطار الجغرافي لأعرق وأكبر الحضارات قديما في منطقة الشرق الأوسط وشمال شرق البحر الأبيض المتوسط، وجنوب شرق آسيا بحكم القرب الذي سهّل عملية التفاعل بين أغلب الحضارات التي قامت في هذا الحيّز الجغرافي من الكرة الأرضية، ونظرا لتعدد جسور التواصل وسهولتها نمت وازدهرت هذه العلاقات عبر المراحل المتلاحقة من التاريخ البشري. « فعلى سبيل المثال بعد أن احتكت الحضارة المصرية القديمة بحضارات الشرق الأدنى القديم تطورت أهم ميثولوجية مصرية قديمة التي تحكي قصة الصراع بين الثالوث أوزير وست وحور».[1]

والتواصل الحضاري قديم قدم الإنتاج البشري على الصعيد المادي والمعنوي، وهو عامل مهم في تغيّر النمط الحضاري للأمم ، وتحسّنه من حالة إلى أخرى بفضل توفر هذا العامل.

« وإذ ا كان من سمات الاتصال التاريخي بين الجماعات والشعوب الوجود الإنساني وجودا عضويا، تنتقل معه السمات والأنماط الحضارية التي يحملها متاجرا أو محاربا أو داعيا أو معلما أو مهجرا أو معاشرا ...».[2]

[1]- عبد الحليم رضا عبد العال، **حضارات متداخلة**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2008، ص: 19.

[2]-محي الدين صابر، **التغيّر الحضاري وتنمية المجتمع**، ط1، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ص: 102.

وعن طريق التجارة التي كانت مزدهرة بين الحضارات القديمة كالهندية والصينية، وحضارات ما بين النهرين، والحضارة الفرعونية، والحضارة اليونانية، فإنّ الحروب والتوسعات، وكذلك التبشير الديني أدى الدور نفسه، في تعزيز آليات التبادل بين الامم والشعوب هذا من جهة علاقة الحضارات مع بعضها البعض. ومن جهة أخرى فإنّ التواصل بين الأجيال المتعاقبة لحضارة ما عمل على تطويرها بتراكم الإنتاج المادي والمعنوي لها.

وتشابكت علاقات التواصل بين الحضارة المصرية القديمة وحضارات الشرق الأدنى القديم منذ عصر الدولة الوسطى للحضارة الفرعونية، وتزايدت جوانب التداخل بين تلك الحضارات، خاصة مع تكوين الإمبراطورية المصرية في عهد الأسرة الثامنة عشر، حيث بدأت القصائد الدينية تتأثر بآلهة تلك الحضارات الأسيوية مثل بعل وعشتار وحورون، بالمقابل أثرت عبادة رع في بعض عقائد الشعوب الأسيوية آنذاك.[1]

كما اكتمل نشاط الزراعة والسقي في الحضارات القديمة بتبادل الخبرات فيما بين هذه الحضارات في هذا الجانب، وكذلك كان التأثير متبادلا في ميدان العمارة آنذاك، والخصائص الهندسية لعمارة المقابر والمعابد بين حضارات مابين النهرين والحضارة المصرية أفضل مثال على ذلك، وشمل التبادل أيضا المجال العلمي والثقافي وحتى الديني بين الحضارات القديمة.

وارتفعت وتيرة التداخل الحضاري بين شعوب الشرق الأدنى «في عهد الدولة الحديثة للحضارة الفرعونية، ببلوغ النشاط التجاري والمعاملات الأخرى، وإن كانت القوافل البرية تعتبر وسيلة أساسية للتواصل الحضاري، فإنّ حركة الملاحة لعبت دورا متزايد الأهمية مع ارتفاع وتيرة التداخل الحضاري بتبادل مواد صناعة السفن ومهارات صناعتها.»[2]

---

[1]- ينظر، عبد الحليم رضا عبد العال، **حضارات متداخلة**، ص 19.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 20.

كما تداخلت الحضارة البابلية في مع نظيرتها الفرعونية لاسيما في الجانب العقدي، «وتداخلت مع حضارة الميتانيين في سوريا وشامل الرافدين، ومع حضارة الحيثيين في آسيا الصغرى. وتعتبر الحضارة بمثابة امتداد لحضارة الساميين في بلاد مابين النهرين.»[1]، وساد الحضارة اليونانية والمصرية علاقات متعددة عبر مراحل الحضارة اليونانية والرومانية كذلك.

إنّ ما ذكر هنا من نماذج التواصل بين الحضارات القديمة هو غيض من فيض سواء تعلق الأمر بطبيعة هذه العلاقات، أو ما أفضت إليه من نتائج على امتداد تاريخ هذه الحضارات القديمة.

## 3- ضرورة التواصل بين الحضارات:

سبق أن أشرت إلى أنّ التواصل الحضاري حالة صحية تعتري جميع الحضارات في مراحل تطورها، لكن الباحثين في هذا المجال من العلاقات البشرية يذهبون إلى أبعد من ذلك باعتبارهم التواصل بين الحضارات حتمية وضرورة لابد منها، وهذا ما يشير إليه "حسين حاج حسين": « ولا يخفى على كل باحث أنّ التفاعل بين الحضارات أمر لا مفر منه فهو ظاهرة من ظواهر العدوى والتقليد، وانفتاح كل حضارة على التاريخ تسجل على صفحاته ما تجود به قرائح الموهوبين ومواهب المبدعين، وأشدّ ما يكون هذا التفاعل حينما تكون الحضارة الناشئة في دور التلقي والاحتباس ،لكنها بعد حين تحول ما تلقته وما اقتبسته إلى تراثها متجاوزة به إلى دور الهضم والتمثيل، فيتحول ذلك الأخذ إلى دم قوى جديد يساعدها على بدء عملية الخلق والإبداع والعطاء، وعندها تكسب الأمة الناهضة طابعا خاصا بها وشخصية مميزة لها خصائصها ... ».[2]

فخاصية الشمولية للإنتاج الحضاري البشري عبر الحقب المتلاحقة لتاريخه الطويل، إضافة إلى سمة التراكمية التي ميّزت الإنتاج الحضاري للبشرية، عاملان ساهما في الارتقاء بالمسار الحضاري نحو الأفضل دون قيد يتحكم في ذلك..

---

[1]- **المرجع السابق**، ص: 22.

[2]-حسين حاج حسين، **حضارة العرب في العصر العباسي**، ص: 06.

وبذلك اعتُبرت «الحضارات البشرية سلسلة متصلة الحلقات، تأخذ كل واحدة منها بعضد الأخرى، ولا يمكن أن تنفصل هذه الحلقات، و إلا لوقف العلم وانتهى إلى حيث ينتهي الاتصال بينها».[1] نرى هنا كيف ربط "سعد الدين السيد صالح" حياة المعرفة بحياة العلاقات بين الحضارات، فالمعرفة بشتى أنواعها تزدهر ويكتمل نضجها في خضم التواصل الحضاري، وكل ما حققه البشر من فعل حضاري بنوعيه المادي والمعنوي هو نتاج جهد تشترك فيه البشرية جمعاء.

والاجتماع والتواصل البشري أفضيا إلى اختراع اللغات، وصناعة الفنون، واصطناع الديانات الوضعية، والاتفاق على القيم الأخلاقية، وسن الشرائع والقوانين، والإنسان بكل ما توصل إليه من حضارة في مختلف البقاع، وخلال حقب زمنية متباينة لم يفعل ذلك كله دفعة واحدة وإنما كان ذلك نتيجة توارثه ميراث طويل، ميراث متحرك غير مقتصر على فئة معينة أو فترة زمنية محددة.

« فالإنسان محكوم عليه بالتجمع والتواصل لأنهما أصل في وجوده وفي طبائع تكوينه، ثم هما بعد ذلك متكاملان عضويا ووظيفيا، فلا يمكن تصور أحدهما بدون الآخر، فلا تجمع اجتماعيا يكون دون تواصل، ولا تواصل اجتماعيا دون تجمع».[2]

ولم يسبق أن قُلل من شأن حضارة ما استفادتها من الحضارات السابقة لها زمنيا، على اعتبار أنّ طبيعة التطور الحضاري للجنس البشري يستلزم ذلك.كما أنه لا يستطيع أيّ منصف أن يقلل من شأن الحضارة العربية الإسلامية بحكم استفادتها من الحضارات التي سبقتها، ولم يقل احد أنّ استفادة اليونان والرومان من الحضارات الشرقية القديمة عامل ينقص من قيمة ما أنتجته هاتان الحضارتان.[3]

---

[1]-سعد الدين السيد صالح، **التوصل الحضاري والحفاظ على الذاتية**، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص:09.

[2]-محي الدين صابر، **التغير الحضاري وتنمية المجتمع**، ص: 15.

[3]-ينظر، سعد الدين السيد صالح، **التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية**، ص: 10.

وكذلك كان التواصل بين الحضارة الفرعونية وحضارات ما بين النهرين في المجال المعماري والزراعي والعقدي على وجه الخصوص عاملا ساهم بشكل كبير في نمو وتطور المسار الحضاري في الاتجاهين، بل وكان ذلك ضروريا حينها، وربما لم يك لهذه الحضارات أن ترتقي لما ارتقت إليه في غياب عامل التواصل بينها.

## 4- كيفية حدوث التواصل الحضاري:

إذا كان تفاعل وتواصل الحضارات من الأمور الحتمية التي لا يمكن الاستغناء عنهما، ولا يحدث الاستمرار والتطور الحضاري بدونهما كذلك، فكيف يتم هذا التواصل؟.

فمن حيث اعتبار الحيّز الجغرافي (المكاني) للتواصل الحضاري، «فقد ينشأ ذلك التواصل الحضاري بحريا وهو ما حدث للإغريق ومن بعدهم الرومان، وكان لاكتشاف السفن عظيم الأثر في تقوية الروابط بين الحضارات عن طريق الملاحة، حيث اتخذ هذا التواصل صورة دائمة، الشيء الذي حدث مع الفينيقيين والرومان والإغريق والفراعنة، حيث تبادل هؤلاء الآلهة والأساطير، والممارسات الدينية بشكل عام.»[1]

كما قد يكون التواصل الحضاري بريّا، وقد يكون في المدن أو القرى، ولن يكن الأثر في هذا التواصل واحدا، فالتّماس الحضاري في القرى غيره في المدن، لأنّ التماسك والمحافظة على النمط القبلي يغلبان على التنظيم الاجتماعي في القرى مما يشكل بعض العوائق أمام العناصر الحضارية الوافدة، بينما الحياة المدنية مفتوحة أمام الوافد الجديد عكس الحياة الريفية.

وأرى أ نه قد يكون للتضاريس الوعرة، والظروف المناخية القاسية اثر سلبي على عملية التواصل بين مكونات المجتمع البشري والعكس كذلك .

أمّا من حيث عامل الزمن فدور فعّالاً في رسم المعالم النهائية للتواصل بين الحضارات، لأن التواصل قد يكون دائما كما في مرحلة الفتوحات الإسلامية مثلا، حيث استقر العنصر العربي في

[1]- محي الدين صابر، **التغيّر الحضاري وتنمية المجتمع**، ص:103.

إفريقيا وآسيا وأوروبا خارج الجزيرة العربية ينتج عن ذلك الكثير من الآثار الحضارية، بخلاف الا تصال المؤقت كالقوافل التجارية وحركة الهجرة الغير مستقرة، بحيث ينتج عن هذا النمط القليل من الآثار الحضارية.[1]

وهناك عامل آخر لا يقل أهمية عن كيفية حدوث التواصل الحضاري من حيث المكان والزمان، وهو الأسلوب الذي يتم به حدوث هذا التواصل، فهناك آليات متعددة من خلالها تتواصل الحضارات فيما بينها حيث أدت القوافل التجارية والحروب، والهجرات المتعددة، وكذلك البعثات التبشيرية ، والرحلات الاستكشافية دورا بارزا في عملية التواصل الحضاري عبر العصور المتلاحقة ويقايس مدى حدّة التواصل بين الحضارات، وإمكانية تعدد الجسور والروابط بين حضارة ما وحضارات أخرى بمدى الأثر الذي يحدث عن التلاقي بين حضارة أ، وحضارات ب.ج.د؛ أي أن هناك علاقة طردية بين عدد ونوعية الروابط الحضارية لحضارة ما وبين تأثيرها، وأهميتها بالنسبة لحضارات أخرى في عملية التواصل.[2]

ففي مرحلة زمنية معينة ازدهرت الحضارة المصرية القديمة واعتلت الريادة حينها، مما جعل كثافة علاقاتها بالحضارة المجاورة لها أكثر تنوعا وثراءا، كما انتقلت الصدارة فيما بعد إلى الحضارة اليونانية التي كانت آنذاك مركزا حضاريا تعددت علاقات هذه الحضارات بغيرها من الحضارات واتسع مجالها وتعددت أنماطها، و تبوأت الحضارة العربية الإسلامية المتزلة نفسها وكانت تميزها نفس السمات في علاقاتها بالثقافات الأخرى شرقا وغربا وشمالا وجنوبا من شبه الجزيرة العربية.

« غير أنّ الروابط الحضارية لا تقتصر على الوجود فيما بين الحضارات، إذا أنها تربط المكونات الداخلية لأيّة حضارة: المكوّن الأنثولوجي، البيئة، التاريخ، المكوّن البيولوجي غير

[1]-ينظر، **المرجع السابق** ، ص:104.

[2]-ينظر، عبد الحليم رضا عبد العال، **حضارات متداخلة**، ص:86.

الإنساني ، الأيديولوجي، الاقتصادي، الثقافي، الديني وغير ذلك ، ويفترض في الحضارة المتماسكة أن تشدّ روابط تلك المكونات الداخلية بقوة حتى تكون الحضارة ذاتية النضج والتكامل...».[1]

وبالتالي قد لا يمكن لحضارة ما أن تنضج ذاتيا بمعزل عن الحضارات الأخرى والتي يمكن الاستعانة بها في مراحل نموها وتطورها ، لأنه لا يمكن لأيّة حضارة أن تزدهر وتلبّي جميع رغبات المنتسبين إليها على المستوى الفكري والمادي، وهي ترتكز كل الارتكاز على ما تجود به عليها الحضارات الأخرى. وهنا يكمن دور المكوّن الذاتي للحضارات.

ويحصر "سعد الدين السيد صالح" مجموعة من الآراء التي تناولت مسألة الأسس التي يمكن على أساسها يتم التواصل بين الحضارات والتي حددها في ثلاثة اتجاهات:

**الاتجاه الأول:** يذهب أصحابه إلى أنّ التواصل الحضاري لا يتم إلاّ بنسف الحضارة القديمة بكل مقوماتها وتراثها، على أن تحل الحضارة الحديثة بكامل مقوماتها وملابساتها محل الحضارة القديمة.

ولكن هذا منهج خاطئ- حسب رأى سعد الدين السيد صالح- لأنه يفقد الحضارة قيمتها، ويتغافل عن الثوابت التي لا تقبل التغير ولا التطور كون التطور والثبات في الحياة والكون من العناصر المتوازنة.[2]

**الاتجاه الثاني:** هو اتجاه يقف فيه أنصاره موقفا سلبيا من الحضارة الجديدة، بل موقفا رافضا ومعارضا على طول الخط لا يقتبس منها شيئا ولا يسمح بدخول علم من علومها ولا ينفع بتجارب أهلها.

**أما الاتجاه الثالث:** وهو الذي يرى أصحابه أن الحضارات الإنسانية فيها العناصر المتغيرة ولديها القابلية للتطور، وفيها عناصر ثابتة أيضا، والتي من خلالها يمكن تحديد هوية الأمم

[1]- **المرجع السابق**، ص:89.

[2]- ينظر، **سعد الدين السيد صالح، التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية**،ص:10-11.

والشعوب وخصوصيتهم الثقافية واللغوية والعقائدية، ولا يمكن لحضارة من الحضارات أن تتقدم دون الارتكاز على العناصر الثابتة، فيها.[1]

ولمست من خلال عرض "سعد الدين السيد صالح" لهذه الاتجاهات السابقة أنه يعرض للآراء التي اهتمت بمسألة تواصل الحضارة العربية الإسلامية بالحضارات الأخرى لاسيما الغربية منها، انطلاقا من انتماءه العقدي .

## 5- نتائج التواصل الحضاري:

إنّ وجود الجماعات البشرية يقابله بالضرورة وجود تفاعل بين مكونات هذه الجماعات على اختلاف عاداتهم، وانتماءاتهم، وتفضي هذه العلاقات المتنوعة بين مختلف المكونات البشرية إلى عدّة نتائج.

« و يوضح لنا التاريخ أن الحضارات قد تقهر أو تزول ولكنها في عملية التواصل الحضاري لا تندثر تماما لأنها في سجلات التاريخ تعتبر ملكا للبشرية كلها وليس للأرض التي قامت عليها.يلعب التداخل الحضاري البنّاء دورا هاما في تطوير الشعوب وتهذيب الحضارات والرقي الإنساني بصفة عامة».[2]

عموما تتوقف النتائج التي تنشأ نتيجة للتواصل الحضاري إلى حد كبير على الظروف والأساليب التي يتم من خلالها هذا التواصل بين الحضارات المختلفة، إضافة الى أهمية البعد الزمني في هذه المسألة.« وفي الحق إنّ هناك بعض الظواهر التي تنتج عن اللقاء بين حضارتين، وهذه الظواهر تتخذ في الغالب صورة علاقات مختلفة، فقد تكون علاقة معاداة، فتنتج عنها المقاومة والمعا رضة، أو تكون علاقة ألفة فتكون من ذلك التقليد، أو تكون علاقة قرابة دموية ومصاهرة

[1]-ينظر، **المرجع السابق**، ص:13.

[2]- عبد الحليم رضا عبد العال، **حضارات متداخلة**، ص:39.

تفضي إلى الانصهار والاندماج، والذي يحدد هذا هو وجود الظروف الملائمة أو غيبة تلك الظروف كلها أو بعضها».[1]

والمهم هنا أنّ من ضمن النتائج الأساسية والتي لا يمكن منع حدوثها التغيّر الذي ينبثق عن التواصل بين الحضارات، فأيّ تواصل أو التقاء بين حضارتين في مدة زمنية معينة ومكان معين يلقي بظلاله على حضارة من الحضارات المتواصلة فيما بينها أو كليهما معا. ويشهد التاريخ البشري على كثرة هذه النماذج المتداخلة وما أنجرّ عنها من نتائج في الاتجاهين.

وينتج عن المعارضة التي سبق الإشارة إليها في المقولة السابقة، العزل والاستبعاد؛ أي عزل حضارة واستبعادها عن طريق حضارة أخرى تكون على قدر من القوة إلى درجة يمكن أن تقضي على كل مقاومة تبديها، ويكون ذلك إما عن طرق الإفناء المادي للأشخاص المنتسبين لتلك الحضارة بالوسائل الحربية إفناء تاما أو جزئيا كما حدث في تجارة الرقيق، حيث نقل الملايين من القارة الإفريقية ومات الآلاف منتحرين، أو عن طرق الإقفار السكاني وذلك بعزلهم ونفيهم إلى مناطق بعيدة عن مناطقهم، أو بالاستيلاء على الأراضي التي تنتزع منهم بغية استثمارها صناعيا وزراعيا، واقترن هذا الفعل بالحركات الاستعمارية عبر التاريخ القديم والحديث.[2]

وفي اتجاه المعارضة أو الرفض قد ينتج عن التواصل الحضاري بفعل المقاومة من الأذى إلى درجة الإبادة؛ إبادة العنصر البشري بقيمه وثقافته القديمة، وبالتالي تحلّ مكانه العناصر الجديدة لحضارة العنصر المغار على هذه الحضارة.

وفي حالة التفاهم والألفة بين الحضارتين، فإنّ التقليد يقوم على أساس من أنّ الأدنى يقلد الأعلى، «ويتجسد التقليد الذي ينجم عن التواصل الحضاري بفعل قاعدة ( المغلوب مولع بتقليد الغالب) في نمطين: إما أن يكون تلقائيا أو مقصودا؛ فيكون تلقائي حين يكون هناك إعجاب

[1]- محي الدين صابر، **التغيّر الحضاري وتنمية المجتمع**، ص:107.

[2]- ينظر، **المرجع نفسه**، ص:108.

بالحضارة الجديدة وتقدير لها، أو حين تكون ممارستها مصدرا من مصادر الامتياز و الوجاهة أو يكون مصدره بعض القيم التي تمثلها الحضارة الغازية كإعجاب المحاربين المنهزمين بشجاعة أعدائهم المحاربين.»[1]

أما التقليد المقصود فهو التقليد الغير مفروض من جانب أعلى من المقلَّد، ولكنه شبه مفروض من المقلِّدين أنفسهم، ويكون موجها من الأدنى أي من المقلِّد لقصد التشابه والتحرر.[2] ومثلما تتواصل الحضارات وتتفاعل مع بعضها بعضا ، « فكذلك اللغات اذ يحدث بينها ما يحدث بين الكائنات الحية وجماعاتها من احتكاك ، فالألفاظ كالناس تنتقل كما ينتقلون وتهاجر كما يهاجرون. »[3]

وينبغي الإشارة هنا إلى ان التطور هو العامل المشترك الناتج عن التواصل بين الحضارات؛ والمقصود بالتطور هنا التغيّر الذي يطرأ على حضارة من الحضارات المتواصلة فيما بينها، لأنّ التواصل قد يكون بين حضارتين أو بين عدّة حضارات أو بين حضارة واحدة وعدة حضارات. ويكون ذلك تبعا لقيمة الحضارة المتبادل معها، وذلك تبعا لزمان التواصل وآلياته وطبيعة جغرافيته كذلك.

[1]- **المرجع السابق**، ص:109.

[2]- **المرجع نفسه**، ص111.

[3]- هادي نهر ، **علم اللغة الاجتماعي عند العرب** ، ط1، الجامعة المستنصرية ، 1988 ،ص: 127.

## المبحث الثالث: التواصل الحضاري في العصرين العباسي الأول والثاني

عمل الباحثون في ميدان الدراسات الأدبية واللغوية على ربط هذه الدراسات بمراحل زمنية معينة وعصور بذاتها، أو على أساس حياة دولة من الدول التي شهدها العالم العربي الإسلامي لمراحل زمنية طالت أو قصرت حسب الظروف السياسية الغير مستقرة عبر مراحل التاريخ العربي الإسلامي.

ويستثنى من هذا التصنيف حالة واحدة نسب فيها التأريخ لمرحلة معينة انطلاقا من الجغرافيا التي تنشأ على ترابه حضارة ما وتترعرع في ربوعها، فتصبغ بصبغة العادات والتقاليد والمناخ، وهي بلاد الأندلس حيث أطلق عليها: "حضارة أندلسية"، وقالوا: "أدب أندلسي".

وما عدا ذلك فإنّ كل الدراسات مقسمة حسب المراحل الزمنية التي تعاقبت على التاريخ العرب الإسلامي، فكان الأدب الجاهلي، والأدب الأموي والأدب الإسلام، والحضارة الأموية، والأدب العباسي، والحضارة العباسية، وأدب عصر الانحطاط، وحتى في الفترة العباسية نفسها، فإننا نجدها مقسمة إلى عصور أخرى، فقالوا: عصر عباسي أول، وعصر عباسي ثاني، وعصر عباسي ثالث... مع أن الإنتاج الأدبي و اللغوي لهذه المراحل المختلفة كتب بلغة عربية واحدة ولشعب عربي واحد.[1]

وتبعا للأثر الاجتماعي الثقافي، والسياسي بصفة خاصة الذي ينعكس على مسار الحركة الفكرية لحضارة ما، وما لهذه الآثار مجتمعة في رسم معالم الإنتاج الأدبي واللغوي للامم والشعوب، عبر المراحل المتعاقبة لكن «الحقيقة أنّ التغير السياسي يحدث فجأة ويأخذ شكل الطفرة إذا جاز التعبير، لكن هذا التغير السياسي المفاجئ لا يعني بالضرورة تغيرا مفاجئا في التغير الحضاري، والإبداع الفني، ذلك أن النقلة الحضارية والإبداعية تتطلب وقتا حتى تنضج وتثمر وتعطي...».[2]

---

[1]- ينظر، حسين حاج حسين، **حضارة العرب في العصر العباسي**، ص:213.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 215.

لكنّ بالمقابل قد تكون الحركة السياسية والمحيط الاجتماعي يطغى عليهما الركود والجمود في مرحلة ما، إلا ان ذلك قد ينعكس إيجابا على مسار الحركة الفنية واللغوية والمعرفية بشكل عام.

## 1- لمحة تاريخية عن العصر العباسي الأول (750-846م/ 132-232هـ)

ودامت هذه الفترة من التاريخ العربي الإسلامي حوالي قرن واحد بالتمام والكمال. ويبتدئ بقيام الدولة العباسية وينتهي بخلافة المتوكل. وفيما يلي عرض للخلفاء الذين تولوا الخلافة في هذا العصر:

- الخليفة أبو العباس (132-136هـ)
- الخليفة أبو جعفر المنصور (136-158هـ)، وهو الذي أعاد بناء بغداد واتخذها عاصمة للدولة الإسلامية.
- الخليفة المهدي (158-169هـ)
- الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ)
- الخليفة الأمين (193-198هـ)
- الخليفة المأمون (198-218هـ)
- الخليفة المعتصم (218-227هـ)
- الخليفة الواثق بالله (227-232هـ).[1]

ولا نرى هنا الحاجة لذكر ممّا ميّز فترة حكم كل خليفة على حدا، وعرض الأحداث والخصائص العامة لكل فترة من فترات التي تولى فيها خليفة من الخلفاء الحكم. لكن سنقف عند الخصائص العامة التي سادت العصر العباسي الأول.

[1]- ينظر، محمود شاكر، **موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم**، ط1، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، 2008، ج1/ 429.

فالخلفاء في هذا العصر، «كانوا شديدي الحرص على ملكهم يستحلون كل شيء في سبيل تأييده، فقد تجدهم أعدل خلق الله وأعظمه تسامحا، ثم تجدهم أكثر جورا و تشدّدا. وهذه الصفات على تناقضها تجتمع فيهم محافظة على العرش... فإذا نظرت إلى تساهلهم الديني، وإطلاقهم حرية الفكر، فلا ينبغي أن نغفل عمّا كان يعانيه الأفراد والجماعات من ضغط وتنكيل، فالحرية عندهم مكفولة ما دامت بعيدة عن سياسة الأحزاب...»[1].

وفيما يخص البناء الاجتماعي للدولة العربية الإسلامية في هذه الفترة لم يكن عربيّا خالصا، بل مزيج من الشعوب المختلفة من فرس وأتراك، وبربر...، كل هذه الأعراق مجتمعة شكلت، مجتمعا متنوعا وحّده الإسلام، و بذلك شهد هذا العصر تطورا في مجال الأخذ والعطاء وتلا قح الثقافات المختلفة فيما بينها.

## 2- لمحة تاريخية عن العصر العباسي الثاني: (846-946م/232-335هـ)

ودام هذا العصر كذلك حوالي قرن من الزمن في التاريخ العربي الإسلامي، وكانت بدايته بخلافة المتوكل. وانتهى بقيام الدولة البويهية واستقلالها بالسلطة.

فالعصر العباسي الأول تميّز بتعاظم النفوذ الفارسي، حيث كان لهم الفضل في بنيان العرش في هذه الفترة، وأما العصر العباسي الثاني فطغى عليه النفوذ التركي، فكان منهم الوزراء والولاة والقوّاد.

إنّ تولي الفرس زمام الأمور وانفرادهم بالحكم في العصر العباسي الأول، واصطباغ المجتمع العباسي في عصره الأول بملامح المجتمع الفارسي، الشيء نفسه ميّز العصر العباسي الثاني لكن بملامح وخصائص تركية بشكل عام، وهذا ما جعل العنصر العربي في هذه الفترة ، أي العصر العباسي الأول والثاني، ينفتح بشكل كلي على ثقافة الأعجمي بطول الأيام ، وتعدّدت بذلك جوانب التأثير والتأثر.

[1]- بطرس البستاني، **أدباء العرب في الأعصر العباسية**، دار مارون عبّود، 1979، ص:17.

وتعاقب على الخلافة في العصر العباسي الثاني خمسة خلفاء هم:

- الخليفة المتوكل على الله:(232 -247هـ).*
- الخليفة المعتمد:( 256-279هـ).
- الخليفة المعتضّد بالله:(279-289هـ)
- الخليفة المكتفي بالله:(289-295 هـ)
- الخليفة المقتدر بالله:(295-320هـ)[1]

وتميز حكم هذا الخليفة الأخير بالتشتت الخلافة في الدولة العربية الإسلامية، وبرز ثلاثة خلفاء حينها: خليفة في بغداد، والآخر في القاهرة، وخليفة الثالث في قرطبة العامل الذي نتج عنه تفككا سياسيا، «خضعت من خلاله الدولة العربية الإسلامية لسيطرة قوى متعددة، فكان البويهيون في فارس، و الحمدانيون في الموصل وديار ربيعة ومضر والفاطميون في مصر والشام والأمويون في الأندلس.

وانتهت هذه الفترة (امرأة الأمراء) بتولي القائد العسكري التركي وظيفة أمير الأمراء لمدة استمرت حوالي عشر سنوات (324-334هـ)، وتولى القائد العسكري السلطات الفعلية في الدولة في هذه المرحلة. »[2]

## 3- الإطار الجغرافي للخلافة الإسلامية في العصرين العباسي الأول والثاني:

قامت سلطة الدولة العباسية في مطلع عهدها، على الحدود التي ورثتها عن الأسرة الأموية، والتي كانت تضم إسبانيا والبرتغال في أوروبا- عدا الزاوية الشمالية الغربية منها ،وكذلك شمال إفريقيا وجنوب غربي قارة آسيا.

---

*- وأصطلح على المرحلة التي أعقبت مقتل الخليفة المتوكل على الله بفترة "التسع سنوات" أو فترة الفوضى العسكرية (247-256هـ) وتولى الخلافة فيها: المنتصر، والمستعين، والمعتز، والمهتدي.

[1]- محمد شاكر، **موسوعة الحضارات الحديثة والقديمة وتاريخ الأمم**، ج1: 434.

[2]- **المرجع نفسه**، ص:435.

ومثل العصر العباسي الأول دور القوة المركزية، بمعنى قوة الخلافة، ويمتد من بدء الدولة العباسية إلى أواخر حكم المتوكل فيشغل نحو قرن من الزمان، والذي بلغت فيه الخلافة العباسية أقصى قوتها وأزهى مظاهر مجدها- حسب رأي أنيس المقدسي- وكانت بغداد عاصمة لخلافة واحدة تمتد من حدود الهند إلى إفريقيا (تونس).[1]

وشملت الخلافة العباسية في العصرين الأول والثاني أجزاءا مهمة من القارات الثلاث أوروبا، إفريقيا، آسيا.

**1**) ففي قارة آسيا شملت المنطقة التي كان «يحدها شمالا نهر سيحون والسواحل الجنوبية لبحر قزوين، ومرتفعات القوقاز وأرمينية وجبال طوروس، وشرقا حوض نهر السند، ومن الجنوب الشرقي الخليج العربي ومن الجنوب بحر العرب، ومن الغرب البحر المتوسط والبحر الأحمر»[2]. هذا فيما يخص حدود الدولة الإسلامية في قارة آسيا خلال العصر العباسي.

**2**) ففي قارة إفريقيا، المنطقة الشمالية من شرقها إلى غربها، والمطلة على البحر الأبيض المتوسط شمالا، والبحر الأحمر شرقا، وشمالي السودان حتى الشلال الثالث للنيل والصحراء الإفريقية الكبرى جنوبا، والمحيط الأطلسي من جهة الغرب.[3] ومن جهة الشمال امتدت إلى بلاد الترك والخزر والروم الصقالبة.[4]

ويرى حسين مؤنس: « أنّ الدولة العباسية لا تعدّ في مجموعها من الدول الفاتحة. فهي لم تقم بفتوح، ولم توسع رقعة الإسلام في أيّ جهة من الجهات ولكنها – إلى آخر أيام الواثق- بذلت جهدا ضخما في المحافظة على ما ورثته عن الدولة الأموية فيما عدا الأندلس والمغرب لأن الأندلس

---

[1]- ينظر، أنيس المقديسي، **أمراء الشعر العربي في العصر العباسي**، ط17، دار العلم للملايين، بيروت، 1989، ص:07.

[2]- أمينة بيطار، **تاريخ العصر العباسي**،دط، جامعة دمشق ،01

[3]- **المرجع نفسه،ص :02**

[4]- شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول**، ط16، دار المعارف، القاهرة، ص: 89.

انفصل بنفسه وقامت فيه الدولة الأموية الأندلسية... أما في المغرب فقد ثبتت الدولة العباسية أقصى حدّ لها في الغرب بنهر صغير يسمى نهر شلف...».[1]

وفي ناحية الشرق امتدّ حكم العباسيين عند الحدود التي توارثوها عن الأمويين فاحتفظوا بحوض السند الأدنى، هذا بالرغم من التاريخ الطويل ، والإنتاج الغزير للحضارة العربية الإسلامية في العصرين العباسي الأول والثاني، فإن السلطة المركزية في بغداد «كانت تحكم إمبراطوريات إسلامية مترامية الأطراف، حيث استقلت عنها ولايات في الشرق والغرب، وهذا عندما عملت عوامل الضعف أدوار متعددة في تفتيت تماسكها في مراحل متقدمة، ومتأخرة من عمرها الطويل».[2]

ونظرا لما واجهه العباسيون في العصر العباسي الأول من مشكلات داخلية بفعل الصراع المحتدم على السلطة بين الأطراف المختلفة، وخارجية الناتجة عن التشتت الذي ساد المراحل الأولى لهذه الفترة من التاريخ الإسلامي إلى حدّ ما، إلا أنّ ذلك لم يكن مانعا للارتقاء بالدولة العباسية إلى مستوى عال من المقدرة السياسية والحضارية في شتى المجالات، واعتبرت هذه الفترة العصر الذهبي من الحضارة العربية الإسلامية بناءا على ما أنتجته الحضارة العربية الإسلامية في الميدان المعرفي بشكل عام.

« وشهدت التجارة نشاطا ملحوظا، اعتمدت على ما تنتجه أقاليم الدولة، أو ما تستورده من غيرها وتعيد تصديره، كما ازدهرت الحياة الثقافية، ونشط تعريب تراث المعارف الإنسانية»[3]، وكان ذلك بفعل التمازج والتفاعل بين الشعوب المختلفة الثقافات والأعراق...

---

[1]- حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص:101

[2]- محمود عرف محمود، **الدول الإسلامية المستقلة في الشرق وعلاقتها بالخلافة العباسية**، دط، دار الثقافة العربية ، ص:07

[3]- محمد سهيل طقوش، **تاريخ الدولة العباسية**، ط1 ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1996، ص: 10.

## 4- التفاعل الحضاري العربي الأجنبي في العصرين العباسي الأول والثاني:

وتعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل التي عرفت فيها الدولة العربية انفتاحا كبيرا على ثقافات الأمم والشعوب المجاورة لها، بفضل طبيعة الأسرة الحاكمة ، وسياستها الخارجية أيضا.

ويرى مونستر ثيجل في هذا المجال، أي مجال التبادل بين الثقافات، بأن الثقافات المتعددة مجال من التقليد والأخذ، باعتبار أنّ ثقافة أيّ شعب أمر متوارث على مرّ العصور، وصالح للتغير والتحوّل، فإذا عرض لثقافة من الثقافات من المؤثرات ما هو صالح للتعديل، كان ما ينجرّ على ذلك من تغير أو تعديل دليل حيوية ومرونة، لا دليل تخلف وركود. وبناء على ذلك، « قامت الدلائل على تأثر الإغريق بالمصريين، وعلى تأثر الرومان بالإغريق، وعلى تأثير كليهما بالفرس، وتأثيرهم فيهم، ثم على تأثير كل أولئك في العرب، ثم على أخذ الثقافة الأوروبية عن كل هذه الأمم، ومن بينها وأشدّها تأثيرا العرب».[1]

واعتُبر التواصل والتجمع والحيّز دورة كاملة في العملية الحضارية، دون تقيّد هذه العوامل مجتمعة بلغة معينة أو انتماء عرقي، أو لغوي، والعوامل الأساسية المكوّنة للعملية الحضارية هي: «أفعال في حيّز أو تجمع و تواصل في مكان و زمان، وأنّ بينهما جميعا صلة ديناميكية، يصدر عنهما كلا منطقي متكامل، هو ما نسميه الحضارة».[2]

والحضارة العربية الإسلامية في عصرها العباسي لاسيما الأول والثاني منها، هي من تلك الحضارات المنفتحة على التاريخ وإلى حدّ بعيد مقارنة بما ميّز المجتمع العربي في العصرين الجاهلي والأموي، « حيث أخذ ت وأعطت وتأثرت وأثرت كغيرها من الحضارات عند الأمم المحيطة بها والشعوب التي دخلت في حكمها أثناء الفتوحات العربية الواسعة كالفرس و البيزنطيين والهند واليونان... وبذلك تكون قد قامت بدورها المجيد في سير الحضارة البشرية، فمدّت ظلّها على

[1]- مونستر تيجل، **الترجمة وأثرها في بناء الحضارات**، دط، دار الكتاب الحديثة، القاهرة، 2007، ص:12.

[2]-محي الدين صابر، **التغير الحضاري وتنمية المجتمع**، ص:16.

الشرقين الأدنى والأوسط وتجاوزهما إلى البلاد الأوروبية، وكان لها الدور الفعّال والهام في بعث الحضارة الغربية الحديثة، لقد حملت إلى الغرب التراث الروماني والفارسي واليوناني الملقّح بالتراث العربي».[1]

وربما كان تخلّي الشعوب العربية عن عصبيتها وانفتاحها على العنصر الأعجمي من العوامل التي ميّزت المرحلة العباسية عن سابقتها، الأمر الذي مكنّها من التفاعل مع ثقافات مختلفة كالهندية والفارسية واليونانية.

وحين امتدت الدولة الإسلامية -لاسيما في عصرها العباسي- في جهات مختلفة، تفاعلت الحضارة العربية الناشئة مع حضارتين عريقتين هما الحضارة الفارسية والحضارة اليونانية، وشهدت تلك المرحلة نموذجا رائعا للتبادل بين الحضارات الشرقية والغربية.

« وفي العصر العباسي أيضا نشطت حركة ترجمة أمهات كتب الحضارات القديمة إلى العربية ممّا شكل تواصلا تاريخيا بين تلك الحضارة والحضارة الإسلامية الناشئة... وإبّان فترة تداخل الحضارة الإسلامية الوليدة مع حضارات الشرق القديمة كانت الإمبراطورية الرومانية الشرقية تتعرض هي الأخرى لتغير حضاري جذري بتداخلها هي الأخرى مع تلك الحضارات»[2] ،بفضل عامل الأخذ والعطاء، الذي يحدث نتيجة التداخل، أو التماس الحضاري بين حضارتين مختلفتين.

وفي إشارة منه إلى الامتزاج الثقافي واللغوي الذي ميّز العصر العباسي الأول قال شوقي ضيف:« استطاع الإسلام — بتعاليمه السمحة- أن يحدث امتزاجا قويا بين العناصر المختلفة التي كانت تتألف منها الدول العربية وهو امتزاج لم يبلغه بامتلاك الأرض المفتوحة، إنما بلغه بامتلاك القلوب... وكان سكان هذه البيئات يتكلمون لغات مختلفة. ففي إيران كانوا يتكلمون الفهلوية، وفي العراق و الجزيرة كانوا يتكلمون الآرامية وما انبثق منها من النبطية والسريانية، وفي الشام كانوا

[1]- حسن حاج حسين، **حضارة العرب في العصر العباسي**، ص:06.

[2]- عبد الحليم رضا عبد العال، **حضارات متداخلة**، ص:34

يتكلمون اللغة الأخيرة ولغات سامية مختلفة، وفي مصر كانوا يتكلمون القبطية، وفي بلاد المغرب كانوا يتكلمون البربرية وكانت اللغة اليونانية أخذت تشيع- منذ غزو الإسكندر- في الأوساط الثقافية بالشرق كله... ولا نكاد نتقدم في كل هذه البيئات بعد فتحها بنحو قرن حتى نجد العربية قد ملكت ألسنة الناس وقلوبهم في جميع أنحائها القريبة والبعيدة، وكان هذا تطورا خطيرا حدث فيها، إذا أصبحت شعوبها جميعا عربية اللغة و التفكير...».[1]

وشكلت اللغات المختلفة لشعوب المجتمع العباسي فسيفساء تبادل من خلالها أفراد المجتمع الجديد جوانب التأثير و التأثر في هذا المستوى من الثقافة؛ أي اللغة فباندماج هؤلاء الشعوب في مجتمع واحد -على رغم الاختلاف الثقافي لهذه الشعوب- ازدهرت حركة النقل والترجمة من وإلى اللغات المختلفة، على اعتبار أنّ هذا التباين الثقافي في العادات والنظم الاجتماعية، والحقول اللغوية كذلك، ساهم بشكل كبير في تلاقح هذه الثقافات وعلى جميع مستوياتها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وعرفت هذه المرحلة من الحضارة العربية تفاعل «الثقافة الفارسية، والتي تمثل حياة كسْروية فيها مدينة معقدة ونظم مركبة وفيها كذلك مرافق المدينة الممعنة في الحضارة، بالثقافة العربية التي تمثل حياة بسيطة سهلة لا تركب فيها ولا التواء، فيها بساطة العيش و بساطة القول، وفيها محاسن البادية ومساويها... ».[2]

و تفاعلت الثقافة العربية كذلك في الفترة نفسها مع الثقافة اليونانية؛ التي تمثل الرقي المعرفي في كل ما ينتجه العقل والعاطفة والذوق، في الفلسفة، والرياضيات، والفلك، وعلوم الطبيعة و الحياة والطب والأدب، والسياسة...[3] اضافة الى الثقافة الهندية بكل ما تحمله من فلسفة دينية، وتعاليم رياضية، وتراث أدبي ولغوي معتبر بفضل عوامل مختلفة سنقف عندها لاحقا.

---

[1]- شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول**، ص:11.

[2]- أحمد أمين، **موسوعة الحضارة الإسلامية، ضحى الإسلام**، ط1، دار نوبليس، بيروت، 2006، م2: 266.

[3]- **المرجع نفسه**، ص:214.

## المبحث الرابع: آليات ونتائج التواصل الحضاري في العصرين العباسي الأول والثاني

ازدهرت حركة التبادل الثقافي في العصر العباسي بين مختلف الأقاليم والمناطق المنتمية لجغرافية الدولة العربية الإسلامية من جهة ،و مابين هذه الأقاليم والشعوب الأجنبية من جهة ثانية نتيجة ازدهار حركة التواصل، بفضل التغير الذي طرأ على نمط تفكير الإنسان العربي في الفترة العباسية لاسيما نظرته للأعجمي، و بفعل تعدد واتساع قنوات التوصل .

ولعل من أهم العوامل التي لها بالغ الأثر في تفعيل هذه الظاهرة(التفاعل الحضاري) نجد الوازع الديني الذي عمل على الانتقال بفكر الإنسان العربي من مرحلة الانغلاق والجمود في علاقته مع الشعوب الأجنبية الى مرحلة الانفتاح على الآخر وتقبّله بثقافته بناءا على ضوابط مسبقة تحدد طبيعة وحدود الانفتاح على غير المسلم.

### 1-دور الإ سلام في تفعيل ظاهرة التواصل الحضاري:

إنّ الإسلام وبفضل تعاليمه السمحة شجع على التواصل بين البشر على اختلاف أعراقهم وعاداتهم ولغاتهم، و تحت ظلّه تأسست تجمّعات بشرية دمجها الدين الواحد على اختلافهم في أهم المكونات الأساسية لهذه المجتمعات.حيث «أسهم المجتمع الجديد في ظل عروبة تفتحت على ثقافة الآخر، وإسلام شمل الجميع بالرعاية والوحدة والمساواة، في صنع ثقافة وحضارة ورعيل بشري انتقالي جديد تجاوز بفكره الواسع فضاء القبيلة، وروح التعصب التاريخي، وجعل يعمل كخلية نحل مستمدا شريعته القوية وعدالته الاجتماعية وحقوقه الفردية من الإسلام نفسه».[1]

ولعلّ ما أقدم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما جمع بين الأنصار والمهاجرين أثناء هجرته من مكة إلى المدينة، وبنائه لمجتمع جديد تكون فيه العلاقة بين المجتمعات البشرية قائمة على أساس الانتماء الديني، أو على أساس الجوار.لا على أساس المكوّن القبلي كما كان سائدا في

[1]-عبد الجليل مرتاض، **الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية**، ص:43.

المجتمع الجاهلي حيث طغى فيه التعصب القبلي على العلاقات الاجتماعية، الأمر الذي قوّضه الإسلام و ضعضع كيانه، واستبدله بعلاقة الأخوة في الدين، والجوار.

وكانت الأخوة في الدين أساس العلاقة بالنسبة للمسلمين فيما بينهم، و الجوار أساس العلاقة مع غير المسلمين. وحرص الإسلام على أن يكون السلام أساس العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان مصداقا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وقوله تعالى: ﴿... وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2]

وقوله تعالى:﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...﴾[3]، إذا كان الناس أمة واحدة، فإنه من الطبيعي أن يكون الإسلام دعوة عالمية لجميع الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وبذلك يعتبر الإسلام السلم هو الأصل في علاقة الأمم الإسلامية بغيرها من الأمم، والسند التشريعي لذلك ما يلي:

1) « كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدول المعاصرة له، والتي تعرض عليهم الدعوة للإسلام وتحمليهم مسؤولية تبليغ ذلك للشعوب.
2) البر والعدل في المعاملة، انطلاقا من قوله تعالى:﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[4]
3) وكذلك الوفاء بالمعاهدات واحترامها والالتزام بها مصداقا لقوله تعالى:﴿... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[5]

[1]- سورة الحجرات، الآية: 10.
[2]- سورة الحجرات، الآية: 13.
[3]- سورة البقرة، الآية: 213.
[4]- سورة الممتحنة، الآية: 8.
[5]- سورة الإسراء، الآية: 34.

**4)** وكذلك المحافظة على رعاية الأجانب في الإسلامية وتأمينهم.»[1]

إضافة إلى الأحاديث التي تحث على السفر من أجل طلب المعرفة أينما وجدت دون تقيد بزمان أو مكان.

وفي الجانب الاجتماعي كانت الكنيسة تحرّم على النصراني أن يتزوج غير نصرانية إلا إذا تنصرت، وكذلك النصرانية لا تتزوج إلا نصرانيا، بالمقابل نجد الإسلام يحرم الزواج على المرأة بالنصراني لكنه يحل للمسلم أن يتزوج كتابية يهودية أو نصرانية...[2] هذه بعض النماذج فقط التي تشجع المسلم على التواصل مع الآخر على اختلاف عقيدته ولغته... وعموما جعل الإسلام من خلال تعاليم القرآن وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، والتطبيقات العملية في عهد الخلافة الراشدة، الإنسان العربي من متعصبا لقبيلته إلى متفتح على جميع الشعوب ومشجعا على ذلك عبر المراحل المتلاحقة للتاريخ العربي الإسلامي، وشهد العصر العباسي أوج هذه المراحل من حيث التما زج والتفاعل بين الشعوب المتباينة اللغات والمعتقدات...

[1]- محمد عادل عبد العزيز، **الإسلام والتطور الحضاري**، ص:267.

[2]- ينظر، أحمد أمين، **موسوعة الحضارة الإسلامية، ضحى الإسلام**، م2: 268.

## 2- آليات التواصل في الحضارة الإسلامية خلال العصرين العباسي الأول والثاني:

تنوعت قنوات التواصل في الحضارة العربية الإسلامية بتنوع الثقافات والشعوب التي شكلت مجتمعا متجانسا على اختلاف توجهاتهم الفكرية والعقدية وتعدد أنماطهم الثقافية، سواء كان هذا التواصل داخليا، بمعنى عربي بين الأقاليم العربية المختلفة والمنضوية تحت راية الإسلام، أو كان خارجيا بتواصل الشعوب العربية الإسلامية مع نظرائهم في الحضارات الأجنبية العريقة كالهنود، واليونان والفرس... ويمكن القول هنا إنّ تعدد أساليب التواصل الحضاري خلال العصرين العباسي الأول والثاني، والموقع الأستراتيجي للدولة العربية الإسلامية، على اعتبار أن جغرافية هذه الحضارة تتوسط العالم بأكمله، وتشكل همزة وصل بن أعرق الحضارات في الشرق والغرب، إضافة إلى اتساع رقعة الدولة الإسلامية في هذا العصر بفضل انفتاح العنصر العربي على الأعجمي لدرجة لم تكن معهودة من قبل ان يتولى العباسون الحكم. كلها عوامل ساهمت بشكل أو بآخر في ازدهار وتطور حركة التواصل والتبادل بين الأقاليم المختلفة في هذه الفترة، ومن أهم الآليات التي ساعدت على ذلك:

أ) **التجارة:**

إن نشاط حركة القوافل التجارية في المنطقة قديم قدم الحضارات المتعاقبة عليها، وشكلت منطقة الشام وشبه الجزرة العربية جسر عبور ونقطة تلاقي هذه القوافل المتجهة شرقا وغربا، شمالا وجنوبا.وعلى امتداد التاريخ العربي، ومنذ العصر الجاهلي لم يكن المجتمع العربي بمعزل عن بيئات، وحضارات أجنبية ، بل كان على اتصال دائم بها مؤثرا فيها ومتأثرا بها لاسيما ما يتعلق بالنشاط التجاري، « فمنذ أزمان بعيدة كان التجار ينقلون كثيرا من السلع، التي كانوا يجلبونها من بلدان العالم المختلفة في آسيا، وإفريقيا إلى بلاد العرب حيث تقام أسواق خاصة

لذلك... وفي مقابل ذلك كانت القوافل تذهب كل عام من قلب الجزيرة العربية إلى إيران وغيرها من البلاد».[1]

وعندما تولى العباسيون الحكم ازدهرت حركة الترجمة في كل أنحاء الخلافة العباسية ،كما أولوا التجارة اهتماما بالغا نظرا لدورها الاقتصادي ومساهمتها في مداخيل الخزينة العامة، حيث عمل هؤلاء على تسهيل سبلها من خلال توفير الظروف الملائمة لممارستها، بحفر الآبار وإقامة المحطات في طرق القوافل التجارية.

إضافة الى ذلك أسسوا المنائر في الثغور، وبنوا الأساطيل لحماية السواحل من اللصوص وخطر القرصنة، ولعل ما مكّن التجارة من تبوء مكانة هامة في النشاط الاقتصادي، وتحظى باهتمام الخلفاء في العهد العباسي الأول هو تأسيس مدينة بغداد (دار السلام)، حيث أهلها موقعها الإ ستراتيجي لتصبح مركزا تجاريا يقصده التجار من كل حدب وصوب، وبذلك أصبح نهري دجلة والفرات شريانين تجاريين هامين في الدولة العباسية.[2]

وذكر الخطيب البغدادي أنّ سبب اختيار مدينة بغداد عاصمة للخلافة العباسية، أنّ أحد الدهّاقين قال للخليفة المنصور عند نزوله ببغداد وهو يحدثه عن الدور الإستراتيجي الهام لنهري الدجلة والفرات في تعزيز حركة القوافل التجارية بشكل خاص، والنشاط التجاري في الدولة العباسية بشكل عام: « يا أمير المؤمنين أنت على الصراة والدجلة تجيئك الميرة من الغرب، وفي الفرات من الشام والجزيرة ومصر، وتحمل إليك طرائف الهند والبصرة و واسط في دجلة وتجيئك ميرة أرمينية وأذ ربيجان وتجيئك ميرة الموصل وديار بكر وربيعة، وأنت بين انهار لا يصل إليها عدوك الأعلى جسرا أو قنطرة...».[3]

---

[1] – عثمان موافي، **التيارات الأجنبية في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ط2، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، 1995، ص:17.

[2] – ينظر، حسين جاج حسين، **حضارة العرب في العصر العباسي**، ص:207.

[3] – الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**،دط، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1: 23.

وبفعل هذه الحركة التجارية وموقع مدينة بغداد التي كانت عاصمة الخلافة آنذاك والتي جمعت بين الحياة المدينة الفارسية وكل ما تحمله من زخرف في العمارة، ورقي في الأدب والفنون بشكل عام، والحكمة اليونانية في المجالات مختلفة، وكذلك ثراء ورقي الإنتاج الحضاري لحضارات جنوب شرق آسيا كالهندية والصينية.

فزاد نشاط العرب في هذا الميدان في العصر العباسي، حيث تحولت بغداد ومعها البصرة، وسيراف على الخليج العربي والإسكندرية إلى مرافئ للتجارة البحرية والبرّية كما حافظت مكة المكرمة والمدينة المنورة، ودمشق على أهميتيهما التجارية المعهودة من قبل.حيث وصل التجار العرب في العصر العباسي بتجارتهم إلى الصين شرقا، وسارت تجارة الحرير في هذا الاتجاه، حيث كانت القوافل تسلك « طريق الحرير العظيم، وهذا مرورا بسمرقند وتركستان، أما طبيعة السلع الموّجهة نحو الصين فتتمثل في الحجارة الكريمة والخيل والتمور، والبسط والسجاد، وتعود هذه القوافل بالأقمشة الحريرية و الخز والديباج والشاي، إضافة إلى المواد الطبيّة. »[1]

و لم تقتصر وظيفة هذ ه القوافل على التبادل التجاري فقط، بل كانت آلية من آليات التبادل الثقافي والمعرفي بين الشعوب الإسلامية، ونظرائهم في الحضارة الصينية والهندية. وتمكّن التجار من تبليغ الرسالة المحمدية في الهند والصين واندونيسيا وهو ما استجاب له سكان هذه المناطق ونتيجة لذلك تعززت العلاقات الحضارية في الاتجاهين.

« وقد شجع خلفاء العصر العباسي الأول التجارة تشجيع غير مسبوقا بما أدخلوا من مظاهر الترف إلى بلاطهم، وذ لك بتمهيد الطرق وتأسيس مدينة بغداد التي ساعد موقعها على أن تصبح سوقا تجاريا من الطراز الأول: وكانت دمشق مركزا هاما للقوافل الآتية من آسيا الصغرى أو من

[1]- بطرس البستاني، **موسوعة الحضارة العربية: العصر العباسي**، ط1، المركز الثقافي الحديث للطباعة والنشر، بيروت، 2005، م4: 598.

أقاليم الفرات إلى بلاد العرب ومصر، وأصبح الفرات والدجلة شريانين تجاريين هامين في داخل بلاد الدولة العباسية...».[1]

كما كانت زيارة بيت المقدس و قبر إبراهيم الخليل قبلة كثيرا من الحجاج بعد أدائهم فريضة الحج في مكة، فيتقابلون مع حجاج الغرب المسيحيين، وبذلك انتعشت حركة التجارة وتبادل السلع، وكان أكثر هؤلاء يجتمعون في دمشق التي كانت ملتقى عدة طرق هامة.[2]

بالإضافة إلى العلاقات التجارية بين العرب وشعوب حضارات جنوب شرق آسيا، فقد كانت وسيلة تواصل بين العرب والروم كذلك، حيث كانت قوافلهم تمر عبر الجزيرة العربية من اليمن إلى أقصى الشام مرورا بمكة التي كانت مركزا تجاريا هاما وحلقة وصل بين اليمن والشام من خلال الحركة التجارية المنتظمة في رحلتي الشتاء والصيف، حيث كانت الأولى تتجه إلى اليمن والأخرى إلى الشام .[3]

« ولم تكن الرحلات التجارية تقتصر على تبادل السلع، وإنما كانت وسيلة أيضا للاتصال بين العرب والروم وبين العرب والحبشة في بعض الأحيان، ولا شك أنّ هذا الاتصال كان سببا في تسرب بعض المظاهر الحضارية إلى أعماق الجزيرة العربية، ولا يعني هذا بالطبع أنّ الثقافة الفارسية أو البيزنطية كانت تصل إلى الجزيرة بشكل منتظم قائم على عمل منظم، وإنما المراد بهذا أنّ هذه الاتصالات لم تكن تخلو من تأثير».[4]

يتضح مما سبق أنّ التجارة الداخلية بين الأقاليم المتعددة للدولة العباسية والتي شهدت رواجا كبيرا في العصرين العباسي الأول والثاني بفضل اتساع جغرافية هذه الدولة الناشئة وتنوّع المواد

---

[1]- حسين إبراهيم الحسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجليل، بيروت، ص:255.

[2]- **المرجع نفسه**، ص:257.

[3] - ينظر، الربعي بن سلامة، **الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر والتأثر**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص:32.

[4]- **المرجع نفسه**، ص: 33.

التجارية والمواد الأولية محل التبادل التجاري . والتجارة الخارجية التي شهدت كذلك تطورا كبيرا بفضل سياسة الخلفاء العباسيين الذين أولوا التجارة عناية بالغة، « وحرصوا على تبادله وتيسير طرقها البرية والبحرية، كما مهّدوا السبيل أمام الكاشفين والرحالة، فكثرت رحلاتهم في هذا العصر كثرة تدعوا إلى الإعجاب».[1] وكل ما بلغه النشاط التجاري في هذه الفترة من تاريخ العربية الإسلامية وتطور في طبيعة النشاط، وتوسع الحيّز المكاني لمناطق التبادل التجاري انعكس إيجابا على العلاقات بكل مستوياتها الاجتماعية والثقافية واللغوية بين الشعوب العربية من جهة، والأعاجم من جهة أخرى، فعملت التجارة على احداث التقارب بين هذه الشعوب ، وشجعت على تهيئة الإطار العام لتبادل جوانب التأثير والتأثر فيما بينها.

**ب) الحروب:**

قد تقف الحروب مانعا في سبيل تبادل الأفكار والنظم بين المتحاربين، إلا أنها تساهم إلى حدّ ما في تبادل بعض الجوانب الإيجابية في مختلف المجالات.

كما قد تكون لشخصية القوي على الضعيف، أو الغالب على المغلوب أثرا قويا من منطلق أنّ المغلوب كثيرا ما يلجأ لتقليد الغالب، وبذلك يمكن القول إنّ الحروب قد تساهم إلى درجة ما في التبادل الثقافي والحضاري بين المتحاربين، والأحداث التاريخية خير شاهد على ذلك ، فالحروب التي دارت بين الفرس الساسانين والبيزنطيين ومهما بلغت من العنف كان يعقبهما فترة سلام ومعاهدات صلح يتم بموجبها تبادل جوانب التأثير والتأثر.[2]

وعندما تتصادم الأمم والشعوب لدوافع سياسية أو اقتصادية أو عنصرية، «فإنّ الحضارات لا تتصادم، بل تتفاعل وتتداخل بعد انقشاع غبار المعركة. ويشير توينبي إلى أنّ من أهم ما نتج عن

[1]- حسين إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ص:261.

[2]- ينظر، عثمان موافي، **التيارات الأجنبية في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ص:67.

الحرب التي دارت بين الفرس والهيلنيين بين عامي 480-479 قبل الميلاد، نشأت مدرسة تجريبية للطب في هيلاس بجزيرة كوس على يد أبو قراط».[1]

ويذهب المؤرخون إلى أنّ الملاحم الإغريقية تبادلت مع الملاحم المصرية جوانب التأثير بفعل التداخل بين الحضارتين.

و أدى الصدام العسكري بين الإسلام والمسيحية (الحروب الصليبية) إلى دخول أوروبا مرحلة حضارية ثالثة.[2]

ويقترن تأثير الحروب والنزاعات بعامل الزمن كذلك ؛ لأنه كلما طال زمن الحرب اتسع مستوى التبادل الحضاري بين الأطراف المتنازعة « الحرب هي تدخل جبري بين الحضارات يتم خلاله بعض التداخل وبعد زوال الإ رغام يتم التداخل السلمي الهادئ».[3]

وقد ينتج عن الحروب بين الشعوب استسلام الضعيف أو المنهزم لإرادة القوي الغالب، فيتعلق بثقافته ولغته دون مقاومة تذكر وهذا ما حدث في بعض المستعمرات الإفريقية والآسيوية حديثا.

[1]- ، عبد الحليم رضا عبد العال، **حضارات متداخلة**، ص:22.

[2]- ينظر، **المرجع نفسه**، ص:36.

[3]- **المرجع نفسه**، ص:35.

«كما حولت الحرب من عمل فردي إلى عمل جماعي وقومي، فعدت الأمة على الأمة، وأغارت الشعوب على الشعوب، وا ختلط هؤلاء، وأولئك في صورة تجعل من المستحيل على أحد الفرقين أن يعرف ما في يد الآ خر، ثم يأخذه عنه بالتقليد والمحاكاة، و لم يزل ذلك أثرا من آثار المخالطة، سواء أكانت هذه المخالطة نتيجة من نتائج الغزو أم أثر من آثار الجوار».[1]

وبذلك أدت حروب وفتوحات الإسكندر إلى نشر علوم اليونان وآدابهم، وأدّت الحروب الدور نفسه بنقل علوم الفرس و الكلدان وغيرهم من أمم الشرق إلى بلاد اليونان، ومصر الفرعونية. وعلمت الحروب بين العرب والروم على نقل وتبادل المعارف والعلوم في الاتجاهين.

« وعلى الرّ غم من الصورة القاتمة التي يصور بها كثير من المؤرخين هذه الحروب بين العرب و الروم, فإنها تركت آثار لا يُستهان بها في التطور الداخلي للدولتين.[2]» و يبدو واضحا مدى تأثر الروم بالحضارة العربية الشرقية، لاسيما في نظام الحكم وإدارة الدولة، ويلحظ تشابها كبيرا بين الحضارة الرومانية والعربية الإسلامية في النظم السياسية والفكرية، وبخاصة في القرن التاسع الميلادي.[3]

و ربما يكون التشابه المقصود هنا في أنظمة الحكم والمستوى الاجتماعي للحضارتين في الجانب التقني من المستوى الإداري، ونمط حياة بعض أفراد المجتمع، وفي فترة زمنية قد تكون محدودة الحيّز.

« وكانت الحروب بين المسلمين والروم متواصلة في عصرنا هذا، وتقع الأسرى من الجانيين في يد الآخرين فأسرى المسلمين قد يذهبون إلى القسطنطينية ، وأسر الروم إلى العراق، الحكايات

[1]- مونستر تيجل، **الترجمة وأثرها في بناء الحضارات**، ص:12.

[2]-عثمان موافي، **التيارات الأجنبية في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ص: 68.

[3]- ينظر،**المرجع نفسه**، ص:69.

كثيرة في تاريخ من النوعين من الأسري، وخاصة في عهد الرشيد، فكان هذا سببا من أسباب امتزاج الحياة الاجتماعية واقتباس كلّ من كلّ».[1]

وخلاصة القول إنّ الحروب قد تكون وسيلة من وسائل التواصل بين الشعوب المتقاتلة، وتؤدي هذه المهمة التواصلية وظيفتها حسب طبيعة طرفي النزاع ومدته كذلك، إضافة إلى البيئة محل النزاع، كما أنّ نتيجة الحروب لا تكون سلبية بالمرة، وقد تكون كذلك في أحيان كثيرة.

[1]- أحمد أمين ، **موسوعة الحضارة الإسلامية، ضحى الإسلام**، ص:234.

**ج) الهجرة:**

ارتبط نشاط التنقل والهجرة من مكان إلى آخر، لسبب من الأسباب، بوجود الإنسان على هذه الأرض بحثا عن أمان أو عن لقمة عيش، أو لتحسين ظروفه بكل مستوياتها. كما تكون الهجرة في شكل أفراد أو جماعات، ومهما كانت طبيعتها فهي وسيلة تواصل بين الأمم والشعوب، وقناة من قنوات التبادل بين الحضارات. ففي الحضارة العربية الإسلامية وعلى امتداد تاريخها ازدهرت هذ ه الظاهرة من وإلى البلاد العربية بفضل مجموعة من العوامل ساهمت في ذلك، كما ساهمت الهجرة لدرجة ما في تطو ر الحضارة العربية من خلال نقل الأفكار والمعارف والتجارب للمهاجرين القادمين إليها من ثقافات مختلفة حيث « لم يكن تأثير هده الشعوب عربية وغير عربية، مقصورا على إسهامات الأجيال التي دخلت في الإسلام، أو عاشت في ظله ذمة للمسلمين، بل أنّ كل شعب كان ذو حضارة أو حضارات قديمة، وإذا دخلت بعض هذه الحضارات في ذمة التاريخ، فإنّ تراثها كان زادا لأبناء الحضارات اللاحقة في نفس الأقاليم أو خارجه، فيما يعرف بثورات الحضارات».[1]

وهو ما حدث مع ا لحضارة العربية، حيث توارثت بعض الجوانب الحضارية عن الحضارات القديمة كالهندية، الصينية، والفارسية... بفعل عامل الهجرة سواء كان ذلك بهجرة بعض العرب إلى مواطن هذ ه الحضارات، أو هجرة هؤلاء بحضاراتهم إلى بلاد العرب.

وشهد العصر العباسي نزوح عدد كبير من القبائل العربية إلى البلدان المفتوحة واستقرارهم هناك، وحدث ذلك بشكل واسع في البلدان المفتوحة لاسيما شرقا وغرب الدولة العباسية.[2]

عموما اعتبر التنوّ ع العرقي مكونا هاما من مكونات الحضارة العربية الإسلامية، ومع بداية الفتح الإسلامي ازدادت وتيرة الهجرة من و إلى الأقاليم العربية المختلفة، لدوافع متعددة منها ما هو

[1]- حسين جبر، **أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها**، ص:64.

[2]- ينظر، عثمان موافي، **التيارات الأجنبية في الشعر العربي الحديث حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ص:33.

اجتماعي، وعسكري واقتصادي، فالدوافع الاجتماعية تتمثل في تبادل الزيارات بين الأسر وذويهم الذين استقروا في البلاد المفتوحة.[1]

وشكلت الحركة التجارية، ووكلاء أصحاب الاقطاعات لاسيما في العصر العباسي، جسرا من جسور التوا صل بين سكان الأقاليم المختلفة في الدولة العربية الإسلامية، ومع الشعوب المجاورة لها.كما عمل تنقّل فرق الجيش والجند، بين الأقاليم المختلفة من جغرافية الدولة العباسية على تعزيز وتقوية شبكة التواصل الداخلي والخارجي، ونتج عن ذلك «تنوعا في الأعراق، وميلاد مجتمعات جديدة اعتبرت آلية تم بموجبها تدفق وانتقال ثقافات، وعلوم الشعوب المختلفة الحضارات لتسهم في تطور الحضارة العربية الإسلامية في جوانبها المختلفة.»[2]

إضافة إلى الآليات الثلاث التي سبق ذكرها، ودور كلّ منها تفعيل ظاهرة التواصل الحضاري، فإننا نجد عوامل أخرى إلى جانب هذه العوامل ( التجارة، الحروب، الهجرة)، عملت نفس الوظيفة ولكن بدرجات متفاوتة، والتي من أهمها نجد ظاهرة «التوليد»* والتي تعدّ من الظواهر الاجتماعية التي شاعت في العصر العباسي وشهدت تطورا خطيرا، وكان ذلك نتيجة لاختلاط الأجناس في هذه المرحة من التاريخ العربي الإسلامي ( العصر العباسي)، «واشتهر العرب في تلك المرحلة بميلهم إلى الزواج من نساء من أجناس مختلفة، أما بحكم الجوار أو بحكم الأسر وكذلك رواج تجارة الرق حينها، حيث كان أشهى النساء عند أهل البصرة الهنديات، والحبشيات عند أهل اليمن، أما عند أهل الشام فكانت النساء الروميات وبنات الروميات أنسب لهم بحكم الجوار، وتجارة والرّق.»[3]

---

[1]- ينظر، حسين جبر ، **أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها**، ص:154.

[2]- **المرجع نفسه**، ص:155.

*- ويعنى بالتوليد – حسب أحمد أمين- أن يتزوج رجل من أمة، وامرأة من أمة أخرى، فينشأ بينهما جيل يجري في عروقه دم الأمتين.

[3]- ينظر، أحمد أمين، **ضحى الإسلام**،ج1/09-11.

فكان هؤلاء المولّدون في العصر العباسي من أظهر العناصر؛ حيث كانت لهم سمات خاصة، ومختلفة عن السمات العربية، في أجسامها، وعقولها، وحتى في صناعتهم، حيث بدا واضحا من «أنّ لقاح العقول أنتج مخلوقات جديدة، لها ميزاتها الخاصة، كما كان شأن في توليد الأجسام».[1]

وبفضل رواج تجارة الرقيق في الدولة العربية الإسلامية – لاسيما في العصر العباسي من الدولة العربية الإسلامية – ازدهر معها التبادل الحضاري بين الحضارات المختلفة.

وانتشرت تجارة الرق في الدولة العربية الإسلامية لاسيما في العصر العباسي، وكانت جنسيات هؤلاء متعددة، فمنهم السود وتتمركز أسواقهم في مصر، وجنوب جزيرة العرب وشمال إفريقيا، ومنهم البيض كذلك وأشهرهم الأتراك والصقالبة، ولكل منهما خصائص ومميزات معينة.[2]

و«كانت الجواري كذلك على الخصوص مختلفة الطبائع والأشكال، هنديات وسنديات، وأرمنيات، وسودانيات، وحبشيات...، كما سكن قصور الأمراء والخلفاء، والأغنياء رقيق من أمم وأجناس كثيرة، تختلف في الطباع، واللغات والعادات،»[3] مما جعل مجالات الأخذ والعطاء، تتعدد وتتنوّع تبعا لذلك.

« وقد رأينا عند الكلام في الرقيق، أنّ كثيرا منه كان من الروم، وكان هذا الرقيق من غلمان وجواري في قصور الخلفاء والأغنياء، والشعراء، والعلماء».[4]

« وراجت تجارة الرقيق في العصر العباسي وانتشرت أسواق النّخاسة، وكان تجار الرقيق، أو النخاسيون، يقيمون عرضا للأرقاء، فتتدنى الأسعار وترتفع تبعا للعرض والطلب، وعرفت بغداد وسائر المدن الكبرى عددا من الأسواق لبيع الرقيق».[5]

---

[1]- **المرجع السابق**، ص:16.

[2] -ينظر **المرجع نفسه**، ص:86.

[3]- **المرجع نفسه**، ص:87.

[4]- أحمد أمين، **موسوعة الحضارة الإسلامية، ضحى الإسلام**، ص:233.

[5]- بطرس البستاني، **موسوعة الحضارة العربية العصر العباسي**، ص: 593.

ويمكن القول إنّ التواصل الحضاري، والاحتكاك الاجتماعي- بناء على ما سبق عرضه- عرف تطورا كبيرا في هذه الفترة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، بفعل مساهمة هذه الظاهرة (الرق) في نقل خبرات، ومعارف الأمم المختلفة من جوانب متعددة، وهذا التعدد والاختلاف هو ما يكمّل البناء المعرفي والحضاري بشكل عام للمجتمع البشري.

كما ساهمت حركة الترجمة، والنقل في العصرين العباسي الأول والثاني بصفة خاصة في نقل المعارف والتجارب الحضارية لثقافات متباينة وهو ما نقف عنده بالتفصيل من خلال دور الترجمة والتعريب في تطوير الدرس اللغوي العربي لاحقا.

وكان للترجمة عظيم الأثر في رقيّ الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي، و« لعبت الترجمة قديما دورا خطير الشأن في اتجاهين رئيسين؛ أولهما نقل التوراة والإنجيل في نطاق حملة التنصير، التي انطلقت من بلاد ما بين النهرين، والثاني في نقل الفكر الإغريقي و اللاتيني والفارسي والهندي، عبره إلى العربية، وإرساء القاعدة للحضارة العربية الإسلامية في القرون الوسطى».[1]

وخلاصة القول إنه يمكن اعتبار هذه الآليات مجتمعة، جسورا للتواصل الحضاري العربي العربي، والعربي الأجنبي، كما انها أدت دورا لا يستهان به من حيث أهميتها في تشجيع التكامل والتبادل بين المتواصلين، مهما كانت طبيعة هذه التبادلات ومستوياتها.وعموما ساهم تنوّع هذه الآليات التواصلية في رسم المعالم الكبرى للحضارة العربية الإسلامية في العصرين العباسي الأول والثاني.

## 3- نتائج التواصل الحضاري خلال العصرين العباسي الأول والثاني:

إنّ ما ميّز الدولة العربية الإسلامية في الفترة العباسية على وجه العموم ، والعصرين الأول والثاني منها على الخصوص، تنوّع علاقات الدولة العباسية مع غيرها من الحضارات المجاورات لها،

[1]- محمد الديداوي، **الترجمة والتواصل: دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم**، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص:05.

وغير المجاورة. وشهدت هذه العلاقات كثافة من حيث الحجم كذلك، وهو ما انعكس بشكل كبير على مسار الحضارة العربية الإسلامية، بإعطائها دفعة قوية عملت على تغير وإعادة توجيه ورسم معالمها بشكل خطير وفيما يلي سنعرض أهم نتائج هذا التواصل مع أهم الحضارات السائدة آنذاك.

## 4- نتائج تواصل العرب مع الفرس خلال العصرين العباسي الأول والثاني:

على الرّغم من أنّ الإطار الجغرافي للدولة العربية الإسلامية شمل حينها حدود الدولة الفارسية وتعدّ ذلك بكثير، إلا أنّ المقصود هنا بتواصل العرب مع الفرس؛ هو تواصلهما كبناء ثقافي واجتماعي، وخصوصية حضارية.

ونتج عن هذا التواصل انتقال بعض العادات والقيم والسلوك والمفاهيم الفارسية إلى المجتمع العربي الإسلامي.وشمل ذلك النواحي التالية:

«- تداخل وترجمة الآداب الفارسية إلى الآداب العربية.

- دخول ألفاظ فارسية إلى العربية.
- انتقال بعض أدوات الغناء والزينة، وأنواع من المآكل والملبس.
- دخول بعض الخرافات والأساطير الفارسية إلى المجتمع العربي.
- ظهور الشعر الديني.
- وظهور الزهد والتصوّف الإسلامي، وبعض المذاهب الفارسية من مانوية وزرادشتية ومزدكية.»[1]

[1]- فخري خليل ، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، ص:163.

وشمل الأثر الفارسي جلّ مناحي الحياة العربية خصوصا الجانب المعماري، ومواد الزينة ومجالات اللهو والترف... « وقد تأثر أبناء المجتمع العباسي بالأزياء الفارسية، فأستحدث المنصور للرأس قلنسوة سوداء عالية وطويلة، فأصبح ذلك من اللباس المتّبع وغدا السروال لباسا للرجال والنساء مع قميص بأزرار، وكان الرداء الخارجي العباءة أو الجبة، وكان أبناء الطبقات وبعض الموظفين يعرفون من لباسهم. فالعلماء، ارتدوا الطيلسان، والكتّا الدراريع، والدرّاعة جبّة مفتوحة من جهة الأماميّة، كما ارتدى القواد الأقبية الفارسية».[1]

واستحدث كذلك أ ثاث البيوت في هذا العصر، فأهم ما فيه ديوان للجلوس يمتدّ حول غرفة الجلوس المفروشة بالسجاد في دور الأغنياء. كما كانت بعض الغرف تفرش بوسائد وطراريح يتربع فوقها الجالس، كما كان الطعام يقدم في أطباق نحاسية مدوّرة على موائد، وبعدما كان طعام العربي بسيطا أصبح مركبّا ولكل نوع اسمه، إضافة إلى أنوع عديدة من الأطباق والحلويات المتنوعة.[2]

وعلى الصعيد الاجتماعي عرف المجتمع العباسي ضروبا من اللهو كانت مجهولة أيام الأمويين، وعرف استحداث أماكن مخصصة لذلك.

ونتج عن هذا التواصل العربي الفارسي العديد من النتائج في مجالي الأدب والتاريخ « من خلال ترجمة العديد من الكتب الأدبية والتاريخية على غرار كتاب "خداى نامه"، "تاريخ ملوك الفرس" الذي ترجمه عبد الله بن المقفع وترجم كتاب" كليلة ودمنة"، و"الأدب الصغير"، و"الأدب الكبير"...»[3]

---

[1]- بطرس البستاني، **موسوعة الحضارة العربية العصر العباسي**، ص: 595.

[2]- ينظر، **المرجع نفسه**، ص:597.

[3]- أحمد محمد إسماعيل أحمد الجمال، **العلوم الإنسانية، أثر ازدهار حركة الترجمة على النهضة العلمية في بغداد في عهد الدولة العباسية**،ص:19.

ومن نتائج التواصل العربي الفارسي كذلك بروز طائفة من المجتمع أتقنت اللغتين معا، عكفت على قراءة الكتب الفارسية، لترقية وتنمية أفكارهم وعقولهم ثم ألفوا باللغة العربية أدبا وشعرا، وفي مختلف العلوم نتيجة لتأثرهم بما اطلعوا عليه باللغة الفارسية. بالمقابل انتهج كثير من الفرس هذا النهج بإتقانهم اللغة العربية إلى جانب الفارسية وتثقفوا بالثقافتين، وأنتجوا في الأدب العربي نتاجا جديدا، كالفضل بن سهيل، وسهل بن هارون، وابن المقفع وغيرهم،[1] واعتبر هؤلاء كأداة مهمة لربط جسور التواصل من الجانبين.

وشمل مجال تأثير الثقافة الفارسية في الحضارة العربية مجالات متعددة إن لم نقل كلها، كما هو الشأن بالنسبة لفن الكتابة، والتي اعتبرت من الأسس الهامة التي ارتكز عليها النظام السياسي للدولة العباسية، حيث أخذت شكلا وظيفيا في هذا العصر، وأصبحت لها قواعدها وأصوله الخاصة بها، وكان اهتمام الدولة بها كبيرا.[2]

وكانت القدرة على الكتابة من أهم الشروط التي يشترطها الخليفة في الوزير، هذا ما جعل الوزارة * تقتصر على الفرس بخلاف العرب، «الذين كانوا أهل فصاحة لسانية أكثر منهم أهل بلاغة كتابية»[3] وأشتغل الفرس في هذا النشاط في العهد الأموي لكن في مجالات محددة «والحق أنّ القدرة الكتابية كانت عند الفرس أبين منها عند العرب، وحتى في الدولة الأموية كان أظهر الكتّاب الفنيين من الفرس، أمثال عبد الحميد الكاتب، وسالم مولى هشام...».[4]

وكان أثر الفرس في الأدب العربي واضحا جدا، بحكم قرب الإنتاج الأدبي إلى ذوق الإنسان العربي وأحاسيسه من الأدب اليوناني، ولذلك ترجمت العديد من الكتب في هذا المجال،

---

[1]- ينظر، **المرجع السابق**، ص:22.

[2]- ينظر، عثمان موافي، **التيارات الأجنبية في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ص:152.

[3]- **احمد امين،ضحى الاسلام** ،ج167/1

*- إن هذه الكلمة لم تستعمل في المعنى الاصطلاحي الذي نعرفه الآن، ولم تكن مبتدع في ذلك العصر، وإنما المبتدع هو إنشاء هذا المنصب، وإعطاء صاحبه السلطة الرسمية، وتلقيبه بهذا الاسم، وهذا المنصب فارسي ولم يكن معروفا قبل العباسيين، ( أحمد أمين، ضحى الإسلام ، ص:164)

لاسيما في العصرين العباسي الأول والثاني، الذي كان فيه العرب أكثر تأثرا بالفرس لاسيما في النظم الإدارية، وكثر الاعتماد على كتّاب الفرس ومفكريهم وأدبائهم كذلك.[1]

كما كان للفرس عظيم الأثر في تطوير اللغة العربية بشكل عام، وهو ما سنقف عنده بالتفصيل في الحيّز المخصص لهذا الجانب من البحث.

وعموما كان لا نتقال مقر الخلافة من دمشق إلى بغداد دورا كبيرا في ربط جسور التواصل بين الفرس والأمة العربية ، وفي تلك الفترة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

أما الناحية الغير مباشرة، فكان تأثر العرب بالهنود عن طريق أمم وشعوب، كان اتصالهم بالهنود في مرحلة ما اتصال مباشر، وتبادلوا معهم جوانب التأثير والتأثر كالفرس[2] واليونان، فلما نقل العرب الثقافة الفارسية إلى ثقافتهم نقل في ثناياها الثقافة الهندية التي أخذها الفرس عنهم، وهي سنة شملت الحضارات البشرية بشكل عام.

إضافة إلى ذلك شجع الخلفاء- لاسيما في العصر العباسي على نقل و ترجمة مؤلفات الهنود خاصة في الميادين السابقة الذكر كالفلك والرياضيات والطب، كما نقل العرب عنهم الحساب والأرقام الهندية وعلّموها بدورهم للعالم، لكن هذه الأرقام تعرف عند العرب بالأرقام الهندية، وتعرف في اللغات الأوروبية بالأرقام العربية لأنهم نقلوها عن العرب، كما تجلى الأثر الهندي في الثقافة العربية في الآداب وما يتبعه من فن.[3]

وكان التبادل الثقافي العربي في أزهى مراحله خلال النصف الثاني من القرن والنصف الأول من القرن الثالث، وكانت هذه الفترة التي قدم فيها العلماء والأطباء والفلاسفة الهنود، واتصلوا هناك بأمة ناهضة ومجتمع إسلامي ديناميكي.

---

[1]- ينظر، أحمد محمد إسماعيل أحمد الجمال، **العلوم الإنسانية: أثر ازدهار حركة الترجمة على النهضة العلمية**، ص:20.

[2]- أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ج1، ص:233.

[3]- ينظر، أحمد محمد إسماعيل أحمد الجمال، **العلوم الإنسانية: أثر ازدهار حركة الترجمة على النهضة العلمية في بغداد في عهد الدولة العباسية**، ص: 23.

ونقل الأدب العلمي الهندي القديم إلى العرب لاسيما في العاصمة بغداد، حيث نقلت المؤلفات السنسكريتية إلى طلاب العلم، أو بطريق جند يساير والتي كانت مركزا كبيرا للعلوم الطبية وغيرها، حيث تمازجت المعرفة الإغريقية والهندية والإيرانية.[1]

## 5- نتائج التواصل الحضاري العربي اليوناني خلال العصرين العباسي الأول والثاني:

إذا كان التأثير الفارسي أكثر وضوحا وأكثر عمقا في المراحل الأولى لانطلاق الحضارة العربية الإسلامية، بسبب اندماج المجتمع الفارسي بشكل كبير في المجتمع العربي، إلا أنّ ذلك لا ينقص من قيمة أثر الحضارة اليونانية في الحضارة العربية الإسلامية من حيث هي مصدر من مصادر المعرفة في هذه الحضارة.

وتعددت مجالات الأخذ والعطاء بين الحضارتين، لاسيما في العصرين العباسي الأول والثاني بسبب ازدهار حركة الترجمة في هذه الفترة، والتي من أهم نتائجها، انتشار الفلسفة والمنطق اليوناني، ونتيجة لذلك غلب على بعض الجوانب المعرفية من إنتاج العلماء العرب الطابع العقلي المحض .

ففي مجال الأدب على سبيل المثال كان للمنطق والفلسفة اليونانيين دورا مهما في تشكيل وتوجيه الإنتاج الأدبي آنذاك، فظهرت في أساليب الشعراء والأدباء الأقيسة والأدلة المنطقية.[2]

وتم تواصل العرب وتراثهم باليونان بطريقتين ، طريقة مباشرة من خلال الاحتكاك والتداخل الحضاري بين هاتين الحضارتين. وطريقة غير مباشرة، حيث استفاد العرب من المعرفة اليونانية في مختلف مجالاتها عن طريق الفرس والسريان، حيث ترجم هؤلاء الفلسفة اليونانية، وكتب الطب والفلك... إلى لغاتهم وبعدها نقلوها إلى اللغة العربية التي كانت لغة العالم الإسلامي حينها.

---

[1]- ينظر، سيد مقبول أحمد، **العلاقات العربية الهندية** ،تعريب نقولا زيادة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ص:24.

[2]-ينظر، عثمان موافي، **التيارات في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ص:366.

ونتج عن التواصل الحضار ي العربي اليوناني، في الدولة العربية الإسلامية في مجال الفكر والمعرفة «اتجاهان؛ اتجاه أعتمد فلاسفة اليونان- لاسيما أرسطو- فوضح أفكارهم، وانعكف على دراسة نظرياتهم استكشافا لأسرار الحكمة، وعرف أصحاب هذا الاتجاه بالفلاسفة كابن رشد، وابن سينا والفرابي...

واتجاه آخر اعتمد أفكار هؤلاء الفلاسفة، وتبنى نظرياتهم وأساليبهم في النضال الروحي أو الكلا مي وتعاطي هؤلاء الفلاسفة في إطار حقل أطلق عليه علم الكلام، ونتج عن ذلك فرق كلامية متعددة. »[1]

ويذهب بعض المؤرخون الى القول بإن الأثر اليوناني في الجانب المعرفي من الحضارة العربية الإسلامية شمل الجانبين المعرفي والمنهجي معا «كان لهذه الثقافة اليونانية أثر كبير في المسلمين، ومما زاد في أثرها أنّ اتصال المسلمين بها صاحب عصر تدوين العلوم العربية، فتسربت الثقافة اليونانية إليها، وصبغتها صبغة خاصة، كان لها تأثيرا في الشكل، وفي الموضوع».[2]

وهذا لا يعني أنّ موقف العرب أقتصر على الترجمة والنقل فقط ، بل وظّفوا ما أخذوه عن اليونان، وأخذوا من الثقافة اليونانية الكثير ثم بنوا عليها، بل وزادوا عليها وابتكروا فيها بشكل عام.[3]

وتعاطى العلماء المسلمون الفلسفة اليونانية بشكل كبير، مما أدى إلى انتشار الجدل والمنطق في أوساط هؤلاء، واتخذوا أسلوب أرسطو في المنطق أسلوب الحوار والمناظرة، ممّا أدى إلى بروز العديد الفرق الكلامية كالمعتزلة...[4]

---

[1]- أنيس المقديسي، **أمراء الشعر العربي في العصر العباسي**، ص:65.

[2]- أحمد أمين، **موسوعة الحضارة الإسلامية ، ضحى الإسلام**، م1، ص:230.

[3]- ينظر، **المرجع نفسه**، ص:232.

[4]-ينظر، فخري خليل النجار، **تاريخ العربية الإسلامية**، ص:168.

وقسم المؤرخون التأثير اليوناني في الحضارة العربية الإسلامية إلى مرحلتين؛ تتمثل المرحلة الأولى فيما قبل الترجمة المباشرة، والمرحلة الثانية ما بعد البداية الفعلية لحركة الترجمة، وساد التأثر في المرحلتين.

« لكنّ التأثير الأكبر للثقافة اليونانية هو ذلك التأثير المباشر الذي وقع في المرحلة الثانية، وقد كان من خلال المراكز الثقافية الكبرى لإشعاع الحضارة اليونانية في شرق وشمال إفريقيا وهي جند يسابور وحران والإسكندرية التي فتحها المسلمون وهي تعج بالأفكار الدينية والفلسفية، وشرعوا في الاستفادة من ذخائرها بنسب متصاعدة مع الزمن».[1]

وتزامن هذا الرقي في التبادل الحضاري مع بداية العباسي الأول ونهاية العصر العباسي الثاني، حيث تعبير هذه المرحلة من أزهى مراحل التاريخ العربي الإسلامي، بفضل الجهود التي بذلت من قبل الخلافة العباسية واهتمامهم ورعايتهم لأهل العلم وإدراك هؤلاء بأنّ التطور لا يمكنه أن يتحقق إلا بذلك.

وبفعل تلاقح المنتج الحضاري لحضارات متباينة في فترة زمنية معينة، وجغرافية محددة، وبفضل تراكم عدّة عناصر لحضارات وسمت بالعراقة مع الحضارة العربية الإسلامية ساهم ذلك في علو مكانة هذه الأخيرة، وأحتلت الريادة في تلك المرحلة من التاريخ البشري بوجه عام.

[1]- العربي بن سلامة، **الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر والتأثير**، ص:78.

# الفصـــل الثـــــــاني

## واقع الدرس اللغوي العربي خلال العصرين العباسي الأول و الثاني

وسأعرض في هذا الفصل أهم ما ميّز الدرس اللغوي العربي بشكل عام من حيث نشأته و تطوره والعوامل التي ساهمت في ذلك، و الدرس النحوي على وجه الخصوص نظرا لما له من أهمية في تاريخ اللغة العربية وحجم الاهتمام الذي لقيّه حينها من قبل علماء اللغة .كما أتناول الدرس المعجمي و الصرفي و الصوتي خلال المدة نفسها، و جهود العلماء في كل هذه المستويات من اللغة العربية، و أختم هذا الفصل بعرض مختصر لمناهج البحث اللغوي العربي خلال العصرين العباسي الأول و الثاني لاسيما المنهج الذي اعتمده كل من الخليل و سيبويه في البحث و التأليف نظرا لدوريهما العظيم في رسم معالم الدرس اللغوي العربي.حيث لقيت اللغة العربية عبر المراحل المتعاقبة من تاريخها الطويل، اهتماما بالغا من العلماء المنتمين إلى حقلها أو إلى حقول لغوية أخرى غير العربية، و ذلك بناء على عوامل متعددة و لعلّ أبرزها الدافع الديني المتمثل في قداسة اللغة العربية.

و بلغ هذا الا هتمام أوجه في النصف الثاني من القرن الأول الهجري و القرن الثاني، بفضل ازدهار الحركة العلمية في مجالات شتى في هذه الفترة. حيث نهض علماء اللغة العربية بدراسة هذه اللغة، وألفوا فيها كمّا هائلا من الأعمال والكتب والرسائل ودفعهم الى ذلك رغبة صادقة في الحفاظ على فصاحتها وحمايتها من خطر اللحن ، باعتبارها لغة القرآن الكريم.

و بعد انتشار الإسلام في أنحاء مختلفة من المعمورة، واعتناق الشعوب الغير عربية لهذا الدين، و نظرا لكون اللغة كائن حي لا تثبت على حال، تؤثر وتتأثر بغيرها وبذلك خشي العلماء المخلصون على سلامة هذه اللغة المقدسة من أن تتحول أو تتبدل بفعل التأثير والتأثر، «و قد يطول العهد بذلك التغيير، ويكون ذلك سبب في صعوبة فهم المسلمين لهذا الدين الحنيف.»[1]

وحظيت اللغة العربية بداية من الثلث الأخير من القرن الأول الهجري بمكانة مرموقة في جميع أنحاء الدولة الإسلامية و ذلك بناء على عوامل من بينها:

- إنّ العربية أصبحت اللغة الرسمية للدولة حينها.

[1]- حسام البهنساوي، **التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ص:05.

- ا لعربية الفصحى ظلت لغة الشعر الذي تعتز به الطبقات العليا في المجتمع.
- اقتصرت العربية المولدة على الطبقات الدنيا في المجتمع.
- كما أن العربية الفصحى كانت لغة الطبقة الحاكمة في المجتمع كذلك.

**جدلية تداخل المستويات اللغوية منهجيا ومعرفيا في التراث اللغوي العربي:**

أرى أنه من المهّم أن نقف عند هذه المسألة لتوضيح هذا الاشكال قبل عرض أهم ما ميّز الدرس اللغوي في هذا الفصل، حيث عرف البحث اللغوي في مراحله الأولى تداخلا بين المستويات اللغوية سوء من الناحية المنهجية، أو من الناحية المعرفية من حيث طبيعة المادة محل البحث، والتأليف، ولم تتضح الحدود بين ما هو نحوي، وصرفي، و صوتي...، إلا في مراحل متقدمة من البحث في هذا الميدان، وربما يشكل ذلك إلى حد ما صعوبة في التعامل مع التراث اللغوي الغربي خلال مرحلة النشأة و التقعيد.« و واضح أنّ تداخل العلوم في القرن الثاني ودورانها جميعا حول الدراسات الدينية من ناحية، واعتماد العلماء سواء في اللغة أو النحو على الشعر الجاهلي من ناحية ثانية...».[1]

ونشأ هذا التداخل في العلوم المختلفة من نحو ولغة و بلاغة مع نشأة الدراسات الدينية؛ والتي كان الهدف من وراءها فهم النص القرآني، والحديث الشريف، و تفسير نوادرهما، و تبيان إعجازهما وبلاغتهما ، إضافة إلى استنباط الأحكام منهما.[2]« وهل يفكر أحد في أن يطرح سؤالا: أكان الخليل بن أحمد لغويا أو نحويا أو هما معا، والسؤال نفسه، هل يكون مقبولا لطرحه حول لسانيين عرب آخرين قدماء؟ و هل يمكن وصف قارئ من القرّأ السبعة، وحتى الشاذون منهم، بأنه نحوي فقط أو لغوي ليس غير...».[3]

---

[1]-حسين عطوان، **مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1982، ص:241.

[2]- ينظر، **المرجع نفسه**، ص: 24.

[3]- عبد الجليل مرتاض، **الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية**، ص:165.

ولا نبالغ إذا قلنا بأنه لا يمكن رسم حدودا واضحة بين النحويين واللغويين في فترة ما قبل نهاية القرن الثاني الهجري لا سيما جماعة أبي الأسود الدؤلي التي اشتغلت بعلوم العربية كلها، وسلك مسلكهم علماء بعدهم بدءا من عبد الله بن إسحاق الحضرمي، وعسى بن عمرو ، فالخليل ثم سيبويه...[1]، « وسلك النحويون في ضبط الكثير من المصطلحات النحوية وتحديد مضامينها وتشخيص دلالتها نهج الأصوليين ومصطلحات العلوم الإسلامية التي كانت سائدة ومهيمنة على الحياة الثقافية والعلمية ... فإن السمة البارزة التي تتصف بها لغة النص الديني أنها وعاء معرفي وتشريعي تتداخل فيه جميع التخصصات سواء الشرعية منها ؛ كالتفسير والحديث والفقه وأصوله وغيها أو لغوية ؛ كالبلاغة والنحو والتصريف ونحو ذلك ، وعليه فلا بد على أيّ دارس للتراث اللغوي والنحوي العربي ، أن يكون على اطلاع واع بطبعة العلوم ومناهجها السائدة في العصر الأول للخلافة الإ سلامية ، فإذا لم يكن على فهم جيد بهذا التداخل والتّكامل ، لن يستطيع قطعا معالجة المسائل النحوية. »[2] وبذلك بلغ هذا التداخل بين اللغوي والنحوي حد يصعب فيه التمييز بينهما منهجيا و معرفيا على اعتبار ان هذه المسألة من البديهيات لأن العلوم العربية بشكله العام في مرحلة نشأتها .

[1]- ينظر، **المرجع السابق** ، ص: 166.

[2]- طارق بومود ، **أثر أصول الفقه في توجيه أصول النحو** ، مجلة مخبر الممارسات اللغوية ، جامعة تيزي وزو ،العدد الثالث والعشرون ، 2014 ، ص:123.

## المبحث الأول: نشأة وتطور الدرس اللغوي العربي

يذهب الباحثون في حقل الدراسات اللغوية العربية إلى أنّ الدرس اللغوي العربي مرّ بمراحل مختلفة في نشأته وتطوره، إلى أن بلغ مرحلة النضج والاكتمال خلال الفترة الممتدة من النصف الثاني من القرن الأول الهجري إلى غاية بداية القرن الثالث الهجري، وما جاء بعد ذلك عبارة عن شروحات وتوضيحات لما سبق هذه المرحلة.

### 1- عوامل نشأة و تطور الدرس اللغوي العربي:

نشأة الدرس اللغوي العربي، وتطور خلال الفترات المتعاقبة من تاريخ اللغة العربية بناء على عوامل عدة ساهمت في ذلك، وتختلف درجة إسهام هذه الأسباب باختلاف حجمها وقوتها.

#### أ. القرآن الكريم و دوره في نشأة الدراسات اللغوية:

لعلّ من الأسباب الرئيسية في نشأة الدراسات اللغوية في مجملها من نحو، و صرف وبلاغة.. فهم وتيسير النص القرآني لعامة المسلمين وخاصتهم من جهة، و لصونه من اللحن الذي أصاب اللسان العربي بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية باتساع الفتوحات الإسلامية وسرعتها ما أدى إلى اختلاط العربي بالأعجمي و فساد اللسان بفضل مبررات عدة أوجبت هذا اللحن بصفة طبيعية من جهة ثانية.

« وقد نشأت الدراسات اللغوية عند العرب بين كثير من الدراسات التي قامت لخدمة الدين الإسلامي، و لغرض فهم القرآن الكريم، المصدر الأول للتشريع الإسلامي ودستور المسلمين؛ فقد أدّت الحاجة إلى معرفة معاني الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم، إلى دراسة الشعر العربي، للاستشهاد به على تلك المعاني».[1] و أرى أن الحاجة لفهم غريب النص القرآني قد تجاوزت البحث في العلوم اللغوية لتشمل حتى الأنماط الأدبية من شعر و نثر.

[1]- رمضان عبد التواب، **بحوث ومقالات في اللغة**، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ص: 141.

وكل المجهودات التي بذلها العلماء في جميع المستويات اللغوية من وضع الضوابط الصوتية لقراءة القرآن الكريم قراءة سليمة، أو لفهم الغريب والمبهم منه، وكذلك للكشف عن المعجز منه من الآيات، في بلاغته وفي تركيبه أيضا... انضوت كلها داخل إطار عام أطلق عليه الدرس القرآني.

وبمرور الزمن تشعّبت الدراسات اللغوية، وتعمق اللغويون في كل مستوى من مستوياتها إلى أن تفرعت إلى علوم متخصصة بذاتها بعد ما كانت لا تتجاوز حقل معرفي واحد، و يمكن القول با ن ازدهار الحركة العلمية بصفة عامة في مراحل مبكرة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية مرّده إلى الوازع الديني. وهو ما بدا واضحا في المجال اللغوي « بأنّ الحافز الديني عند المسلمين وغير المسلمين يكون عادة أقوى عامل في إنشاء أيّ درس لغوي عام، والمسلمون لم يألوا جهد ولا ادخروا وسعا في إيجاد مثل هذه الدراسات التي كانت شرارتها الأولى تمس بوجه أخص تفسير القرآن الكريم...».[1]

ولسنا هنا بصدد عرض أسبقية علم اللغة أم علم القرآن و لكن ما يهمّنا هو الدور الذي أداه الوازع الديني في نشأة وتفعيل الدرس اللغوي العربي. فالقرآن الكريم أثّر في نشأة الدرس النحوي وعجّل بتطويره وهذا ما تجلّى في اختلاف علماء اللغة في إعراب بعض الآيات القرآنية،[2] وفتح الباب أمام الاجتهاد في المسائل النحوية العامل الذي يكون قد ساهم في تطوير هذا المستوى من اللغة. وهناك من أرجح تفسير ابن عباس للقرآن الكريم بالنواة الأولى للمعاجم العربية، وبذلك بدأت الدراسة والبحث في هذا المجال من مجالات اللغة بالبحث عن معاني الألفاظ الغريبة في القرآن، ولعلّ التأليف الأولي في المعاجم، كانت تحت اسم "غريب القرآن" و هو ما يدعم هذا الغرض.[3]

---

[1]- عبد الجليل مرتاض، **الفسح في ميلاد اللسانيات العربية**، ص: 461.

[2]- ينظر، عبد الجليل مرتاض، **بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب**، ص:126.

[3]- ينظر، رمضان عبد التواب، **بحوث ومقالات في اللغة**، ص: 142.

« ونشأة النحو العربي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم ولو لا هذا القرآن لما نشأ هذا العلم الذي تمت له السيطرة فيما بعد على كل علم من علوم العربية و آدابها».[1]

وربما المقصود بهذه المقولة أنّ القرآن كان سببا مباشرا في نشأة العلوم اللغوية و لو لا القرآن لما ظهرت هذه الدراسات في مجال اللغة، حيث حصر عبد العال سالم مكرم سبب نشأة العلوم اللغوية في القرآن الكريم بحكم قداسته. لكن ذلك لا يعني أنّ القرآن هو السبب الوحيد في نشأة هذه الدراسات اللغوية، و إن كان في كثير من الأحيان يربط العلماء نشأة الدرس اللغوي لأيّة لغة خدمة لدينها، أي لغة النص المقدس. وقد يكون تعصب الأمم للغاتها أو مخافة زوالها أو تفشي ظاهرة اللحن وفساد الألسن فيها السبب المباشر في نشأة الدراسات اللغوية ، و هو ما سنقف عنده لاحقا.

وعلى العموم يبدو واضحا مدى مساهمة القرآن الكريم في نشأة الدرس اللغوي العربي، انطلاقا من قداسة لغة الكتاب المقدس (القرآن الكريم) وإدراك المسلمون حجم ثقل المسؤولية اتجاه هذا النص المقدس، وإن كان في حقيقة الأمر أنّ هذا الكتاب حظاه الله بحفظه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.[2] هذا من جهة، ومن جهة ثانية كان للقرآن الكريم عظيم الأثر في نشأة و تطوير الدرس اللغوي بفضل ما تضمنه هذا النص المقدس من تعاليم و توجيهات تحث على طلب العلم وترغّب في ذلك. والسنة النبوية المطهّرة أدت الدور نفسه في نشأة وتطوير الدرس اللغوي العربي من خلال الإشارة لفضل هذه اللغة و فضل تعلّمها و تعليمها كذلك.

[1]- عبد العال سالم مكرم، **القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية**، ط2، مؤسسة علي جراح الصياح، الكويت، 1978، ص: 45.

[2]- سورة الحجر، الآية: 09.

**ب. ظاهرة اللحن في اللغة و أثرها في نشأة الدرس اللغوي العربي:**

إنّ شيوع اللحن وفساد اللسان العربي سواء أكان ذلك عند العرب أو الناطقين بالعربية من غير العرب لاسيما بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية بفضل الفتوحات الممتدة شرقا وغربا، شمالا وجنوبا و اختلاط العرب بالأعاجم ما أدى إلى بروز تجمعات متعددة الألسن.

و اللحن هنا بمعنى الخطأ في استعمال اللغة ، جاء في معجم "مقاييس اللغة"، "لحن" اللام والحاء والنون له بناءان يدل أحدهما على إمالة شيء عن جهته، ويدل الآخر على الفطنة والذكاء.

فأما اللَّحن بسكون الحاء فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية. يقال لحن لَحْنا، وهذا عندنا من الكلام المولَّد، لأن اللَّحن مُحدث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السَّليمة.[1]

والأصل الآخر اللَّحن (بفتح الحاء)، وهي الفطنة ، يقال لَحِنَ يَلْحَنُ لَحْنًا، و هو لحن ولاحن، وفي الحديث:« لَعَلَّ بعضكم أن يكون أَلْحَنَ من بعض».[2]

و أرجع البعض ظهور اللحن إلى عهد الرسول صلى الله عليه و سلم، حينما دخل الإسلام طائفة من الموالي والعبيد الذين ينتسبون إلى حقول لغوية غير عربية، ثم تعلموا العربية بحكم إسلامهم محاكاة وتقليدًا، لكن ألسنة هؤلاء لم تسلم من بعض الأخطاء، وكانت اللكنات الأعجمية تسيطر على هذه الألسنة، ومن ثم ظهر اللحن في اللغة. و هو ما ذهب إليه "عبد العال سالم مكرم".[3]

إنّ القول ببداية اللحن في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم بفضل احتكاك المسلمين بغير العرب، يعني أنّ العرب قبل مجيء الإسلام لم يكونوا على اتصال بغيرهم بفضل عدة عوامل لاسيما التواصل عن طريق التجارة وهذا ما يضعف هذا الرأي.

---

[1]- أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دط، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، د.س، ج5: 239.

[2]-**المصدر نفسه**، ص: 240.

[3]-ينظر، عبد العال سالم مكرم ، **القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية**، ص: 47.

و لم يكن هذا اللحن طارئا عندما اهتدى العلماء، والحكام العرب في مراحل معينة من التاريخ العربي الإسلامي الى مواجهة هذه الظاهرة ، بل أن شيوعه هو الذي كان طارئا، ما يعني أن وجوده مرتبط بالا ستعمال اللغوي لأية لغة من اللغات، لكن حدة هذه الظاهرة ازدادت بتوسع الفتوحات الإسلامية خصوصا زمن الخلفاء الراشدين، بحكم بداية الا ختلاط بين العرب والعجم.[1]

ولا يستطيع أحد أن يشك في شيوع هذه الظاهرة في عهد الخليفة الفاروق عمر مقارنة بعهدي الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه، و مردّ ذلك الشيوع اتساع خارطة الدولة الإسلامية خارج الجغرافية العربية، مما جعل الاختلاط الجنسي المختلف الألسن يزيد ويتعاظم يوما بعد يوم.[2]

وذهب البعض إلى أن الخليفة الفاروق عمر «منع العرب من امتلاك الضياع خارج الأقاليم العربية المفتوحة، وهذا حفاظا على سلامة اللسان العربي من الفساد. »[3]

«كان وضع علم النحو في صدر الأول للإسلام، لأنّ العرب في الجاهلية كانوا ينطقون عن سليقة جبلوا عليها، فلم يكونوا بحاجة إلى قانون كلامي يخضعون له، قانونهم ملكتهم التي خلقت فيهم، وقد ا ختلف هذا الأمر بعد الإسلام إذا اختلطوا بالفرس والروم وغيرهم، فحلّ بلغتهم من اللحن ما جعلهم يهرعون إلى وضع علم النحو».[4]

إنّ مسألة العامل الزمني في نشأة اللحن في المجتمع، وتعدد الآراء في ذلك، أمر يلقي بظلاله على جدلية علاقة نشأة هذا العلم بهذه الظاهرة، و إذا كان سبب وضع القواعد اللغوية للعربية هو تفشي ظاهرة ا للحن مع مرور الزمن بداية من نشأة هذه الظاهرة في العصر الجاهلي- حسب جل الآراء- فكيف يفسر ا كتمال الدرس اللغوي حتى القرن الثالث الهجري.

---

[1]-ينظر، فخر صالح سليمان قدارة، **مسائل خلافية بين الخليل و سيبويه**، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن، 1990، ص: 08.

[2]- ينظر، عبد الجليل مرتاض، **بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب**، ص: 69.

[3]- **المرجع نفسه** ، ص70.

[4]- فخر صالح سليمان قدارة، **مسائل خلافية بين الخليل وسيبويه**، ص: 09.

**ج. العامل الا جتماعي ودوره في نشأة وتطور الدرس اللغوي العربي:**

بعد الإشارة المختصرة لدور النص القرآني، وظاهرة اللحن؛ المراد به الخطأ في نشأة وتطوّر الدرس اللغوي بشكل عام، سنقف بإيجاز عن أثر العامل الاجتماعي في أداء الدور نفسه.و يعتبر العامل الا جتماعي سبب من ضمن الأسباب التي عملت على تطوير الدرس اللغوي، ويتمثل ذلك: «في اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب الأخرى، في السكن والسوق والعيش والمسجد وسائر المرافق العامة والخاصة، هذا الاختلاط الذي أدى إلى احتكاك لغات كثيرة بعضها ببعض، فا تسعت الهوة بين اللغات المحكية و اللغة المثالية التي تستخدم في العبادة وفي الدواوين. فنشأة النحو لا يمكن أن تفهم بمعزل عن الملابسات اللغوية التي كانت عليها العربية أو بمعزل عن الحياة الا جتماعية التي أدت إلى تعدد المستويات اللغوية».[1]

و يمكن اعتبار هذا العامل (العامل الإجتماعي) الباعث الأساس في نشأة اللحن و تفشيّه عندما زاد الاختلاط بين العرب و غيرهم. وكان لذلك صلة مباشرة بتطور النحو باعتبار أنّ العلاقات الاجتماعية بين العرب و الأعاجم نتج عنها اللحن في جميع المستويات، و لم يستثنى القرآن الكريم من ذلك، و ا نطلاقا من حرص المسلمين على دينهم وكتابهم المقدس من جهة، و تعصبهم للغتهم من جهة ثانية شعروا بالخطر الذي يواجه لغتهم، فعجّلوا بوضع القواعد التي تصون لغتهم من خطر هذه الظاهرة التي زادت حدّها مع اتسعت حدود الدولة العربية الإسلامية زمانا ومكانا.

وساهم العامل الاجتماعي في تطوير الدرس اللغوي من جهة ثانية، «حيث تؤدي عملية ملاحظة الأسباب الداعية إليه والمسببة له إلى استخلاص حقيقة أنّ أكثر المساهمين هم من الموالي من الفرس، وغيرهم فعنبسة مولى، وعبد الله بن أبي إسحاق مولى، وعيسى بن عمر ومولى كذلك، ومسلمة بن عبد الله أيضا، ويونس بن حبيب من المولى، وسيبويه شيخ النحاة، والنحويين فارسي من الموالي (وهذا على سبيل المثال لا الحصر) و إن دلّ على شيء، فهو يدل على مدى تأثير

[1]-**المرجع السابق**، ص: 09.

الاختلاط في موضوع التطور النحوي العام، فالنحو أساسا وُضع للموالي و المتعرّبين الداخليين في الإسلام».[1]

و لنا أن نتصور حال التراث اللغوي العربي دون جهود هؤلاء ، و بفضل تعاليم الدين الإسلامي الحنيف تجاوز الحرص على اللغة العربية العرب العاربة ليشمل كل من احتواه الإسلام فبذل هؤلاء جهودا مضنية خدمة للعربية لغة العبادة، و المعاملات الرسمية.« وإنّ ما أشير إليه حتى الآن من اختلاط عربي أعجمي حتّمه الدين الحنيف والعلاقات الإنسانية العامة والاجتماعية الخاصة بين تلك الأجناس المتجاورة عبر حقب طويلة يعدّ غاية من الروعة بالنسبة للعرب والعربية، و لو لا تلك التمازجات من أجناس بشرية شتى لما ازدهرت لغتهم، و لما أسس لها لسانيات عجز من جاء بعدهم أن يؤسس نظيرا لها ».[2]

و أرى أن هذا العامل من أهم العوامل المهمة هنا في البحث، كونه يمثل المتغير التابع من موضوع الرسالة، وبذلك سنقف عند شرح أثر هذا العامل (التواصل الحضاري) في الباب الثاني بشيء من التفصيل.

و عموما كان لهذه العوامل الثلاثة مجتمعة، عظيم الأثر في نشأة وبناء تراث لغوي جعل العربية اللغة الرسمية للدولة الإسلامية في جميع مستوياتها.

[1]-طلال علامة، **تطور النحو العربي في مدرستي البصرة و الكوفة**، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت 1993، ص: 30.

[2]-عبد الجليل مرتاض، **الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية**، ص: 43.

## 2. مصادر الدرس اللغوي العربي :

حدّد علماء اللغة العربية مجموعة من المصادر كأساس لاستقراء المادة اللغوية و أن كان هناك اختلاف حول البعض منها و يمكن عدّها فيما يلي:

**أ)-القرآن الكريم:**

يُعتبر القرآن الكريم في أعلى درجات الفصاحة، و يمثل كذلك اللغة الأدبية المشتركة، ولذا وقف العلماء منه موقفا موحدا في الاستشهاد به.

والمراد بالقرآن الكريم هنا النص القرآني المدون في المصحف، و هو غير القراءات،[1] كما أنه « لا خلاف في الاحتجاج بالقراءات القرآنية المتواترة، والتي تمثل الوجوه المختلفة التي سمح بها النبي صلى الله عليه وسلم بقراءة نص المصحف بها قصدا للتيسير، وجاءت وفقا للهجة من اللهجات العربية. »[2]

أما القراءات الشاذة فيبدو أنّ ثمة تقارب في حكمها بين الفقهاء والقراء والنحاة جميعا، «حيث يرى الفقهاء أنها لا تجزئ مطلقا ، فلا يجوز القراءة بها في الصلاة أو في غير الصلاة، فإذا قرئ بها في الصلاة بطلت إن كان عالما، و إن كان جاهلا لم تبطل صلاته ولكن لم تحسب له تلك القراءة، وتأثر النحاة بموقف الفقهاء وذهبوا إلى عدم جواز الاستشهاد بهذه القراءات الشاذة. »[3]

« وضع النحاة لصحة القراءة شرطا واحدا؛ هو صحة الرواية عن القارئ العدل حتى لو كان فردا، وسواء رويت القراءة بطريق التواتر أو الأحاد و سواء كانت سبعية أو عشرية أو شاذة».[4]

إن الخلاف بين النحاة والفقهاء من حيث أن القراء كانت تعنيهم القراءة من حيث مطابقتها لشروط الرواية لا من حيث مطابقتها للقياس النحوي ، و كان تحكيم العقل بالبحث والتجربة

---

[1]-ينظر، أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر**،ط6 ،عالم الكتاب ، القاهرة 1988، ص: 18.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 19.

[3]- علي أبو المكارم، **أصول التفكير النحوي** ، ط1 ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص: 37.

[4]-أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير و التأثر**، ص: 21.

والاستدلال والقياس منهج اعتمده النحاة، بينما اعتمد الفقهاء منهج الرواية والجمع والتجريح والتعديل،[1] وربما كان ذلك راجع لأثر الفلسفة اليونانية على الدراسات اللغوية .

وأقام البصريون نحوهم على القرآن الكريم، حيث كانوا يستشهدون في كثير من المسائل بآيات من القرآن الكريم، فكان القرآن أحد مصادرهم المهمة والأساسية.

« وكان البصريون لا يكترثون بالقراءات التي تخالف قواعدهم، وكأنها من ابتداع القراء، وليس لها من سند يوصلها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي قراءات مشهورة مع اتصال سندها».[2]

**ب) – الحديث الشريف:**

لقد وقع خلاف بين علماء اللغة العربية في الاستشهاد بالحديث من عدمه في استقراء القواعد اللغوية، حتى و إن كان أغلب الأحاديث دوّنت قبل أن يدوّن الشعر العربي المتفق على الاحتجاج به، و أنّ الحديث نثر ليس فيه من ضرورات الشعر شيء ممّا يتوجب تقديمه في الاحتجاج عليه. وكان سبب النحاة في منع الاستشهاد بالحديث، أنّ الأحاديث لم تنقل كما سمعت( يقصدون شكلها ) من النبيّ صلى الله عليه وسلم، و إنما كانت روايتها بالمعنى فقط، و أن المتقدمين من الأئمة النحاة من بصريين و كوفيين لم يحتجوا بشيء من ذلك.[3]

ورغم امتناع نحاة البصرة والكوفة عن الاستشهاد بنصوص الأحاديث لخلل في رواية الحديث من حيث الشكل وبقاء المعنى كما رواه النبي صلى الله عليه و سلم، إلا انّ « رواة اللغة والغريب كأبي عمرو والخليل والأصمعي...الخ، و صنّاع المعاجم كالأزهري و ابن فارس و الجوهري كان يستشهدون بالحديث وأكثروا حتى قارب استشهادهم بالقرآن»،[4] وربما زاد الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف وعلى عكس ما حدث بعد ذلك من نحاة القرن الرابع الهجري، «حيث

---

[1]-ينظر، محمد حسن عبد العزيز ، **مصادر البحث اللغوي** ، ط1 ، مكتبة الأداب ، القاهرة ، 2009، ص: 33.

[2]-إبراهيم عبود السمراني ، **المفيد في المدارس النحوية**، ط1، دار المسيرة للنشر و التوزيع ،عمان ،2007، ص: 36.

[3]-ينظر، محمد حسن عبد العزيز، **مصادر البحث اللغوي**، ص: 35.

[4]-**المرجع نفسه**، ص: 35.

لجأوا إلى ملاحظة المادة اللغوية المستفادة من الحديث، و السر من وراء ذلك أنّ النحاة في القرنين السابقين لهذا القرن وجدوا مصدرا خصبا للمادة اللغوية لا يكاد ينفذ وهو السماع. »[1] بينما أخذ ذلك في التلاشي مع بداية القرن الرابع الهجري.

**ت)- الشعر:**

ا عتبر علماء اللغة العربية الشعر من أهم مصادر المادة اللغوية على أساسه تم استقراء القواعد العامة للغة العربية، لاسيما الشعر الجاهلي منه، بحكم ما يتوفر عليه الشعر من خصائص جعلت علماء اللغة يحتجون به في التعقيد اللغوي، و في مراحل زمنية محددة وأماكن جغرافية محددة كذلك. و انطلاقا من أهميته « لاقي الشعر اهتماما كبيرا من اللغويين و اعتبروه الدعامة الأولى لهم حتى لقد تخصصت كلمة الشاهد فيما بعد وأصبحت مقصورة على الشعر فقط، ولذلك نجد كتب الشواهد لا تحوي غير الشعر و لا تهتم بما عداه».[2]

وقسم علماء اللغة العربية الشعراء على طبقات أربع:

- **الطبقة الأولى:** تشمل شعراء العصر الجاهلي كامرئ القيس والأعشى... و يستشهد بشعر هذه الطبقة إجماعا.

- **الطبقة الثانية:** تتضمن الشعراء المخضرمين، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام معا كلبيد وحسان بن ثابت، وهذه الطبقة كسابقتها حيث يستشهد بشعرها إجماعا كذلك.[3]

- **الطبقة الثالثة:** تشمل المتقدين من الشعراء، و يقال لهم الإسلاميون كجرير، والفرزدق، و «الصحيح في هذه الطبقة —كما يقول البغدادي — صحة الاستشهاد بكلامها».[4]

---

[1]- علي أبو المكارم، **أصول التفكير النحوي**، ص: 48.

[2]- أحمد مختار عمر ، **البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير و التأثر**، ص: 42.

[3]-ينظر، محمد حسن عبد العزيز، **مصادر البحث اللغوي**، ص: 29.

[4]-**المرجع نفسه**، ص:29.

– **الطبقة الرابعة:** يقال لهم المحدثون، ويبدأ عهدهم من نهاية عهد الطبقة الثالثة كبشار بن برد، و أبي نواس و هؤلاء لا يجوز الاستشهاد بشعرهم مطلقا.[1]

وجاء ترتيب هذه الطبقات زمنيا بناء على ما ميّز المجتمع العربي في علاقته بالامم والشعوب الأعجمية، ففي المجتمع الجاهلي ساد الانغلاق الحياة العربية في جميع مكوناتها، وهذا ما جعل العلماء يؤكدون صحة ما نقل عن شعراء هذه الفترة و يجوز الا ستشهاد بشعرهم على الإطلاق.

وقسمت المرويات الشعرية كذلك إلى قسمين:

القسم الأول و يتضمن الشعر الذي قيل في المدة الزمنية الممتدة من عصر ما قبل الإسلام وتمتد حتى أوائل الدولة العباسية، ويقسم علماء اللغة شعراء هذه الفترة إلى ثلاثة أقسام: شعراء جاهليين لم يدركوا الإسلام، وإسلاميين لم يتصلوا بالجاهلية، والقسم الثالث يمثل في الشعراء الذين نشئوا في الجاهلية وصدر الإسلام.[2]

وما يلاحظ في التقسيم الأول الذي قسم طبقات الشعراء إلى أربعة طبقات، وهذا التقسيم الثاني الذي قسم المرويات الشعرية إلى قسمين ا ستنادا إلى الأوضاع السياسية للمجتمع العربي في مراحله المتعاقبة « ومن الواضح أننا نرفض أن تكون التغيرات السياسية وحدها هي محاور التغييرات الأدبية و الفنية».[3]

أما القسم الثاني من المرويات الشعرية فيتمثل فيما قيل بعد منتصف القرن الثاني الهجري، ويطلق عليهم المولدون، والمحدثون، وهؤلاء لا يجوز الاستدلال بشعرهم كما سبق و أن أشرنا سابقا.[4] وبذلك اعتمد البصريون الشعر الجاهلي أصلا من أصولهم في الا ستشهاد على صحة المسألة كما اعتمدوا الشعر الإسلامي، فا ستشهد في نحوهم بشعر الفرزدق، و جرير، و في بعض الأحيان تجاوز هذه المرحلة.

---

[1]-ينظر، **المرجع السابق**، ص: 30.

[2]- علي أبو المكارم، **أصول التفكير النحوي**، ص: 51.

[3]-**المرجع نفسه**، ص: 52.

[4]-**المرجع نفسه**، ص: 55.

**ث)- النثر:**

وتتمثل الشواهد النثرية التي اعتمدها العلماء في استقراء القواعد اللغوية في نوعين من المادة اللغوية:

أولها: ما جاء في شكل خطبة ، وصية ، مثل ، حكمة ، نادرة و يأخذ في الاستشهاد بكل هذه النماذج مكان الشعر وبالشروط نفسها

ثانيها: ما نقل عن بعض الأعراب و من يستشهد بكلامهم في حديثهم العادي، دون أن يتحقق له من الذيوع ما تحقق للأول.[1]

و تنقسم المرويات النثرية حسب العامل الزمني إلى قسمين كذلك:

**1.** قسم مقطوع بحجيّته عند النحاة؛ و هو الذي قيل في فترة زمنية محددة .بما يقارب الثلاثة قرون، قرن ونصف قبل مجيء الإسلام وقرن و نصف بعد مجيئه، فكل ما سجّله الرواة واللغويون، سواءا في دراسة الأصوات والصيغ أو الأساليب أو التراكيب أو الدلالات محسوم فيه بصلاحية حجّيتة في الدراسة اللغوية.

**2.** والقسم الثاني ما قيل بعد هذه القرون الثلاثة السابقة الذكر وحتى أوائل الرابع الهجري، ويختلف عن القسم السابق؛ في أنّ ما نقل عن أهل البداية هو حجة يستشهد به في الدراسات اللغوية، و أما ما نقل عن أهل الحضر فليس بحجة في مجالات الدرس اللغوي.[2]

**ج) السماع:**

ويطلق مصطلح (السماع) « على ما يرويه العالم بعد سماعه بنفسه، وأما ما يرويه عن عالم آخر، أو عن جيل سابق من العلماء، أو عن مصنّف من المصنّفات اللغوية، أو كتاب من كتب النحو، فلا نعدّه سماعا وإنما رواية».[3]

---

[1]-ينظر، أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير و التأثر**، ص: 50.

[2]-ينظر، علي أبو المكارم، **أصول التفكير النحوي**، ص: 39، 40.

[3]-**المرجع نفسه**، ص: 33.

وحدّد الإطار الزماني للسماع بنهاية القرن الثاني بالنسبة لعرب الأمصار، وأما أهل البادية من جزيرة العرب فيمتد تاريخ الاستشهاد بلغتهم إلى نهاية القرن الرابع الهجري، والحجة في ذلك أنّ لغة العرب ظلت سليمة في البوادي حتى نهاية القرن الرابع، و في الحواضر حتى نهاية القرن الثاني الهجري، وأما الذين نشأوا بعد هذه الفترات المحددة في الاتجاهين فهم مولّدون لا يستشهد بكلامهم.[1] والسماع ركيزة أساسية ارتكز النحاة عليها كثيرا في جمع المادة و استقرائها، وكانت عناية البصريين باستقراء هذه المادة المسموعة لا يقل عن اهتمام نظرائهم الكوفيين، وحدّد الإطار الجغرافي للسماع « بالجزء الغربي وما يتصل به من السفوح الشرقية لجبال الحجاز»،[2] ونأمل ان نكون قد وضحنا أهم ما يتعلق بمصادر الدرس اللغوي، وما يتصل بها من شروط وذلك بإيجاز حسب ما تقتضيه طبيعة البحث.

[1]-ينظر، محمد حسن عبد العزيز، **مصادر البحث اللغوي**، ص: 44.

[2]-**المرجع نفسه**، ص: 41.

### 3. عملية جمع اللغة العربية و مراحلها:

من المسلّم به أن عملية جمع المادة اللغوية أسبق من البحث اللغوي العربي نظرا لما تمثله هذه المادة في بناء القواعد الأساسية للبحث اللغوي بشكله العام.

وأما البحث النحوي وما يمثله من أهمية في علم اللغة العربية بصفة عامة و تاريخها بشكل خاص. « فلا شك أنه بدأ متأخر عن جمع اللغة، لأنه لا يمكن القيام به بدون مادة توضع تحت تصرف النحوي، وبعبارة أخرى لأنّ تقعيد القواعد ما هو إلا فحص لمادة لغوية ثم جمعها بالفعل ومحاولة لتصنيفها واستنباط الأسس والنظريات التي تحكمها.»[1]

إنّ العالم اللغوي في حقيقة الأمر اعتمد منهجا خاصا في جمع المادة اللغوية وكان هذا الجمع مضبوطا بحدود خاصة، وكان له اتصال مباشرا بالاستعمال اللغوي. و كتب التراجم دوّنت رحلة النحاة إلى البادية لجمع اللغة، وكان ذلك نابع من حرصهم على المعرفة الواقعية للكلام كما ينطقه اهل البادية، واستمرت هذه الطريقة في التعامل مع المادة اللغوية والمحددة وفق شروط مسبقة من بداية القرن الثاني إلى نهاية القرن الرابع الهجريين مع أن النحو العربي ارتبطت نشأته بمناخ عقلي عام، حيث استمد منه أصول منهجه.[2]

وبطبيعة الحال يمكن القول إنّ البحث اللغوي العربي بدأ بجمع المادة التي تأسس عليها هذا العلم؛ والمقصود هنا بالمادة التي جُمعت كلام العرب من شعر، و نثر لأن الدرس اللغوي العربي ارتكز في نشأته على القرآن الكريم الذي اعتبر مصدرا مهما في عملية التقعيد اللغوي، و هذا ما يدعم الرأي القائل بنشأة الدراسات اللغوية على أحضان الدراسات الشرعية والدرس اللغوي نشأ خدمة لهذا الغرض.

---

[1]-أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر**، ص: 81.

[2]-ينظر، عبده الراجحي، **النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج**، ص: 53-54.

« وعلى أيّ حال فمن المنطقي أن يكون البحث اللغوي عند العرب قد بدأ في شكل جمع المادة اللغوية، أو ما يعرف بمتن اللغة»،[1] و لم تبدأ هذه العملية مكتملة في بدايتها على أساس أنها لم تخضع لمنهج معين حيث « كان المدوّنون الأولون للغة في هذا العصر يدونون المفردات حيثما اتفق، وكما يتيسر سماعها، فقد يسمعون كلمة في الفرس وأخرى في الغيث، و ثالثة في الرجل القصير، وهكذا فكانوا يقيدون ما سمعوا من غير ترتيب».[2]

- **مراحل جمع اللغة العربية:**

مرّت هذه العملية بمراحل ثلاث:

أولهما: جمع الكلمات حيثما اتفق، فالعلماء رحلوا إلى البوادي و دوّنوا كل ما سمعوه في هذه المرحلة دونما تبويب أو منهج يذكر، فقد يسمع كلمة في اسم السيف، وأخرى في الزرع والنبات، وغيرها في صفات الجسم، و يدوننها حسب ما سمعوه دون ترتيب يذكر.

وثانيهما: جمع العلماء في هذه المرحلة كل الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في حيّز مخصص لذلك، فيجمع المحدّث الأحاديث المتعلقة بالصلاة ويسميها بكتاب "الصلاة" والشيء نفسه للأحاديث البيع كما فعل الإمام مالك في «الموطأ». و حسب أحمد أمين فإن الذي دعا العلماء إلى جمع هذه الكلمات في موضع واحد أنهم رأوا كلمات متقاربة المعنى، فأرادوا تحديد معانيها، فدعاهم ذلك إلى جمعها في موضع واحد.

و توّجت هذه المرحلة بكتب أُلفت في الموضوع الواحد. فألف أبو زيد كتابا في المطر، وكتابا في اللبن، و ألف الأصمعي عدّة كتب في مواضيع متعددة.[3]

و ثالثهما: عرفت بناء معجم يشمل كل الكلمات على نمط خاص لتيسير عملية الرجوع إليها أثناء البحث في كلمة من الكلمات « و أول من فكر في هذا الموضوع- في اللغة العربية- الخليل

---

[1]- أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير و التأثر**، ص: 80.

[2]- أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ج1/ 302 .

[3]- ينظر، أحمد أمين، **موسوعة الحضارات الإسلامية، ضحى الإسلام**، م3: 550.

بن أحمد- على ما بلغنا- فكّر في أن يجمع كل ما عرف من ألفاظ العرب في كتاب مرتب. و قد اعترضه في ذلك صعوبتان؛ الأولى: كيف يحصر لغة العرب، الثانية: كيف يرتبها»،[1] وفي المرحلة الأخيرة، عرفت عملية جمع اللغة تطورا عظيما بفضل إضفاء الطابع العلمي على هذه العلمية، وسنقف عند هذه النقطة بمزيد من الشرح لاحقا في الحيّز المخصص للجانب المعجمي من الدرس اللغوي.

[1]- **المرجع السابق**، ص: 551.

## المبحث الثاني :الدرس النحوي العربي خلال العصريين العباسي الأول والثاني

نظرا لأهمية هذا المستوى من مستويات اللغة، والمكانة التي حظيّ بها من اهتمام علماء اللغة في المراحل الأولى من نشأة الدرس اللغوي العربي بل هناك من العلماء من حصر علوم اللغة العربية في النحو مما قد أدى إلى بروز نوع من التداخل بين المستويات اللغوية في المراحل الأولى من نشأة الدرس اللغوي العربي، مما يصعّب البث في هذه المسألة وينتج عن ذلك إلى حدّ ما نوعا من الغموض لدى الباحث في تعامله مع النصوص في التراث اللغوي.

وسأقف عند مسألة نشأة النحو العربي، والمدارس النحوية التي سادت الفترة الزمنية بالوقوف عند خصائص كل منها، وأهم الأئمة النحاة فيها، وكذا أهم مظاهر التطور فيها.

### 1- نشأة النحو العربي*:

إنّ مسألة نشأة النحو العربي قضية لا يمكن البث في حكمها بسبب ما عرفته هذه الإشكالية من غموض، انطلاقا من تعدد الآراء والاتجاهات في تفسير هذه النشأة، و لم تخل كتب التراجم والطبقات، وكتب التراث اللغوي العربي عموما من هذا الغموض.

### 6- صعوبة دراسة نشأة النحو العربي:

يُرجع الكثير من الباحثين في ميدان الدراسات اللغوية هذه الصعوبة إلى غياب، أو نقص التعامل مع هذه المعضلة بمنهج علمي واضح مما يزيد هذه المشكلة تعقيدا،حيث « اتسم البحث في نشأة النحو العربي ودراسة مراحله الباكرة في فترات تاريخية طويلة، بصورة من التجاوز توشك أن تسمه بالبعد عن التناول الموضوعي، وعدم الالتزام بأصول البحث العلمي، وقد اتخذ هذا التجاوز أشكالا شتى، فيها الأخذ بما قد يشيع من الآراء والأفكار، أو تقرير مقولات بعض المرويات، أو إقرار بعض الافتراضات دون عناية حقيقية بما لها من مقدمات».[1]

---

*- المقصود هنا بالنحو؛ القواعد اللغوية و ليس استعمال هذه القواعد، لأن ذلك(الاستعمال) مرهون بنشأة اللغة نفسها والقواعد النحوية هو استنباط القواعد مما هو مستعمل بعد التواضع والتوافق بين المتحدثين بهذه اللغة.

[1]- علي أبو المكارم، **المدخل إلى دراسة النحو العربي**، ص: 65.

وبذلك يؤدي الغموض في هذه المسألة، إلى مسألة أكثر غموضا بفعل تعدد الآراء والاتجاهات في التعامل مع هذه المعضلة التي ربما قدم الاختلاف في تعدد تفاسيرها هو ما جعلها تكتسي هذه الدرجة من الغموض.

والمسألة هنا لا تقف عند الاختلاف في نشأة هذا العلم على يد شخص بعينه، لأن الشخصية المختلف حولها في وضع علم النحو، هي جزء من كل؛ بمعنى أنّ هذا الشخص الذي وضع هذا العلم يشغل حيّزا من الزمان، والمكان، وبذلك الاختلاف يتجاوز الشخص إلى زمان ومكان نشأة هذا العلم، وغياب آليات محددة وموّحدة وفق المنهج العلمي يجعل « هذه المسألة متشبعة ومضطربة وكلما كثرت البحوث فيها زادت غموضا و ظلاما لا وضوحا و ضياء، وكلما جرؤ قلم من الأقلام لإبداء رأي جديد فيها تناوشته من قرب ومن بعد سهام و انهالت عليه من كل أفق من المشرق و المغرب نبال».[1]

و نتيجة لغياب منهج محدد في تعاطي هذه القضية برزت عدّة آراء في صور متعددة أجملها على أبو المكارم في ثلاثة اتجاهات:

**الاتجاه الأول:** العزوف عن دراسة هذه النشأة، و رفض تحليل الحقائق المتصلة بهذا الموضوع، وعدّ ها من قبيل الأساطير، تحث تأثير توهم الخلط بين هذه القضية المحددة المادة والمنهج، وأخرى تختلف عنها بالضرورة مادة ومنهجا معا، وهي نشأة اللغة الإنسانية وخصائصها في مراحلها الأولى.

**الاتجاه الثاني:** قبول ما استقر في التراث اللغوي من أنّ سبب نشأة النحو يعود إلى بعض الأحداث الشخصية التي مرّ بها أبو الأسود الدؤلي.

**الاتجاه الثالث:** يتمثل في تبنّي بعض الفروض القائلة، بأنّ سبب نشأة النحو العربي وغيره من علوم اللغة العربية يعود لجذور أجنبية.[2]

---

[1]-عبد الجليل مرتاض، **الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية**، ص:102.

[2]-علي أبو المكارم، **المدخل إلى دراسة النحو العربي**، ص: 66.

من خلال عرض هذه الاتجاهات الثلاثة يتبيّن لي مدى تلوّن هذه الجدلية بألوان متعددة نابعة عن خلفيات قد تكون بعيدة الى درجة ما عن المعالجة العلمية الدقيقة لهذا الإشكال.

**- نشأة النحو العربي:**

المتعارف عليه أنّ النحو العربي لم ينشأ متكاملا دفعة واحدة، و إنما مرّ بمراحل عدة إلى أن وصل هذا الدرس اللغوي إلى ما وصل إليه في العصر العباسي الثاني. وما يهمنا هنا في هذا العنوان عرض أهم الآراء الخاصة بنشأة هذا الفرع من علوم اللغة مع انه في حقيقة الأمر، «لم يكن يعرف النحو بهذا الاسم، بل كان يعرف بعلم العربية و هذه التسمية ظهرت في عهد الطبقة الثانية من علماء البصرة حيث اشتهرت عنها مؤلفات اتسمت بأنها نحوية، وصرح فيها باسم النحو».[1]

وفيما يلي عرض لأهم الآراء التي تشير لنشأة هذا العلم:

تعددت الآراء واختلفت حول من هو واضع أسس علم النحو قديما و امتد هذا الاختلاف إلى يومنا هذا، غير أنّ الروايات تتضارب حول شخصيات أربع: الإمام علي كرم الله وجهه، أبو الأسود الدؤلي، نصر بن عاصم، عبد الرحمن بن هرمز .[2]

جاء في نزهة الألباب « وسبب وضع علي (رضي الله عنه) لهذا العلم ما روى أبو الأسود قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فوجدت في يده رقعة. فقلت: ما هذا يا أمير المؤمنين فقال اني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء «يعني الأعاجم » فأردت ان اضع لهم شيئا يرجعون اليه ويعتمدون عليه.ثم ألقى إلي الرقعة وفيها مكتوب «الكلام كله اسم وفعل وحرف... » وقال لي أنحُ هذا النحو وأضف اليه ما وقع اليك. »[3]

ونقذ احمد امين هذه الرواية قائلا: «وكل هذا حديث خرافة فطبيعة زمن علي و أبي الأسود تأبى هذه التعاريف وهذه التقاسيم الفلسفية، و العلم الذي ورد إلينا من هذا العصر في كل فرع

---

[1]-محمد الطنطاوي ، **نشأ النحو و تاريخ أشهر النحاة** ، ط2، دار المعارف ، القاهرة، ص :23

[2]-ينظر ن عبد الجليل مرتاض، **الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية** ، ص: 102.

[3]- ابن الأنباري ، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء** ،تح ،ابراهيم السامرائي،ط3، مكتبة المنار،الأردن، 1985،ص:18.

علم يتناسب مع الفطرة ليس فيه تعريف ولا تقسيم، إنما هو جمع لأحاديث ليس فيها تبويب ولا ترتيب، فأما تعريف وأما تقسيم منطقي فليس في شتى مما صح نقله إلينا عن عصر علي وأبي الأسود، وأخشى أن يكون ذلك من وضع الشيعة الذين أرادوا أن ينسبوا لكل شيء إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجه، وأتباعه ...».[1]

ولا ينفي أحمد أمين نسبة النحو إلى أبي الأسود الدولي نفيا قاطعا، بل يرى أن لهذه الرواية أساس صحيح ، لأن الرواة يتفقون على أنه قام بعمل على هذا النمط هو ابتكاره شكل المصحف، كما أخذ صيغا يخالف لون المداد التي كتب به المصحف. وكان له فضل إعجام الحروف العربية، بوضعه على الحروف المفتوح نقطة فوقه، والمكسورة نقطة أسفله، و وضع للمضموم نقطة بين يدي الحرف، وجعل للمنون نقطتين، و ترك الساكن، وسار على هذا النمط أتم المصحف، و أمر الكتّاب أن يسيروا على ما سرى عليه في ذلك.[2]

إنّ ما يزيد مسألة نسبة وضع النحو للإمام علي كرم الله وجهه غموضا هو الاختلاف في رواية هذه النسبة، فنُسب إليه وضع النحو عندما دخل عليه أبو الأسود الدولي ووجد في يده رقعة تتضمن أبواب من النحو لأنه قام بذلك عندما شعر بخطر اللحن على اللغة العربية، و نسب إليه وضع النحو عندما سمع أعرابيا يقرأ القرآن الكريم قراءة خاطئة، فوضع النحو مخافة انتقال اللحن إلى النص القرآني المقدس.و تعدد الروايات هنا امام موقف واحد يطرح العديد من التساؤلات في إثبات صحة هذه الرواية من عدمها.

ومن الروايات كذلك من تقول بنشأة النحو على يد أبي الأسود الدولي، وذلك عندما ألح على زياد أمير البصيرة بأن يأذن له بأن يضع للعرب ما يعرفون به كلامهم.

جاء في نزهة الألباء «وروى عاصم قال :جاء أبو الأسود الدؤلي إلى زياد وهو أمير البصرة فقال:إ ني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها افتأذن لي أن أضع للعرب ما

---

[1]-أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** م3: 267 .

[2]-**المرجع نفسه** ، ص :267

يعرفون به كلامهم ؟ فقال له زياد لا تفعل قال فجاء رجل إلى زياد فقال : اصلح الله الأمير توفى أبانا وترك بنون فقال له زياد: «توفى أبانا وترك بنون ؟ أدع لي ابا الأسود». فلما جاءه قال له ضع للناس ما كنت نهيتك عنه ففعل.»[1]

وجاء في رواية أخرى تنسب نشأة النحو إلى أبي الأسود الدؤلي، حيث قال أبو عبيد معمر بن المثنى:[2] «أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب عليه السلام العربية ، فكان لا يُخرج شيئا مما أخذه عن علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أحد ، حتى بعث إليه زياد: [3] اعمل شيئا تكون فيه إماما (ينتفع الناس به)، و تعرب به كتاب الله ، فاستعفاه من ذلك، حتى سمع أبو الأسود قارئا يقرأ:﴿... أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ...﴾[4] فقال: ما ظننت أن أمر الناس صار إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال (أنا) أفعل ما أمر به الأمير ....».[5] يستأذنه في أن يضع العربية فأبى، ثم أتاه قوم، أي إلى عبد الله بن زياد، فقال أحدهم: أصلحك الله، مات أبانا، وترك بنون، فقال: «عليَّ بأبي الأسود ، ضع العربية ».[6]

وفي رواية أخرى ترجع سبب نشأة النحو على يد أبي الأود الدولي، عندما مر بأبي الأسود سعد وكان رجلا فارسيا ، كان قدم البصرة مع جماعة من أهله، و مر هذا الرجل بأبي الأسود وهو يقود فرسه، فقال له أبو الأسود ما لك لا تركب؟ قال: إن فرس طالع، فضحك به بعض من حضره، قال أبو الأسود: هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام و دخلوا فيه، فصاروا لنا إخوة فلو علمناهم الكلام، فوضع باب الفاعل والمفعول.[7]

---

[1]-. ابن الأنباري ، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**،ص:21.

[2]-عالم لغوي ناقد توفي عام 209 هـ .(أخبار النحويين البصريين للسيرافي ،ص:11)

[3]-زياد بن أبيه ، ولي المصريين لمعاوية و توفي عام 53 هـ.

[4]- **سورة التوبة، الآية**: 3.

[5]-السيرافي، **أخبار النحويين البصريين**، تحقيق: طه محمد الزين، محمد عبد المنعم خفاجي، ط1،شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ،مصر ، 1955 ، ص:12

[6]- **المصدر نفسه** ، ص:13

[7]-ينظر، **المصدر نفسه** ، ص: 14

وهناك من يرجع سبب وضع النحو العربي لأبي الأسود الدؤلي اعتبارا لما حدث بينه و ابنته من حديث، فلحنت في كلامها عندما قالت له «ما أحسن السماء»، برفع النون في أحسن، فقال لها نجومها؛ فقالت: أبي لم أرد هذا، و إنما تعجبت من حسنها، فقال لها إذن فقولي ما أحسنَ بفتح الكلمتين، وبذلك عمد أبو الأسود إلى وضع قواعد يعرف بها العربي لغته.[1]

وجاء في رواية أخرى أن الحديث الذي دار بينه و ابنته كان حول حرارة الجو في يوم شديد الحر، فقالت له ابنته: يا أبت ما أشدُّ الحَرِّ . فأجابها الحصباء، فقالت البنت: إنما تعجبت من شدته، فأجابها أبوها مصححا، طالبا منها أن تقول ما أشدُّ الحرَّ .[2]

وفي رواية قريبة من الرواية السابقة أن ابنته قالت له:« يا أبت ما أشدُّ الحرّ. في يوم شديد الحر ، فقالها: إذا كانت الصعقاء من فوقك، و الرمضاء من تحتك، قالت أنما أردت أنّ الحر شديد، فقال: فقولي إذن ما أشدَّ الحرَّ!.» [3]

ولعلّ هذه الروايات التي عرضتها هنا من أهم الروايات التي قيلت في هذا الموضوع. بالمقابل نجد روايات أخرى تقول إنّ الذي ألحّ على زياد وضع النحو هو: أبو الأسود الدؤلي بينما الرواية الأخرى تقول بأن زيادة هو من طلب من أبو الأسود أن يضع النحو، والرواية الثالثة تذهب إلى أنّ علي كرم الله وجهه طلب من أبي الأسود الدؤلي أن يضع للناس ما يعرفون به لغتهم لكي يتجنبوا اللحن،ويتجلى الاختلاف كذلك في رواية خطأ ابنته، و رواية أخرى ترجع سبب وضع النحو على يده بناءا على ما اكتشفه من لحن الرجل الفارسي سعد في كلامه، وانطلاقا من خوفه على تفشي هذه الظاهرة عمد إلى وضع النحو ليُجنّب هؤلاء الخطأ أثناء حديثهم بالعربية. ولعلّ ذلك يثبت ما أشرنا إليه في بداية هذا المبحث؛ أي صعوبة دراسة نشأة النحو العربي وعلى يد من وضع.

---

[1]- ينظر ،عبد العال سالم مكرم ، **الحلقة المفقودة من تاريخ النحو العربي** ، ص:07

[2]-ينظر، علي أبو المكارم، **المدخل إلى دراسة النحو العربي**، ص: 68. نزهة الألباء، ص: 08.

[3]-السيرافي، **أخبار النحويين البصريين**، ص: 14.

لم يقتصر الخلاف حول واضع النحو على الإمام علي كرم وجهه و أبي الأسود الدؤلي، بل هناك من نسب وضع النحو إلى نصر بن عاصم، و عبد الرحمن بن هرمز، حيث أورد الزبيدي في طبقاته «أن أبي سعد قال: حدثنا أحمد بن سعد بن إبراهيم الزهري، قال: حدثا يحى بن أبي بكير، قال: حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي النضر، قال: كان عبد الرحمان بن هرمز أول من وضع العربية، وكان من أعلم الناس بالنحو و أنساب قريش».[1]

اختلف مؤلفو كتب السير والتراجم و الطبقات في أول من وضع أسس النحو العربي، « على أن ّهذا الاختيار لا يعدو في الواقع أن يكون إما للإمام علي كرم الله وجهه،كما يرى الأنباري وا لقفطي، أو لأبي الأسود الدؤلي رضي الله عنه، كما يراه السابقون قبلهما. فأما عزوا الوضع إلى نصر بن عاصم الليثي أو عبد الرحمن بن هرمز فبمعزل عن الاختيار والتأييد».[2]

إ ضافة إلى هذه الآراء المتباينة في تفسير نشأة النحو العربي هناك من أرجع ذلك إلى عامل خارجي عن البيئة العربية ونفي أن يكون للعرب شأن في ذلك وهذا ما ذهب إليه بعض المستشرقو ن حينما أرجعوا سبب نشأة العلوم العربية بشكلها العام واللغوية بشكل خاص، إلى مصادر غير عربية، ولا يخلو هذا الرأي من صبغة إيديولوجية حسب رأي.

ويرى أحمد أمين في هذا الجانب أنّ تأثير اليونان في العصر الأول لوضع كان تأثيرا ضعيفا، و ربما كان أكبر الأثر أثرا غير مباشر.[3]

ويرى الكثير من الباحثين أنّ فرضية التأثير الإغريقي في المراحل الأولى من تكوين علم النحو غير مقبولة لسببين:

أولهما: عدم معرفة الذين نُسب إليهم وضع النحو للغة اليونانية و قواعدها في ذلك العصر من تاريخ النحو.

---

[1]- الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دط، دار المعارف، القاهرة، 1973، ص: 26.

[2]-محمد الطنطاوي، **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، ص: 23.

[3]-ينظر، أحمد أمين، **موسوعة الحضارة الإسلام، ضحى الإسلام**، م3: 573.

ثانيهما: المسلمون بعد هيمنتهم على البلدان المفتوحة كانوا لا يأبون من ذكر مصادر أقوالهم وما توصلوا إليه، بل أنشأوا بالأخذ و الاقتباس من علوم وفنون هذه الأمم.[1]

**2)- الإطار المكاني لنشأة النحو العربي :**

يشير محمد الطنطاوي إلى أنّ النحو العربي نشأ في العراق صدر الإسلام نشأة عربية على مقتضى الفطرة، ثم تدرج به التطور تماشيا مع سنة الترقي حتى كملت أبوابه.[2]

« وضع النحو ونشأ في العراق، لأنه على حدود البادية، و ملتقى العرب وغيرهم، توطنة الجميع لرخاء الحياة فيه، وبذلك كان أظهر بلد انتشر فيه وباء اللحن مما دعا إلى وضع النحو لحفظ اللسان العربي من خطر هذه الظاهرة».[3]

وتجمع المصادر على أنّ العراق كان مهدا لنشأة النحو اعتبارا لأسباب عدة منها:

– إن العراق كان ملجأ للعجم قبل الفتح الإسلامي، وبعد الفتح أقبل عليه المسلمون عربا و عجما، بناءا على ما تتميز به من متعة الحياة ورغد العيش.

– وكان العراق أكثر البلاد العربية إصابة بوباء اللحن وتعرضا لأثاره بسبب عامل الاختلاط بين العرب و العجم.[4]

– «إن العراق موطن الحضارات المتعاقبة، ما جعل العراقيون يتوارثون المعرفة عن هذه الحضارات وكانوا ذوي عهد قديم بالعلوم، وحتى التأليف و لهم فيها خبرة متوارثة.»[5]

وفيما يخص الإطار الزمني لنشأة هذا العلم فيشير محمد الطنطاوي الى ان وضعه تمّ في الصدر الأول للإسلام، لاعتبار ان هذا العلم من علوم لغة وقانون تتطلبه الحوادث وتقتضيه الحاجات،

---

[1]-ينظر، فتح الله مجتبياي، **النحو الهند،و النحو العربي**، تر: فؤاد طائي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013، ص:14.

[2]- محمد الطنطاوي، **نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة**، ص: 23.

[3]-ينظر، المرجع نفسه، ص: 20.

[4]-إبراهيم عبُّود السمراني، **المفيد في المدارس النحوية**، ص: 23.

[5]- محمد الشاطر أحمد محمد، **الموجز في نشأة النحو**، د.ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1983، ص: 22.

ولذلك لم يكن قبل الإسلام ما يحمل العرب على النظر إليه بحكم أنهم كانوا في العهد الجاهلي ينطقون عن سليقة جبلوا عليها.[1]

ويبدو مما سبق عرضه من آراء ان تحديد الإطار الزماني والمكاني لنشأة علم النحو العربي لم يخضع لمنهج علمي محدد على ما يبدو، لأنّ اختلاف الآراء وتعددها حول واضع هذا العلم، يعني بالضرورة الاختلاف حول زمان ومكان النشأة كذلك.

**3)- مراحل تطور النحو العربي:**

بعدما تطرقنا لإشكالية النحو العربي بعرض أهم الآراء التي أشارت لذلك، سنقف هنا عند أهم المراحل التي مر بها الدرس النحوي من نشأته إلى غاية اكتماله مرورا بأهم المحطات البارزة في مسار هذا المستوى من مستويات اللغة العربية.

«لم يحظى النحو العربي إلى حد الآن بتاريخ شامل يضبط ظروف نشأته، ويتتبع ظهور عناصره وتبلورها، ويحدد مراحل تطوره، ويقيم مساعي رجاله ويبحث في المؤلفات النحوية وفي بيئتها وعصورها عمّا تَنمّ عنه مشاغل فكرية ...».[2]

وهذا ما يطرح إشكالية التأريخ لفترات تطور النحو العربي عبر تعاقب مراحله، فهناك من يؤرخ لهذه المراحل بناء على عامل الزمن باتخاذ القرن الهجري الواحد كعامل للفصل بين مراحل هذا العلم بداية من نشأته إلى غاية اكتماله ، وهناك من يؤرخ لها انطلاقا من حياة الأئمة المشاهير من النحاة، بل وفي مدة زمنية محددة. بل و هناك من قسم المراحل النحوية إلى أربع مراحل، وهناك من قسمها إلى ست، لكن المهم هنا هو الوقوف بشيء من التفصيل عند ما ميّز النحو العربي خلال العصرين العباسي الأول والثاني، وهي المرحلة التي تطور فيها هذا العلم، وعرفت هذه الفترة نضج أهم المعالم الأساسية من النحو العربي في الجانبين المنهجي والمعرفي .

---

[1]- ينظر محمد الطنطاوي، **نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة**، ص: 20.

[2]- عبد القادر المهيري ، **نظرات في التراث اللغوي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993، ص:05 .

ويقول إبراهيم السمرائي: « إنه العلم الذي بدأت أصوله في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، وهي الحقبة التي بدأت فيها المعارف العربية الإسلامية تنشأ وتزدهر حتى إذا كان القرن الثالث والقرن الرابع كان لنا علم لغوي واسع ينقسم أقساما عدة...».[1]

**- تقسيم العصور النحوية زمنيا:**

قسم محمد المختار ولد أباه العصور النحوية على أساس زمني واتخذ القرن الهجري الواحد وحدة زمنية للتأريخ لهذه العصور وجاء تقسيمه على أنّ القرن وحدة زمنية معهودة، تسهّل تقديم السمات العامة للنحو العربي اعتبارا لوجود تداخل بين هذه السمات مكانا وزمانا. و يحتاج تثبيت الأفكار إلى ربطها بفترات زمنية معينة. وجاء تقسيمه للعصور النحوية على التالي :

**أ) القرن الأول* الهجري (النشأة والتأسيس )**

تبدأ مرحلة نشأة وتأسيس النحو العربي، من لدن الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) إلى عهد ابن أبي إسحاق الحضرمي، وفي هذا العهد تكامل وضع الأسس الأولية لهذا العلم، ورسمت أصوله، و استنبطت قواعده.

**ب) القرن الثاني الهجري (التدوين والتصنيف)**

تبدأ مرحلة التدوين والتصنيف بأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وتنتهي بأبي زكريا الفراء، مرورا بالخليل وسيبويه، والكسائي، والأخفش الأوسط.[2] ولعلّ أبرز ما دوّن وصنّف في هذه الفترة كتاب سيبويه، كما ألفت كتب في معاني القرآن، والمسائل النحوية بصفة عامة.

---

[1]-إبراهيم السمرائي، **المدارس النحوية، أسطورة و واقع**، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1987، ص:11.

[2]- ينظر،محمد المختار ولد أباه، **تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ص: 23.

*-جاء في المرجع: القرن الثاني، و عمدت إلى تغييره إلى القرن الأول لأن الخطأ المطبعي هو المرجّح هنا، لأن هذه المرحلة تبدأ من الإمام علي، كما عنونت المرحلة اللاحقة لها بنفس القرن أيضا.

**ج) القرن الثالث الهجري (عصر البيان والتحصيل)**

بل وسمّاه أيضا بعصر "البيان و التعقيب" ترجمة لأعمال المبرد، وثعلب اللذين عكفا على شرح وبسط آراء الخليل وسيبويه، و جلّ نحاة القرن الثاني الهجري، وعمل النحاة في هذه المرحلة أيضا على التعقيب على القواعد النحوية، وبيان أسس آراء النحاة.

**د) القرن الرابع (الحصر والتنظير)**

وفي هذه الفترات بلغت الدراسات النحوية أوجها، واتسع نطاقها لتشمل ربوع العالم الإسلامي، وفيه بدأت المذاهب النحوية تتخذ شكل النظريات المقنّنة، وبذلك سمي هذا العصر بعصر الحصر والتنظير، و فيه تعددت التيارات الفكرية في هذا المستوى من مستويات اللغة العربية ومن أبرزها:

**1. الاتجاه الانتقائي:** وظهر ذلك عند ابن كيسان و ابن السراج و أترابهما، وتجلى ذلك في المدرسة البغدادية.

**2. الحركة التفسيرية:** والتي ظهرت عند السيرافي والرماني، ومن أهدافها وضع حصر إنتاج المذاهب المعتمدة، وبسط آراء سيبويه النحوية، وتوضيحها على أساس تقريب المنهج النحوي من منهج المتكلمين.

**3. المحاولات التنظيرية:** والتي قام بها الزجاج وأبو القاسم الزجاجي وابن جني في كتابه "الخصائص" وغيره من النحاة في هذه الفترة، وهدفهم تقريب المنهج النحوي من المنهج الأصولي.[1]

و لم يقف محمد المختار ولدّ أباه عند هذه الفترة، أي القرن الرابع الهجري، ولكننا قرّر أن نقف عند هذه المرحلة، لعدم حاجتنا للمراحل اللاحقة، (ما بعد القرن الرابع الهجري) واعتبارا للتقيّد بالحيّز الزمني في البحث.

[1]-ينظر، **المرجع السابق**، ص:24- 25.

بالمقابل قسّم عبد الجليل مرتاض مراحل تطور النحو العربي إلى ست مراحل، حيث جعل من فترة حياة ائمة النحو العربي معيارا لذلك:

1) فترة أبي الأسود الدؤلي ما قبل 50 ه إلى 69 ه، وعرفت هذه الفترة ظهور أول كتاب في النحو لأبي الأسود الدؤلي.
2) فترة تلاميذه الذين طوروا هذه الدراسات النحوية كنصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر وغيرهما، وامتداد هذه المرحلة يدخل في فترة عبد الله بن أبي إسحاق، وشهدت هذه الفترة نشاطا في النقط والشكل.[1]
3) فترة عيسى بن عمر وأبي عمرو؛ ما قبل سنة 110ه إلى غاية منتصف القرن الثاني الهجري، وشهد الدرس النحوي في هذه الفترة بداية حقيقية لتعميق الدرس النحوي، إلى حد برز فيه التمذهب والتفلسف في النحو العربي.
4) فترة عبد الله بن أبي إسحاق ما قبل 90ه إلى 117ه واستفادت هذه الفترة من تراكمات المراحل الثلاث السابقة، وأصبحت معالمها واضحة، وعرف الدرس النحوي أكثر منهجية من حيث جمع المادة النحوية، وتبويبها وتفصيلها.
5) فترة خلف الأحمر ويحيى بن المبارك وأبي الخطاب الأخفس وغيرهم، ويمثل هذه الفترة الخليل بن أحمد، وتبدأ ما قبل 149ه إلى حوالي 174ه، ولن تشهد هذه الفترة أعظم إنتاجا من حيث الكم والكيف، با ستثناء أول معجم الراجح جدا أنه للخليل بن أحمد.
6) فترة الجمع والتأليف والتصنيف، وهذا اعتمادا على الفترات السابقة لهذه المرحلة.[2]

بخلاف ذلك نجد أنّ علي أبو المكارم قسم تاريخ النحو العربي، أو المراحل التي مرّ بها النحو العربي منذ نشأته إلى وقتنا هذا إلى خمس فترات:

---

[1]- ينظر، عبد الجليل مرتاض، **الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية**، ص: 147، 148.

[2]- ينظر،**المرجع نفسه**، ص:147-149.

1) الفترة الأولى (طور النشأة والنمو): واستغرقت هذه الفترة نحوا قرن ونصف من الزمن، من عهد أبي الأسود الدؤلي حتى عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي، وعرفت هذه المرحلة بدء محاولات استكشاف الظواهر اللغوية عقب نقط أبي الأسود للمصحف، كما شهدت المحاولات الأولى لصياغة ما اكتشف من الظواهر في شكل قواعد.

2) الفترة الثانية (طور التطور): واستمر هذا الطور أيضا حوالي قرن ونصف من الزمن، من الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى غاية أبي بكر بن محمد بن سهل السراج (ت 316ه)، وتمّ في هذه الفترة استقلال البحوث اللغوية والنحوية عن الدراسات القرآنية، كما شملت الدراسات النحوية دراسة كافة الدراسات اللغوية دراسة وتقنينا وفي هذه الفترة انتهوا من تحديد المصطلحات، وأتموا تصنيف أهم ألف في اللغة والنحو، وتعددت مراكز البحث اللغوي بصفة عامة والنحوي بصفة خاصة، بعد أن كانت مقتصرة على البصرة في المرحلة السابقة.[1]

3) الفترة الثالثة (طور النضج): و استمرت هذه المرحلة حوالي أكثر من قرنيين ونصف من الزمن من السراج (ت 316ه)، إلى ابن الأنباري (ت 577ه)، وتعدّ هذه المرحلة من أخصب فترات النحو العربي، قياسا بكمية الإنتاج في النحو وما أضافت إليه من إضافة موضوعية.[2]

4) وتلت هذه الفترة فترة ثالثة سمّاها بطور التجمد، والتي بدأت بنهاية المرحلة الثالثة ودامت حوالي ثمانية قرون، واتسم البحث النحوي بالتبعية والاجترار في هذه الفترة، وبعدها الفترة الخامسة وسميت بطور التحرك، ولا يزيد عمر هذه المرحلة عن خمسين عاما زمنا هذا، وشهدت هذه الفترة محاولات متعددة تدعو لإعادة النظر في التراث النحوي العربي.

[1]-ينظر، علي أبو المكارم ، **المدخل الى دراسة النحو العربي**، ص: 93-94.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 96.

## 4)- واقع المدارس النحوية خلال العصرين العباسي الأول و الثاني :

إن الفضاء الزماني في هذا البحث يفرض عليّ أن أكتفي بذكر مدرستي البصرة، والكوفة بحكم ما عرفته من ازدهار في المجال النحوي خلال هذه الفترة، وتأخر المدارس النحوية الأخرى كالمصرية والأندلسية عن هذا التاريخ إلا ما كان في شكل أعمال فردية مهدّت للدرس النحوي في مصر والأندلس.

### أ)- المدرسة البصرية:

تعتبر البصرة أول مدينة عنيت بالدرس اللغوي بوجه عام، والنحوي على وجه الخصوص، وذلك من حيث تدوين هذه اللغة، واستنباط قواعدها، وكان السبق لمدرسة البصرة بنحو قرن من الزمن إلا ان برزت المدرسة الكوفية وأسست مذهبا خاصا يضاهي مذهب البصرة.[1]

وقد سلكت مدرسة البصرة مسلكا خاصا في أساليب البحث النحوي وطرق الاستنباط، «حيث وقفوا على الشواهد الموثوق بصحتها، لذا كانت أقيستهم أقرب إلى الصحة، وحكموا على ما خالف قواعدهم بالشذوذ والاصطناع، ومن ثم كثر عندهم ما قلّ عند الكوفيين، وبذلك وظفوا القياس وفضلوه، وجروا عليه، وأهدروا ما عداه، وهذا منهجهم في البحث النحوي.»[2]

وعرف الدرس النحوي في مدرسة البصرة تطورا كبيرا خلال الفترة الممتدة من القرن الثاني الهجري إلى نهاية النصف الثاني من القرن الرابع الهجري بفضل جهود تلة من أئمة النحاة على غرار الخليل، وتلامذته وأشهرهم على الإطلاق سيبويه؛ والذي عرف النحو العربي بظهوره تطورا و نموا يدعوان إلى الإعجاب، والذي أخذ عن أستاذه الخليل.

ويعدّ كتابه المشهور بـــ "الكتاب" من أجمل وأكمل ما كتب في النحو العربي، حيث شمل كل المسائل النحوية والصرفية، كما رُتِب هذا الكتاب بطريقة لم تتوفر عند من سبقه في هذا المجال.

---

[1]- ينظر، أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، م3: 565.

[2]- فخر صالح سليمان قدارة، **مسائل خلافية بين الخليل وسيبويه**، ص: 15.

وهذا الكتاب «الذي طار طائره في الآفاق، ويقال: أنه أخذ كتاب عيسى بن عمر المسمَّى بالجامع، فبسطه وحشى عليه من كلام الخليل وغيره ...».[1]

لكن مما لاشك فيه أنّ هذا الكتاب بما يحمله من مادة لغوية يظل أساس وبدون منازع لعلم النحو العربي، ويبقى دستور النحاة قديما وحديثا. ويتجلى دوره في تطوير النحو العربي في هذه المرحلة اعتماده أساليب ساهمت في تطوير الدرس النحوي ومن بينها:

- اعتماده على أسلوب التحليل بحيث لا يكتفي بتسجيلها، بل يحللها أيضا.
- و السماع؛ حيث صار على منوال أستاذه الخليل في ذلك.
- كما اعتمد على التعليل ، حيث أكثر من ذلك في كتابه بتعليل الأحكام لكل قاعدة يضعها.[2]

وعموما لا يخفى على أحد الدور الذي أدّته هذه المدرسة في تطوير النحو العربي بصفة عامة، وما قدمه المنتمين إليها بشكل خاص، وكانت البصرة « مهد النحو بها ظهر وعلى أيدي رجالها ذاع وأنتشر وعنهم تلقاه أبناء العربية (عربا وعجما) همّهم اكتساب آلة و أداة تمكّنهم من فهم القرآن الكريم »[3]

وعلى يد هؤلاء وغيرهم تطور النحو العربي ، وساعد تكاثف جهودهم في حيّز جغرافي (البصرة) على ذلك بفضل عوامل ساهمت في تهيئة هذا المناخ العلمي، والتي من أهمها: اتصال العنصر العربي بالأجنبي.

---

[1]- الفيروز أبادي، **البلاغة في تاريخ أئمة اللغة**، مراجعة: بركات يوسف هبّود، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2001،ص: 133.

[2]-ينظر، أحمد جميل شامي، **النحو العربي قضاياه ومراحل تطوره**، ص: 91، 94.

[3]- التواتي بن التواتي، **المدارس النحوية**، دط، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 29.

**الخليل بن أحمد وجهوده في مدرسة البصرة**

جاء اختيارنا لهذه الشخصية العظيمة من أئمة المدرسة البصرية بناء على مكانته و جهوده النحوية، و ما لها من عظيم الأثر في توجيه مسار البحث اللغوي بشكل عام والنحوي على الخصوص.

وكان الخليل بن أحمد الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه، وهو إمام و أستاذ سيبويه، وعامة الحكاية في كتابه عن الخليل؛ وكل ما قاله سيبويه: "وسألته"، أو قال "قال" من غير أن يذكر قائله فهو الخليل.[1] كما كانت الجهود النحوية لهذا الرجل عظيمة عظم شخصه، فهو الذي أرسى دعائم النحو العربي، و وضع مصطلحاته، وبسط القول في مباحثه المختلفة كالعامل والسماع والقياس، والتعليل، فهو يعدّ بحق واضع هذا العلم، و يكفيه فخرا أنه أنجب للنحو تلميذا من تلاميذه(سيبويه) طبقت شهرته الآفاق، و قدم للعربية كتاب شاملا في النحو.

ويرّجح أنّ الخليل لم يكتب شيئا في النحو، ولا ألف فيه كتابا، و اكتفى بما أوحى إلى سيبويه من علمه.[2]

ومن أهم مظاهر التطور في الدرس اللغوي العربي «تثبيت نظرية العوامل على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي مدّ فروعها وأحكمها تمام الأحكام إلى أن أخذت شكلها النهائي الثابت على مرّ العصور، كما أشار إلى ضرورة وجود عامل يعمل في الأسماء والأفعال المعربة، والمبنية، وفي كل الحالات الإعرابية.»[3]

---

[1]-السيرافي، **أخبار النحويين البصريين** ، ص: 31.

[2]-فخر صالح سليمان قدارة، **مسائل خلافية بن الخليل وسيبويه**، ص: 22.

[3]- احمد جميل شامي، **النحو العربي قضاياه ومراحل تطوره**، ص: 86.

وفيما يلي طبقات النحاة في مدرسة البصرة خلال العصريين العباسي الأول والثاني كما ورد في كتاب أخبار النحويين البصريين للسيرافي:

**الطبقة الثانية:**

- عيسى بن عمر الثقفي (ت 149هـ)
- أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ)
- أبو الخطاب الأخفش الأكبر (ت 157هـ)

**الطبقة الثالثة:**

- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 174هـ).[1]
- يونس بن حبيب (ت 183هـ)

**الطبقة الرابعة:**

- سيبويه و هو أمامها (ت 188هـ)
- اليزيدي (ت 202هـ)
- النضير بن شميل المازني (ت 204هـ)
- قطرب (ت 206هـ)
- الأخفش الأوسط (ت 208هـ)
- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 213هـ)
- أبو زيد الأنصاري (ت 215هـ)
- الأصمعي (ت 216هـ)
- ابن سلام (ت 232هـ)

**الطبقة الخامسة:**

- الجرمي (ت 225هـ)

[1]-السيرافي، **أخبار النحويين البصريين**، ص:05.

- التوزي (ت 238هـ)
- المازني (ت 249هـ)
- الزيادي (ت 249هـ)
- الرياشي (ت 257هـ)
- أبو حاتم السجستاني (ت 255هـ)

**الطبقة السادسة:**

- أمامها المبرد (ت 285هـ).[1]

**ب)- المدرسة الكوفية:**

نشأت مدرسة الكوفة متأخرة قليلا عن مدرسة البصرة، لأنّ الوقت الذي كان فيه البصريون مهتمين بالدرس النحوي بأقيسته وتعليلاته، كان الكوفيون معتكفين على دراسة القراءات، وروايتها رواية دقيقة.[2]وتميزت هذه المدرسة بأنها أخذت النحو عن البصريين لأن النحو «عرف في البصرة قبل الكوفة».[3]

ويذهب المهتمون بتاريخ النحو العربي، إلى أنّ بداية النحو الكوفي موصولة بأبي جعفر الرؤاسي، و هو ما ذهب اليه المعاصرون أيضا، بل و قيل أنّ للرؤاسي كتابا في النحو اطلع عليه الخليل بن أحمد و استفاد منه. لكن لا يعرف من نحو أبي جعفر الرؤاسي شيئا في كتب النحو القديمة ، فلم يشر النحاة المتقدمون إلى شيء من ذلك، كما أشار المتقدمون إلى عالم آخر هو معاذ بن مسلم الهراء ، والذي عدّ مع أبو جعفر الرؤاسي من أوائل الكوفيين.[4]

---

[1]-**المصدر السابق**، ص: 06.

[2]-محمد حسن عبد العزيز، **مصادر البحث اللغوي**، ص: 100.

[3]-إبراهيم السمرائي، **المدارس النحوية أسطورة و واقع**، ص:31.

[4]-ينظر، **المرجع نفسه**، ص: 32.

ونشأ الرؤاسي بالكوفة « و ورد البصرة فأخذ عن أبي عمر وابن العلاء وغيره من علماء الطبقة الثانية البصرية، و بعدها انتقل إلى الكوفة واشتغل فيها بالنحو مع عمه معاذ وغيره، فتكوّنت الطبقة الأولى الكوفية».[1]

ويرجع الفضل إلى الكسائي والفراء في وضع النحو الكوفي، فهما من وضعا أصوله وأوضحا خصائصه التي تميزه عن النحو البصري، والتي من أهمها أنّ الكوفيين تساهلوا في التثبيت من صحة المسموع و أمانة رواية وسلامة قائله، بينما البصريون تشدّدوا في ذلك وكذلك توسعوا في استعمال القياس أيضا.[2]

**طبقات النحويين الكوفيين:**

كان السبق في نشأة الدراسات النحوية والاهتمام بمسائل هذا المستوى من علوم اللغة العربية في مدرسة البصرة، لذلك ظهرت مدرسة الكوفة متأخرة بحوالي قرن من الزمن عن المدرسة البصرية، وهذا يثبته ترتيب طبقات المدرسة الكوفية التي كانت بداية الطبقة الأولى فيها حوالي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، بينما كانت بداية مدرسة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، حسب تصنيف الطبقات للسيرافي، وفيما يلي طبقات النحويين الكوفيين خلال العصرين العباسي الأول والثاني:

**الطبقة الأولى:**

- الرؤاسي و هو أستاذها (ت 187هـ)[3]
- شيبان بن عبد الرحمن (ت 164هـ)

**الطبقة الثانية:**

- الكسائي (ت 189هـ)

---

[1]- محمد الطنطاوي، **نشأة النحو العربي وتاريخ أشهر النحاة**، ص: 115.

[2]- محمد حسن عبد العزيز، **مصادر البحث اللغوي**، ص:107.

[3]- السيرافي، **أخبار النحويين البصريين**، ص : 06.

- أبو الحسن الأحمر (ت 194هـ)
- الفراء (ت 207هـ)
- هشام الضرير (ت 209هـ)
- اللحياني (ت 220هـ)

**الطبقة الثالثة:**

- القاسم ابن سلام (ت 223هـ)
- ابن الأعرابي (ت 231هـ)
- ابن سعدان (ت 231هـ)
- الطوال (ت 243هـ)
- ابن السكيت (ت 244هـ)
- ابن قادم (ت 251هـ)

**الطبقة الرابعة:**

- ثعلب و هو أمامها (ت 291هـ)
- المبرد (ت 285هـ).[1]

بداية من هذه المرحلة الأخيرة بدأ علماء المدرسة الكوفية و البصرية في الرحلة نحو بغداد وأنشأوا بها مدرسة تكاملت فيها جهود المدرستين، بعدما كان التنافس بينهما السمة الغالبة ، وفي الربع الأول من القرن الثالث الهجري، بدأ التقارب بين نحاة المدرستين في مسائل عدة، وتجسد ذلك في مدرسة بغداد التي جمعت بين آراء مدرستي البصرة والكوفة معا.

[1]- **المصدر السابق**، ص: 07.

« ومنذ القرن الثالث الهجري، أخذت المدرستان المتنافستان في البصرة والكوفة تتقاربان وتندمجان إحداهما في الأخرى باطراد، وسرعان ما غدت بغداد حاضرة الخلافة اللامعة، مركزا للحياة العقلية كافة، وحجبت غيرها من مدن الأقاليم وراء ظلالها».[1]

وهذا لا يعني أنّ كثيرا من العلماء الذين اجتذبهم عاصمة الخلافة (بغداد) إليها، بقوا شديدي التعصب لمأثورات مدارسهم.

ومن العلماء الذين جمعوا بين المدرستين نجدا:

- ابن قتيبة (ت 276ه)
- ابن كيسان (ت 299ه)
- الأخفش الأصغر(ت 299ه)
- ابن الخياط (ت 320ه)
- الزجاجي (ت 225ه)
- الوشاء (ت 325ه).[2]

للإشارة اعتمدت في هذا العنوان على ترتيب الطبقات حسب ترتيب السيرافي لها فقط، لأنّ ترتيب طبقات النحاة لم أجد لها ترتيبا موحّدا، و اكتفيت بذكر نحاة العصرين العباسي الأول والثاني.

أما المدرسة المصرية، فجاء ت متأخرة نوعا ما، ومن أعلامها الأوائل أبو العباس أحمد بن ولاّد (ت 322ه)، وأبو جعفر النحاس (ت 338ه) والشيء نفسه بالنسبة للمدرسة الأندلسية حيث جاءت متأخرة أيضا، إلا أنهما سلكتا مسلك المدرسة البغدادية بارتكازهما كل الارتكاز على المذهبين البصري والكوفي، وإن أكثرتا من التأويل والتعليل.[3]

---

[1]-كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي** ، ت: عبد الحليم النجار، ط4، دار المعارف، القاهرة، دس، ج2: 221.

[2]-السيرافي، **أخبار النحويين البصريين**، ص: 08.

[3]-ينظر، محمد حسن عبد العزيز، **مصادر البحث اللغوي**، ص: 105.

**5)- أهم مظاهر التطور النحوي خلال العصرين العباسي الأول والثاني:**

شهد البحث اللغوي العربي بصفة عامة، والنحوي بصفة خاصة خلال العصرين العباسي الأول والثاني جملة من المظاهر استُحدثت خلال هذه المرحلة، عملت على مسايرة التطور النحوي بشكل عام. وبفعل مجموعة من التراكمات التي أفرزتها توالي الأيام، بلغ النحو العربي ما بلغه من تطور خلال هذه الفترة، و من أهم مظاهر تطور المستوى النحوي ما يلي:

- إيجاد المذاهب: وهذا الشكل من التطور برز في شكله البسيط القائم على الخلاف بين السابق واللاحق من العلماء، ثم انتقل إلى أتباع المدارس الواحدة.

- انتصار كل نحوي لمدرسته، حيث شهدت هذه المرحلة التنافس بين المدرستين البصرية والكوفية أيضا بعد نشأة المذاهب.

- إنّ كتاب سيبويه لم يكن تطورا مفاجئا، وإنما تطورٌ بالغ الأهمية وكان ذلك نتيجة للمراحل السابقة على هذا الكتاب.

- استحداث القياس في البحث النحوي، والقياس موضوع مستحدث في هذه المرحلة أيضا بفضل تأثر العلوم العربية بالعلوم العقلية الدخيلة لا سيما الفلسفة اليونانية.

- كذلك استحداث العلّة: والتعليل النحوي عملية رافقت الممارسات النحوية، وقيل أنّ الخليل بن أحمد أول من وظف العلّة في النحو،[1] « واستنبط من العروض ومن علل النحو ما لم يستنبط أحد، و لم يسبق إلى مثله سابق».[2]

- استحداث العوامل الداعية إلى التغيير في حركات أواخر الكلمات.

- عرفت المصطلحات النحوية في هذه المرحلة وضع أهمها.بل كل المصطلحات، وساهم الخليل، وسيبويه بشكل كبير في ذلك.

---

[1]-ينظر، طلال علامة، **تطور النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة**، ص:47، 48، 56، 60، 63.

[2]-الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ص:47.

– ا نفصال النحو عن غيره من علوم، بفضل التطور الذي عرفته علوم اللغة في شكلها المنهجي والمعرفي،[1] حيث نشأت الدراسات اللغوية بتداخل جميع مستويات اللغة فيما بينها، وكذلك تغير برامج الدراسة بفضل ا ستقلال معظم العلوم بذاتها.

[1]-ينظر، طلال علامة، **تطور النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة**، ص: 68، 72، 78.

## المبحث الثالث : الدرس المعجمي و الصوتي و الصرفي خلال العصرين العباسي الأول والثاني

تعمدّت تخصيص المبحث الثاني للدرس النحوي فقط، وهذا المبحث للجانب المعجمي و الصوتي والصرفي بصفة عامة، وهذا اعتبارا لما أخذه البحث النحوي من البحث اللغوي العام في هذه المرحلة محل الدراسة، بحيث ا ستحال فصل النحوي عن اللغوي في مرحلة نشأة الدراسات اللغوية العربية، كما أنّ الجانب النحوي، تضمن هذه الجوانب مجتمعة.

إنّ العوامل التي كانت وراء ظهور علم اللغة بصفة عامة، وعلم النحو بوجه خاص، والتي سبق الإشارة إليها في المبحث الأول من هذا الفصل، هي عوامل نفسها أدّت إلى نشأة وتطور البحث في هذه المستويات اللغوية، فنشأت الدراسات اللغوية عند العرب خدمة للقرآن الكريم. حيث عكف علماء عرب و أعاجم منذ القرن الأول الهجري على البحث في المجال اللغوي بشكله العام خدمة لهذا الغرض، فبدأت العلوم اللغوية في مهدها متداخلة إلى درجة يصعب التميز بين مستوى من مستوياتها، وكانت الدراسات اللغوية بأكملها تدخل ضمن علوم القرآن.

ومع مرور الزمن، و تطور البحث اللغوي منهجيا ومعرفيا بفضل عوامل عدة من أبرزها انفتاح العرب على الثقافات المختلفة، وإطلاعهم على علومهم ومعارفهم أيضا، العامل الذي كان له عظيم الأثر في تطوير الدرس اللغوي في جميع مستوياته، وهذا لا يعني نفي الأصالة عن بعض العلوم اللغوية العربية. وكان لمعجم الخليل، وكتاب سيبويه عظيم الأثر في تطوير البحث اللغوي في جميع مجالاته خلال تلك المرحلة.

### 1- نشأة المعاجم العربية و تطورها:

مرّ الدرس المعجمي العربي منذ نشأته حتى اكتمال بنائه وبلوغ شكله النهائي مراحل عدة، و لم يتفق الباحثون في هذا الميدان على تاريخ محدد لبداية نشأة الدرس المعجمي، بل ساد نشأة هذا الفرع من علوم اللغة ما ساد نشأة النحو العربي من اختلاف في الآراء كذلك.

و مرّ البحث في هذا الميدان من اللغة بثلاث مراحل:

**المرحلة الأولى:** وفيها جمع العرب الكلمات من غير أن يتبعوا طريقة محددة، فكان الجمع يتم حسب ما سمعه العالم دونما تصنيف أو تبويب. «وقد سبق التدوين عملية الجمع التي قام بها الرواة و العلماء منذ أواخر القرن الهجري الأول، وخلال القرن الهجري الثاني، عن طريق السماع عن عرب البادية وا تصالهم المباشر بهم أو أثناء قدومهم إلى المدن.»[1]

**المرحلة الثانية:** وفيها جمعت الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، و توّجت هذه المرحلة بكتب تؤلف في الموضوع الواحد، فألف أبو يزيد كتابا في المطر، وكتابا في اللبن، كما ألف الأصمعي كتبا صغيرة متعددة كلا منهما في موضوع معين كما جمع الكلمات المتعلقة بالشتاء في كتاب واحد.[2]

**المرحلة الثالثة:** وهذه المرحلة مثّلها الخليل بن أحمد من خلال معجم العين، الذي استحدث فيه طريقة جمع وتصنيف المادة اللغوية، و تمثل ذلك في جمع كل الكلمات العربية على نمط خاص، ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة ما، «وبذلك تمكّن الخليل من جمع الكلمات العربية، وترتيبها حسب مخارج الحروف وبدأها من العين.»[3]

ووضعت في هذه المرحلة معاجم شاملة للغة، مرتبة بحسب الموضوعات فسميت معاجم المعاني، أو مرتبة بحسب حروفها لا معانيها و سميت معاجم الألفاظ. [4]

## 2- المدارس المعجمية والدرس المعجمي خلال العصرين العباسي الأول والثاني:

عرف الدرس المعجمي العربي كغيره من الفروع اللغوية ازدهارا خلال هذه المرحلة بفعل عوامل عدة سبق الإشارة إليها.

---

[1]- ديزيره سقال، **نشأة المعاجم العربية وتطورها**، ط1، دار الصداقة العربية، بيروت، 1995، ص :08.

[2]-ينظر، أحمد أمين، **موسوعة الحضارة الإسلامية**، ضحى الإسلام، م3: 550.

[3]- **المرجع نفسه**، ص: 551.

[4]-ينظر ،حامد صادق قنيبي، محمد عريف الحرباوي، **المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية**، ط1، دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع، عمان، 2005، ص: 32.

والمدارس المعجمية هي «عبارة عن مجموعات من المعاجم تجمع مؤلفيها على منهج واحد بكل مجموعة.»[1]

والمعاجم العربية قسمان؛ معاجم الألفاظ، ، أو المعاجم المجنسة، و تجمع ألفاظ العربية كلها بلا تمييز.

ومعاجم المعاني، ويقال لها أيضا المعاجم المبوبة، وهي جمع من الألفاظ المتصلة بموضوع واحد فقط ، كموضوع المطر أو الجياد، أو شواذّ اللغة...[2]

فالنوع الأول تجمع مادته اللغوية على أساس المعاني حيث تجمع الألفاظ التي تنتمي إلى معنى واحد في موضع واحد، أما النوع الثاني فتجمع مادته على أساس الشكل.

**1- معاجم الألفاظ:**

واتخذت هذه المعاجم عدة مناهج في ترتيب مادتها اللغوية، على أساس مخارج الحروف وتسلسلها، أو على أساس أبجدي أو أساس ترتيب الحروف العربية ترتيبا ألفبائيا.

**أ) مدرسة الترتيب المخرجي:** (أو المدرسة الخليلية):

ويطلق عليها مدرسة العين كذلك، وتشكّل هذه المدرسة مجموعة المعاجم السائرة على نهج تصنيف معجم العين لرائد هذه المدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي، والذي اعتمد في ترتيبه للمادة اللغوية العربية على مبدأ الترتيب الصوتي للحروف ، من الأعمق حتى الأقل عمقا، فرتبها ترتيبا تسلسليا.[3]

و لعلّ أهم ما يميز معجم الخليل- الذي يعدّ أول معجم من نوعه عرفته العربية بهذا الحجم- «أنّ مؤلفه لم يجمع مفرداته عن طريق استقراء ألفاظ اللغة، وتتبعها في مؤلفات السابقين، وجمعها

---

[1]-مشتاق عباس معن، **المعجم المفصل في فقه اللغة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص: 163.

[2]-ينظر، ديزيره سقال، **نشأة المعاجم العربية وتطورها**، ص: 10.

[3]- مشتاق عباس معن، **المعجم المفصل في فقه اللغة**، ص: 164.

من شفاه الرواة، وإنما جمعها بطريقة منطقية رياضية، حيث لاحظ أن الكلمة العربية قد تكون ثنائية وقد تكون ثلاثية و قد تكون خماسية».[1]

إضافة إلى الأساس الصوتي في الترتيب، وظّف الخليل في معجمه نظام التصريفات والتقلبيات، حيث حاول الخليل أن يظهر ضروب المعاني مع تقليب المادة، وترتيب حروفها في موضوع واحد؛ ومعنى ذلك ان الخليل تمكّن من إحصاء الكلمات العربية وأشار إلى الصيّغ المهملة في التقليبات الثلاثية والرباعية والخماسية، واعتبر الخليل مدخل المواد أحرف ثلاثة توزّع وفقا لعمقها الصوتي، ثم تقلّبُ تدريجيا.[2]

وسلك مسلكه في جمع المادة اللغوية العربية القالي (ت 365ه) في معجم "البارع"، والصاحب بن عبّاد (ت 385ه) في معجمه "المحيط في اللغة".

وقد اختلف في انتماء ابن دريد (ت 321ه) لمدرسة العين أو الترتيب الصوتي في معجمه "الجمهرة في اللغة"« لاعتماده على الألفبائية في ترتيب أبواب المعجم على الرّغم من إتباعه لنظام تريب الألفاظ بحسب أبنيتها داخل كل باب من أبواب المعجم واعتماده نظام التقاليب كذلك، وذهب البعض إلى اعتباره مدرسة قائمة بذاتها.»[3]

**ب) مدرسة الترتيب الألفبائي والأبجدي:**

يعدّ أبو عمرو الشيباني (ت 206ه) رائدها من خلال كتابه "الجيم" الذي اعتمد فيه على هذا الترتيب في جمع المادة اللغوية، ومن أبرز المنتمين لهذه المدرسة نجد ابن فارس(ت 395ه) في كتابه "مقياس اللغة" و"مجمل اللغة".[4]

ويعتبر علماء اللغة العربية عصر ابن فارس؛ أي القرن الرابع الهجري قرن النهضة المعجمية الشاملة. والمعاجم السابقة الذكر رتبت كلماتها ترتيبا أبجديا تحت حرفها الأول. وفي المدرسة

---

[1]-أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، ص: 179.

[2]-ينظر، ديزيره سقال، **نشأة المعاجم العربية وتطورها**، ص: 39.

[3]- مشتاق عباس معن، **المعجم المفصل في فقه اللغة**، ص: 164.

[4]- **المرجع نفسه** ، ص :165

نفسها، معاجم رتبت كذلك أبجديا تحت حرفها الأخير ومن أهمها: "تاج اللغة وصحاح العربية" للجوهري (ت 393ه).[1] ويدخل تحت هذا الترتيب العديد من المعاجم المشهورة في العربية على سبيل المثال نجد: "لسان العرب" لابن منظور، و"القاموس المحيط" للفيروز أبادي، إلا أنني أقتصرت فقط على تلك المعاجم التي تدخل ضمن الحيّز الزماني المحدد في البحث.

**ج) مدرسة الترتيب حسب الأبنية:**

و يعتمد في تأليف المعاجم العربية في هذه المدرسة «ترتيب مداخلها على الجدر الذي يتألف غالبا من الصوامت، هذا الجدر الذي يتألف من الصوامت ينسب إليه معنى عام ينتظم كل الكلمات التي تتألف منه، ويطلق عليه المعنى المشترك.»[2]

« و أول معجم كامل اتبع نظام الأبنية قد ظهر في القرن الرابع الهجري على يد مؤلف من تركستان».[3] ومن المعاجم التي رتبت كلماتها بحسب الأبنية "ديوان الأدب" للفرابي، وهو معجم جمع فيه الأفعال والأسماء معا وفق نظام الأبنية.

**2- معاجم المعاني:**

ويرجّح أنّ فكرة هذا النوع من المعاجم التي ترتب المادة اللغوية العربية بحسب الموضوعات، كانت أسبق في الوجود، أو معاصرة لأولية المعاجم العربية المرتبة بحسب الألفاظ، والتي بدأت في شكل كتيبات خاصة يتناول كلّ منها موضوعا واحد من المواضيع المحددة.

و أوائل من ألفوا بهذه الطريقة: أبو مالك عمرو ابن كركرة الذي ألف: خلق الإنسان والخيل، وكذلك أبو خيرة الأعرابي الذي ألف: الحشرات وكلاهما عاشا في القرن الهجري،[4] ويسمى هذا النوع من المعاجم بالمعاجم المبوبة كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

و حُصِرت المعاجم المبوبة في ستة أنماط:

---

[1]-ينظر، محمد حسن عبد العزيز، **مصادر البحث اللغوي**، ص: 194.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 201.

[3]- احمد مختار عمر ، **البحث اللغوي عند العرب**، ص :269.

[4]- **المرجع نفسه** ، ص: 288.

1) نمط الندرة و الغرابة: أي ما جُمِعَ من الألفاظ الغريبة ككتاب أبي زيد الأنصاري "النوادر في اللغة".

2) الموضوعات والمعاني: وهي المعاجم التي جمعت فيها ألفاظ اللغة المتعلقة بموضوع واحد من الموضوعات، أو معنى من المعاني ككتاب "الأجناس" للأصمعي، و"المطر" لأبي زيد الأنصاري.

3) الأضداد: و هي ما جَمَعَ فيه اصحابه الألفاظ التي وردت بمعنيين متناقضين ككتاب "الأضداد" للأصمعي.

4) مثلث الكلام: ما جُمِعَ في الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعانٍ مختلفة، ككتاب "مثلثات قطرب"، كحركة الحاء في "الحلم"، فهي تفيد معان متباينة في حالات الكسر، والرفع، و النصب.[1]

5) الأفعال ذات الاشتقاق الواحد: ما جُمع من الأفعال التي تأتي على اشتقاقين بمعنى واحد، ككتاب "فَعَلت وأفعلت" للزجّاج.

6) الحروف: ماجُمع من الألفاظ و رتبّ بحسب الحروف، ككتاب "الهمز" لأبي زيد الأنصاري.

وثمة العديد من المصنّفات اختصت أو كادت تختص تماما بالمعاني ومن أهمها:" الغريب المصنّف" لأبي عبد الله القاسم بن سلام (ت 224ه)، "الألفاظ" لابن السكيت (ت 244ه)، و"الألفاظ الكتابية" للهمداني (ت 320ه)، و"جواهر الألفاظ" لقدامى بن جعفر (ت 337ه) و"مبادئ اللغة" للإسكافي (ت 420ه).[2]

[1]- ديزيره سقال، **نشأة المعاجم العربية و تطورها**، ص: 13.

[2]- **المرجع نفسه** ،ص:14.

ويرجع التطور العظيم في هذا المجال من الدراسات اللغوية من حيث الكم و النوع إلى الرقيّ الذي بلغه البحث اللغوي العربي في القرون الأربعة الأولى للهجرة، لاسيما في الجانب المنهجي من هذه الدراسات.

### 3- الدرس الصوتي والصرفي خلال العصرين العباس الأول والثاني:

إنّ التداخل الذي ميّز المستويات اللغوية في المراحل الأولى لنشأة الدرس اللغوي عند العرب تجلى بشكل كبير بين حدود النحو والصرف والصوت إلى حدّ يصعب التمييز بين هذه المستويات اللغوية.

وتوزعت مصادر البحث الصوتي في التراث العربي بين اللغويين من صنّاع المعاجم والقراء، ولم ينشأ البحث في هذا المجال من اللغة مكتملا، وأقدم الملاحظات الصوتية العلمية، ترجع إلى القرن الثاني الهجري في معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، باعتماده منهجا لحصر مواد اللغة العربية بوضعه ترتيبا جديدا، وفق مخارج هذه الحروف العربية، مع وصفا مفصلا لمخارجها، وانتهج نهجه في الوصف والترتيب جماعة من اللغويين كالأزهري، والصاحب بن عباد و ابن سيده.[1] ويعتبر علماء اللسانيات الحديثة أنّ الدرس الصوتي من أولى الخطوات في دراسة اللغة، باعتبار أنّ هذا الدرس يتناول أصغر وحدات اللغة « أما اللغويون العرب فلم ينظروا إلى الدراسة الصوتية هذه النظرة، و لم يعالجوا الأصوات علاجا مستقلا وإنما تناولوها دائما مختلطة بغيرها من البحوث».[2]

فالنحاة خصصوا بعض الأبواب في كتبهم النحوية لهذا الفرع (علم الأصوات) من علم اللغة العام، وأكثر من ذلك لم يقصدوها لذاتها و إنما لغيرها، حيث اعتبروها مدخلا أو تمهيدا لدراسة

[1]- ينظر، محمد حسن عبد العزيز، **مصادر البحث اللغوي**، ص: 46.

[2]- أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، ص: 93.

قضية الإدغام مثلا، و الحديث عن قواعد الإعلال و الإبدال، كما فعل سيبويه في معالجته لظاهرة "الإدغام" في نهاية كتابه.[1]

وغير بعيد عن تناول النحاة لموضوع الصوت في هذه المرحلة، نجد وقفات الفراء (ت207ه)، في كتابه "معاني القرآن"، والمبرد (ت 285ه)، في مؤلفه "المقتضب"،[2] وعلى العموم لا تخلو مؤلفات النحويين من الإشارة إلى هذا المستوى بحكم ارتباطهما معا بالدرس القرآني الذي من أجل فهمه نشأت وتطورت الدراسات اللغوية العربية بجميع مستوياتها.

كما تضمنت المعاجم العربية بعض المشكلات الصوتية، إما في مقدمات هذه المعاجم أو ثنايا المادة اللغوية المجموعة، ولعلّ معجم الخليل أفضل نموذج على ذلك لأن ترتيبه كان على أساس صوتي و أتبع نظام التقليبات.[3]

وفي المستوى الصرفي تردد مصطلح "التصريف" في كتب التراجم في طبقة سيبويه ومن جاء بعده كالأحمر علي بن المبارك (ت 194ه) ، و الفراء يحيى بن زياد (ت207ه) و الأخفش أبي الحسن (ت 215ه) قد وضعوا كتبا في التصريف.

«وظهرت كلمة "الصرف" إلى جانب كلمة "التصريف"، على الأرجح في النصف الأول من القرن الرابع الهجري.»[4]

وكانت الدراسات الصرفية مختلطة بالدراسات النحوية بدليل قول أبي مسلم أنه كان يعجب بالنحو إلى أن أدخلوا فيه التصريف، فهجره، ما يعني أن الظواهر الصرفية كانت تندمج في الظواهر النحوية.

---

[1]-ينظر، **المرجع السابق**، ص: 93.

[2]- هشام خالدي، **صناعة المصطلح الصوتي في اللسان العربي الحديث**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ص: 187.

[3]- أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، ص: 94.

[4]- محمد حسن عبد العزيز، **مصادر البحث اللغوي**، ص:71.

ويرجّح أنّ معاذ بن مسلم الهراء (ت 187هـ) أول من وضع التصريف،[1] وأنّ الدرس الصرفي كا نت متصلا بالدراسات النحوية بشكل عام وكانت الظواهر في نظر المشتغلين بالنحو ظواهر نحوية لم تتحدد إلا في مرحلة متأخرة عن مرحلة أبي عمرو، إلى أن جاء معاذ بن مسلم وجعل من هذه الظواهر الصرفية علما مستقلا له مقاييسه و أصوله.[2]

وخلاصة القول أنّ الدرس الصرفي، و الصوتي نشأ في أحضان الدراسات النحوية، والمعجمية في إطار علوم القرآن .وعلم القراءات اهتم اهتماما بالغا بالدرس الصوتي حفاظا على سلامة القرآن الكريم من ظاهرة اللحن، ومع تطور الدرس اللغوي في شقيّه المنهجي والمعرفي تفرعت هذه المستويات عن الدرس النحوي وأصبح المجال الصوتي، و الصرفي فروع من علم اللغة العربية.

[1]-ينظر، عبد العال مسلم مكرم، **الحلقة المفقودة من تاريخ النحو**،ص: 234، 235.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 226.

## المبحث الرابع : مناهج البحث اللغوي خلال العصرين العباسي الأول والثاني

إنّ تنامي الشعور بالخطر على اللغة العربية ازداد بزيادة الفتوحات الإسلامية، واختلاط العرب بالشعوب الأجنبية على هذا الحقل اللغوي بفعل ما قد ينتج عن هذا الاختلاط من فساد في اللغة العربية ،و الغريب في الأمر أن الحرص على سلامة اللغة العربية لم يقتصر على العرب بل امتد ذلك إلى من اعتنقوا الإسلام من الأعاجم ،و ربما كان إسهام هؤلاء في خدمة اللغة العربية أكثر من العرب أنفسهم،و مرد ذلك إلى قدسية النص القرآني المكتوب باللغة العربية ،و هو ما جعل من خدمة هذه اللغة عبادة يُتقرب بها إلى الله عزّ وجلّ و مسؤولية لا تسقط على من هو أهل لها

وانطلاقا من ذلك تكاثفت جهود العلماء المسلمين من عرب و عجم في سبيل خدمة هذه اللغة المقدسة، وبفضل حرص هؤلاء جميعهم على أداء هذه المهمة بلغ البحث في علوم اللغة العربية تطورا لم يبلغه من قبل في هذه الفترة (العصرين الأول والثاني ) من حيث الكم والنوع.

وتمثل هذه الفترة من تاريخ اللغة العربية مرحلة التقعيد، ونضج البحث اللغوي، وكان ذلك نتيجة لحرص علماء اللغة العربية على الالتزام بمنهج حُدّد مسبقا وتشددهم في ذلك سواء في عملية جمع المادة اللغوية، أو في أثناء عملية التقعيد اللغوي.

ومهما كانت طبيعة مناهج البحث اللغوي التي اعتمدها علماء اللغة العربية حينها، إلا أنهم تمكّنوا من إنتاج مادة علمية في ميدان اللغة، عجز الكثير من العرب الآن عن فهمها واستيعابها

إنّ اللغويين العرب قد أولوا اللغة العربية بالغ اهتمامتهم، وقدموا الملاحظات المتعددة و النفيسة حول جلّ ما يتعلق بالقضايا اللغوية، وهذه الملاحظات القيّمة بالإمكان اعتبارها متطورة بالنسبة إلى زمانهم. وبالعودة إلى مؤلفات القدامى في علم اللغة «يلاحظ المجهود الهائل الذي قام به الأوائل في مجال دراسة اللغة والعناية الدقيقة التي بذلوها في جمع أصول اللغة و لمّ شتاتها واستنباط أحكامها العامة.»[1]

[1]- حسام البهنساوي، **أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث**، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994، ص:03.

وتميّز البحث اللغوي العربي في مراحله الأولى بارتكازه على الملاحظة المباشرة بواسطة اللغة الشفوية منها أو المنطوقة، فالقراءات القرآنية، والآداب الجاهلية، والإسلامية وحتى العباسية الأولى سجلت شفويا، وحتى القواعد اللسانية للغة العربية وضعت استنباطا و استقراء من تكلّمات وتراكيب شفوية .[1]

«هذا مع اعتراف الجميع بأنّ منهج الملاحظة القائم على الاختبارات الحسية لا يكفل لنا صحة ما سمع أو نقل في كل مرة، وخاصة في مجال الأصوات التي قد يلفظ صوت واحد بعد تلفظات لأداء أكثر من وظيفة تارة أو لعاهات تتصل بالمتكلم وراثة أو مرضا طارئا ...».[2]

وبالرّغم من ذلك فإنّ ما أخذ على منهج الملاحظة المباشرة الذي اعتمده العرب القدامى في مجال الدرس اللغوي إلا أنّ ذلك لا ينقص من قيمة تلك الجهود العظيمة، التي قدمها هؤلاء بكل صدق و إخلاص،[3] و ربما كان ذلك الوسيلة المتاحة في يد أولئك الذين وهبوا حياتهم لخدمة هذه اللغة، وبفضلهم استطاعت اللغة العربية أن تواكب التطور السريع للمجتمع في المجالات شتى ، و تصبح لغة الحضارة بعدما كانت لغة البداوة، و تلبي حاجات مستخدميها في جغرافية تختلف تماما عن جغرافية شبه الجزيرة العربية، و في أوساط ا جتماعية وثقافية غير عربية، كما أنه من غير العدل أن يُنظر لجهود هؤلاء، والحكم عليها من زمن غير زمانهم.

[1]- ينظر، عبد الجليل مرتاض، في مناهج البحث اللغوي، دط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003، ص: 42.

[2]-**المرجع نفسه**، ص: 43.

[3]-ينظر، **المرجع نفسه**،ص: 44.

## 1- المنهج المعياري في التراث اللغوي العربي:

والإطار الزماني المقصود هنا من التراث اللغوي العربي المرحلة التي تشمل العصرين العباسي الأول والثاني باعتبارها الحيّز الزماني المحدد في البحث.

«العيار في اللغة القياس، والمعيار المقياس، من عايرت الشيء بالشيء، إذا قسته به تمتحنه وتعرف صحته.»[1]

والمنهج المعياري بخلاف المنهج الوصفي في دراسة اللغة، فهو قائم على اعتماد القاعدة؛ بمعنى يبدأ بالكليات وينتهي إلى الجزئيات، بينما في عملية البحث يلاحظ أنّ المنهج الوصفي منهجا استقرائيا يعتمد المادة اللغوية أساسا في عملية البحث.

يلاحظ أنّ المنهج المعياري «يعتمد القاعدة أساسا و ينأى عن الوصف، ويحكم أنصار هذا المذهب أيضا بالشدود والقلة عند الخروج عن القواعد التي يصبو عنها بناءا على المنهج المعياري.»[2]

وقد جرت العادة عند الباحثين اللغويين الذين استعملوا المنهج المعياري في دراسة اللغة أن ينظروا إلى اللغة من زاوية المتكلم لا من زاوية الباحث؛ أي أنّ تفكيرهم أثناء دراستهم للغة يكون معياريا، على نحو موقف المتكلم من الاستعمال، وموقف المتكلم من الاستعمال اللغوي هو موقفه من العادات والتقاليد والدين والملابس وطريقة المعيشة في المجتمع، و إذا كان العرف هو الذي يحدد هذه المقاييس، فالصحيح أنّ العرف أيضا هو الذي يحدد معايير الاستعمال في اللغة، و أما موقف الباحث من اللغة، فيختلف اختلافا تاما عن موقف المتكلم.

فإذا كان هدف المتكلم هو صحة الاستعمال، فإنّ هدف الباحث هو الوصف عن طريق المنهج الذي يمكّنه من معرفة طبيعة اللغة، ومعايير استعمالها باعتبارها ظاهرة اجتماعية.[3]

---

[1]-غازي مختار طليمات، **في علم اللغة**، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ، 2000، ص:102.

[2]-ينظر، علي زوين، **بين التراث و علم اللغة الحديث**، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص: 23.

[3]-ينظر، تمام حسان، **اللغة بين المعيارية والوصفية**، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2001، ص: 18، 22، 26.

واصطدم اعتماد المنهج المعياري في الدراسات اللغوية العربية حينها بتعدد اللهجات العربية المتباينة إلى حدّ ما في مستوى من مستوياتها اللغوية؛ العامل الذي ربما جعل علماء اللغة العربية، يلجأون إلى تصنيف اللهجات التي يقاس عليها في صياغة قواعد هذه اللغة وتحديد ذلك زمانا ومكانا، وإذا انطلقنا من هذا المفهوم للمعيارية فإننا نجدها « هي اللهجة المفضلة التي تتخذ مقياسا للبلاغة والفصاحة، كتفضيل لهجة قريش في الدراسات العربية التقليدية على سائر اللهجات العربية الأخرى لأسباب دينية وسياسية، ثم تكون هذه اللهجة المفضلة نواة للمنهج المعياري وتتخذ قواعدها معيارا للصحة والخطأ كما هو واضح في تاريخ العربية».[1]

وا عتمد النحاة العرب على المعيارية في عملية التقعيد اللغوي للغة العربية، وكان ذلك اتجاها سائدا آنذاك، حيث اعتمدوا في تأسيس القواعد وفق قوالب معينة من اللغة، لا يحيدون عنها، تلك القوالب التي يجب أن يتكلم الناس بها، وبعد ذلك جاء اهتمامهم بتخليص اللغة من الشواذ و الشوائب، بقصد المحافظة عليها من اللحن. [2]

لقد كانت الدراسات اللغوية العربية في بدايتها تعتمد منهج تلقي النصوص من أفواه الرواة ومشافهة الأعراب، وفصحاء الحواضر، ثم العمل على استقراء و استنباط القواعد اللغوية بناء على هذه المادة اللغوية المنقولة سماعا، و رواية وفق قواعد تحديد مجال ذلك زمانا ومكانا. «و من ثم رأينا الدراسات العربية الأولى تتسم بالوصف، و تتأتى إلى حد كبير عن المعيار».[3]

والمنهج الوصفي في الدراسات العربية للغة في مراحلها الأولى أسبق من المنهج المعياري، و السبب من وراء ذلك طبيعة التطور الذي اجتازته الحياة العلمية العربية، فكان همّ اللغويين في المراحل الأولى

---

[1]-علي زوين، **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**، ص: 23.

[2]-ينظر، حسام البهنساوي، **أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث**، ص: 24.

[3]-تمام حسان، **اللغة بين المعيارية والوصفية**،ص: 44.

لنشأة الدراسات اللغوية الجمع والإحصاء و الاستقراء، ثم استنباط الأحكام من القوالب اللغوية ، و كل ذلك من خصائص المنهج الوصفي.[1]

وبفضل سرعة التغير التي ميّزت المجتمع العربي وتنوّع الثقافات واللغات للشعوب الإسلامية في العصرين العباسي الأول والثاني، نقل علم اللغة العربية من مرحلة الدرس إلى مرحلة التدريس، حيث عرف تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها تطورا ملحوظا في هذه الفترة لأسباب سياسية ودينية و اجتماعية.

«إنّ نقل علم اللغة من إطار الدرس إلى إطار التدريس ساعد على نقل المنهج من الوصف إلى المعيار لسبب واضح، هو أنّ التدريس يفرض على المعلم والمتعلم معيارا يحتكمان إليه في تمييز الصوب من الخطأ».[2]

وربما كان مرّد الخلاف بين المدارس النحوية وبين اللغويين من مدرسة واحدة لاسيما مدرسة الكوفة التي اشتهرت بتوظيف القياس إلى استعمال هذا المنهج في عملية البحث والتقعيد وحتى التدريس.

## 2- المنهج الوصفي و التراث اللغوي العربي:

إنّ التاريخ اللغوي العربي يسجل بجلاء اتخاذ علماء اللغة العربية المنهج الوصفي في تحليل الظواهر بدءا بالاستقراء كما هو ملاحظ بصورة جليّة في كتاب سيبويه لكن بصورة لا ترتقي لما وصلت إليه الدراسات الوصفية للغة في القرن العشرين والوصف المقصود هنا في الدراسات اللغوية من التراث العربي تلك الدراسات التي تناولت «الظواهر اللغوية على أساس "شكلي"، وهو مبدأ من مبادئ النحو الوصفي... ومنذ كتاب سيبويه رأينا معالجته للتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير

[1]- ينظر، غاري مختار طليمات، **في علم اللغة**، ص: 103.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 103.

والإفراد والتثنية والجمع والعلاقة بين الفعل والفاعل وغير ذلك على أساس "الأشكال" و ليس على أساس "المعاني".»[1]

بعد مرحلة جمع وتصنيف اللغة العربية وما نتج عن ذلك من تطور في البحث اللغوي في هذين المجالين (الجمع والتصنيف) من غزارة في المادة اللغوية، و تطور في منهج الجمع والتصنيف اللغويين.

وفي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري؛ أي المرحلة التي تزامنت مع بداية العصر العباسي الأول نقل علماء اللغة العربية هذه البحوث « من مرحلة الجمع والتصنيف إلى مرحلة الصنع والتأليف، و من الاعتماد على السماع وحده إلى مزج السماع بيسير من القياس العقلي، وحسبنا ههنا إلى كتابين يمثلان أرقى ما وصل إليه البحث اللغوي في تلك المرحلة؛ أحدهما في اللغة وهو معجم "العين" للخليل بن أحمد والثاني في النحو و هو "الكتاب" سيبويه... و كلا الكتابين ينهج المنهج الوصفي ...».[2]

يبدو واضحا مدى ارتباط المنهج المعياري بالسماع، والمنهج الوصفي بالقياس إلى درجة ما و ربما اعتماد هذه المناهج في البحث اللغوي العربي في مراحله الأولى، لم يكن معروفا من حيث اصطلاحاته، و لا من حيث اعتماد قواعده بشكل علمي.

ويظهر الاتجاه الوصفي في النحو العربي كثيرا مما قرره النحاة الأوائل من أحكام «والحق أنّ ما قرره لم يكن كله تأويلا أو تقديرا أو تعليلا، و إنما كان فيه ما هو وصف تقريري محض».[3]

و يثبت اعتماد المنهج الوصفي في كتابي "العين" للخليل بن أحمد، و"الكتاب" لسيبويه ما يلي:

**– تحديد الزمان:**

يرى أصحاب المنهج الوصفي أنّ اللغة دائمة التطور، فكل دراسة لغوية ينبغي أن لا يحصر موضوعها بفترة زمنية محددة تعدّ عملا غير علمي. فما اعتمده هذان العالمان على محك المنهج

[1]–عبده الراجحي، **النحو العربي والدرس الحديث: بحث في المنهج**، ص: 59.

[2]–غازي مختار طليمات، **في علم اللغة**، ص: 98.

[3]–عبده الراجحي، **النحو العربي والدرس الحديث**، بحث في المنهج، ص: 55.

الوصفي لتحديدها للزمان في الدراسة، فالبداية كانت القرن الذي سبق الإسلام، وأما النهاية فحددت بسنة 150 للهجرة، فكل كلام مات قائله بعد هذه الفترة، مرفوض لا يحتج به.

– **تحديد المكان:** ويقتضي المنهج الوصفي كذلك بأن يحدد الباحث مكان المادة المدروسة بحكم أنّ عدم تحديد المكان يعرض هذه المادة للاختلاط بما يشوبها من الأماكن المجاورة .والمدرسة البصرية حددت بإحكام الحيز الجغرافي لجمع المادة اللغوية محل الاستنباط .

ويبدو أنّ البصريين كانوا أشدّ تقيّدا بقيود المنهج الوصفي من الكوفيين،[1] بحكم طغيان المعيارية في الدرس اللغوي عند الكوفيين، وكان ذلك سبب بروز بعض التباينات في القواعد اللغوية بينهما.

وما يزكي فرضية أسبقية المنهج الوصفي على المنهج المعياري في الدراسات اللغوية العربية « اتصال أولويات النحو العربي بالواقع اللغوي اتصالا مباشرا، والواقع هو الاستعمال، و الاستعمال من أهم الركائز للمنهج الوصفي».[2]

وكذلك تلقّي النصوص من أفواه الرواة، ومشافهة الأعراب والنقل عنهم كتمهيد لاستقراء واستنباط القواعد اللغوية، إضافة إلى تناول الظاهرة اللغوية على أساس شكلي وليس على أساس معنوي، والمنهج الوصفي يعني بالظاهر (الشكل) أكثر من المعنى.[3]

يتضح مما سبق أنّ هذه المناهج لم تنشأ مكتملة دفعة واحدة، و لكن حرص علماء اللغة العربية على لغتهم مكنّهم من الارتقاء بالدرس اللغوي في مرحلة لا تتجاوز قرون أربعة وذلك راجع لتحديد هؤلاء لقواعد مسبقة غاية في الإحكام تمكّنوا من خلالها إنتاج مادة لغوية عجز من جاء بعدهم عن إدراكها.

---

[1]–ينظر، **المرجع السابق**،ص: 100.

[2]–علي زوين، **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**، ص: .14

[3]– **المرجع نفسه**، ص: 14، 15.

ولم يخلو التراث اللغوي العربي من إشارات إلى وجود صلات قرابة وتباين بين اللغات المختلفة، وإن كان ذلك لم يرتق إلى ما ارتقى إليه الدرس اللغوي المقارن عند الغربيين بعد اكتشاف اللغة السنسكريتية ودورها في تفعيل الدراسات اللغوية المقارنة في القرن التاسع عشر، وعلماء اللغة العربية كانوا على دراية بالاختلاف الموجود بين اللغات.« و إذا كان قدماء العلماء قد زهدوا- على إدراكهم هذه الحقيقية- في عقد المقارنة بين العربية و أخواتها الساميات فإنهم لم يغفلوا الإشارة إلى أوجه الشبه بين هذه اللغات».[1]

وأشار الخليل بن أحمد إشارة واضحة إلى هذه المسألة في قوله: « و كنعان بن سام بن نوح إليه ينسب الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية».[2]

وشغلت مسألة احتواء القرآن الكريم على الألفاظ الأعجمية أو نفي ذلك كتابات علماء القراءات والنحاة أيضا، في نفس الفترة فهذا أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ) يرى وجود فريقان في هذا الموضوع: فريق يرى أنه ورد في القرآن الكريم ألفاظ كثيرة بلغات العجم منها: «طه، الميم، الطور...» و فريق آخر يذهب إلى عدم احتواء القرآن الكريم على ألفاظ أعجمية.[3]

واقتصر الدرس اللغوي العربي المقارن على هذه الإشارات التي توحي بوجود اختلاف وتشابه بين اللغات دون أن يتجاوز ذلك حدود الدراسات اللغوية بشكلها العام.

---

[1]-غازي مختار طليمات، **في علم اللغة**، ص: 122.

[2]-أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي ،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4: 52.

[3]-ينظر، عبد الجليل مرتاض، **في مناهج البحث اللغوي**، ص: 67.

# الباب الثاني:

## التواصل الحضاري وأثره

## في تطوير اللغة العربية

## خلال العصرين العباسي الأول والثاني

# الفصـــــــل الأول

## أثر التواصل الحضاري العربي العربي في تطوير اللغة العربية خلال العصرين العباسي الأول و الثاني

ارتبط تواصل الإنسان بأخيه الإنسان بوجوده على هذه الأرض سواء كان ذلك في شكل علاقات فردية، أو جماعية بتواصل المجتمعات بعضها ببعض على اختلاف أعراقهم، ومعتقداتهم ولغاتهم، وجغرافيتهم...

فا هتدى الإنسان إلى صناعة بعض أدواته الحجرية في شكلها البدائي في إطار جماعي، كما اكتشفت الصيد وتعامل مع هذه المهنة في إطار شبكة جمعته بأخيه الإنسان كذلك، كما اهتدى إ لى اكتشاف الزراعة واستوعب تطور هذا النشاط في شكل جماعي أيضا.

وعبر المراحل المتلاحقة للتاريخ البشري أدّت العلاقات بين مختلف مكونات هذا الكائن البشري على اختلاف آليتها ومستوياتها، و ز مانها، ومكانها، دورا مهما في تطور الإنتاج البشري بشقيه المادي والمعنوي عن طريق تبادل المعارف والخبرات بشكل متراكم ؛مما سهّل من انتقال الحضارة البشرية من مستوى حسن إلى آخر أحسن.

وشكلت اللغات – على اختلافها- مستوى من مستويات هذا التبادل بين جميع البشر بفضل عدة عوامل ساهمت في ذلك و في ضوئها يمكن للغة أن تفيد وتستفيد في هذا المجال؛ فتفيد عندما تكون أداة لهذه العلاقات المتشابكة بين البشر، وتستفيد نتيجة لتبادل المعارف والخبرات بين الحضارات المتباينة اللغا ت والمستويات المعرفية والثقافية كذلك.

وكان لمجيء الإسلام عظيم الأثر في توسيع شبكات العلاقات الاجتماعية بين العرب فيما بينهم كمجتمع كانت العلاقات الاجتماعية فيه قائمة على أساس قبلي، و أولى الخطوات التي أسس لها النبي صلى الله عليه وسلم للقضاء على التعصب للقبلية في إطار العلاقات الاجتماعية، هي إضعاف كيان هذا المجتمع القائم على هذا الأساس من خلال الإخاء بين المهاجرين والأنصار كخطوة أولى لبناء "دولة المدينة" في الإسلام. فتعاليم الإسلام أضعفت هذه العلاقات و أدابتها با ستبدالها بالأخوة في الدين التي تلغي كل الحدود الأثنية والجغرافية واللغوية مع ضمان حقوق الأقليات الدينية التي عاشت إلى جانب المسلمين في شبه الجزيرة العربية، ونتج عن ذلك مجتمع سادته الأخوة والاحترام المتبادل.

و ركّز النبي محمد صلى الله عليه وسلم على تقوية التواصل داخل المجتمع العربي كخطوة أولى لتهيئة الإنسان العربي لتبليغ رسالة الإسلام للعالمين في مشارق الأرض و مغاربها.

واتسعت جغرافية الفتوحات الإسلامية بشكل رهيب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة في جميع الاتجاهات نتج عنها اعتناق الأعاجم الإسلام في شكل فرادي وجماعات على اختلاف ثقافاتهم، وأجناسهم وحتى جغرافيتهم، مما شكل مجتمعا متنوّعا ذابت فيه كل الانتماءات تحت راية الإسلام، وتفاعلت الحضارات فيما بينها وشكلت حضارة واحدة أظلها الإسلام مما شجّع على الأخذ والعطاء الشيء الذي انعكس على المجتمع العربي وغيّر ملامحه وزادت حدّة هذا التفاعل الحضاري مع بداية العصر العباسي الأول بفضل عدة عوامل سبق الإشارة إليها في الباب الأول من البحث.

وبلغ التفاعل الحضاري في جغرافية الحضارة العربية الإسلامية خلال العصرين العباسي الأول والثاني، درجة لم يبلغها من قبل في شبه الجزيرة العربية، سواء كان هذا التواصل بين الأقاليم التي تخضع لسلطة الدولة العربية الإسلامية، أو مع حضارات تختلف عنها.

والمقصود هنا بالتواصل الحضاري العربي العربي؛ تلك العلاقات التي كانت قائمة بين الأقاليم التي أنضوت تحت راية الحضارة العربية وخضعت لسلطة موّحدة، أو لأنظمة حكم متباينة، كالعلاقات بين المدن والأمصار التي تخضع للسلطة العباسية، أو علاقة هذه الدولة مع الدويلات المنفصلة عنها في المغرب والمشرق العربيين، والحقيقة التي لا تغيب عن أحد؛ أنّ الخط العربي باعتباره وسيلة أو أداة لتفعيل هذا التواصل خارج شبه الجزيرة العربية لم يقتصر على أداة للتعبير فقط، بل ا رتبطت به قداسة النص القرآني الذي كتب به منذ بدء الفتوحات الإسلامية، وهذا ما ساعد على تبنّي هذه اللغة واعتبارها اللغة الرسمية حتى في مرحلة تولي الأعاجم زمام الحكم في الدولة العربية الإسلامية (العصر العباسي).

ونتج عن التواصل الدائم والمستمر في الحضارة العربية الإسلامية بين الأقاليم العربية تطور في شتى المجالات، بفضل عدة عوامل بعضها أشرت إليها في الباب الأول، والبعض الآخر سأقف عندها في هذا الفصل.

و في هذه المرحلة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بلغت اللغة العربية درجة من التطور جعلها تتبوأ الريادة في ذلك العصر وتصبح اللغة الرسمية للدولة العربية الإسلامية، و ذلك انطلاقا مما عرفه الدرس اللغوي من نمو وتطور في أغلب مستوياته. إضافة إلى اتساع حقل استعمال اللغة العربية بسرعة رهيبة، واكبت مستجدات المجتمع الجديد الذي يختلف تماما عن المجتمع العربي الذي كان مجاله الجغرافي لا يتجاوز شبه الجزيرة العربية في صدر الإسلام لاسيما الشق المادي من هذه المستجدات والذي عرف ظهور وسائل متعددة لم تكن مؤلفة عند العرب في العصور السابقة، مما يستدعي استحداث مصطلحات تواكب هذا التغير الذي طرأ على مجتمع عرف درجة من التطور في الجانب المادي إلى درجة الا نحدار بسبب الغلو في حياة اللهو والترف.

لكن بالمقابل « لم ينحدر النشاط العلمي و الثقافي إلى المستوى الذي انحدرت إليه الحضارة المادية، بل نهض العلماء نهضة رائعة بالعلوم المختلفة نحوية وبلاغية ولغوية وأدبية ودينية وتاريخية وفلسفية، بحيث بلغت الحركة العلمية على أيديهم قمة ازدهارها وكمالها، وكانت تمثل العصر الذهبي للثقافة و العقل العربي».[1]

و في المرحلة نفسها عرف الدرس اللغوي العربي مرحله النضج والاكتمال بفضل عوامل عدة ساعدت على ذلك، ومن بينهما التفاعل المستمر بين المدن والأمصار العربية، وبفعل هذا التفاعل في الجانب المعرفي تبلورت جهود العلماء في شكل مدارس اتخذت من الجغرافية حقل حدّد تسميتها ، فنشأت في البصرة مدرسة، و في الكوفة مدرسة، و أخرى في الأندلس ، و في بغداد كذلك وتطور التفاعل والتنافس بين العلماء في المدرسة الواحدة إلى التنافس بين المدارس مما مكّن الدرس اللغوي أن يبلغ ما بلغه كما وكيفا.

[1]-حسين عطوان، **مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني**، ص:20.

## المبحث الأول: آليات تفعيل التواصل الحضاري العربي خلال العصرين العباسي الأول والثاني

عرفت العلاقات بين مختلف الأقاليم والمناطق العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني نشاطا مكثفا بفعل آليات متعددة عملت على نجاح هذه العملية التواصلية .

### 1. دور التجارة الداخلية في تفعيل التواصل الحضاري في العصر العباسي

إنّ جغرافية الحضارة العربية الإسلامية أهّلتها لتكون نقطة تلاقي القوافل التجارية القادمة من مختلف بقاع العالم و في الاتجاهات الأربعة، وجعلتها مركز عبور لأهم الطرق التجارية منذ القدم، كما أنّ امتدادها على ضفاف البحر الأبيض المتوسط في تلك الفترة من الشرق والغرب، ثم الجنوب والشمال ساعد على ازدهار النشاط التجاري لعاملين:

- وحدة الجغرافية البحرية لهذه الحضارة مما جعل طبيعة السلع المتبادلة موّحدة بين جميع الأطراف، وأقصد هنا الذوق المشترك في الاستهلاك.
- ازدهار حركة الملاحة البحرية بحكم المسافة القريبة بين دويلات هذه الحضارة، وسهولة التنقل بين جميع الأقاليم العربية انطلاقا من الخصائص الجغرافية المشتركة بين جل هذه الأقاليم.

و كانت مدينة بغداد عاصمة الخلافة في الفترة العباسية « مركز تجاري هام يقصده العرب من مختلف الجهات. ومرّد ذلك وقوعها على الطرق والممرات البحرية والبرية المتصلة ببقية أنحاء الدولة الإسلامية».[1] وكذلك توسطها نهري دجلة والفرات ممّا شجّع على حركة التنقل من وإليها من مختلف المناطق التجارية المهمة آنذاك. كما كان المناخ مناسبا لممارسة هذا النشاط في العصرين العباسي الأول والثاني على الرّغم مما كان يميّز العلاقات بين الخلافة العباسية والدويلات المنفصلة عنها في المشرق والمغرب، وعبر مراحل الخلافة الإسلامية تميّزت حركة تبادل السلع بين الأقاليم المختلفة بالنمو المستمر مع استمرار الفتوحات الإسلامية. و تطورت التجارة في هذه المرحلة بتطور جميع القطاعات داخل المجتمع الإسلامي لأسباب عدّة من أهمها الانفتاح على ثقافة الآخر وتجربته

[1]- أحمد مختار العابدي، **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دط، دار النهضة العربية، بيروت، ص:37.

في مجال النشاط التجاري. ومرّد هذا التطور الملحوظ في هذا النشاط راجع إلى كون الطبقة الحاكمة انتهجت «سياسية حرية التجارة، فلم تقيّد نقل السلع بين مختلف ولايات الدولة الإسلامية، و لم تحتكر تجارة أيّة بضاعة أو تمنع مبادلتها»،[1] وكان ذلك سببا من ضمن الأسباب التي جعلت هذا النشاط يزدهر في جلّ أقاليم الخلافة العباسية، إضافة إلى حداثة بعض السلع، والحاجيات التي طرأت على المجتمع العربي بفضل انفتاحه على ثقافات أكثر تطورا على ما كان معهودا لدى العرب في مجتمعه؛ أي المرحلة التي سبقت هذا العصر، لاسيما ما يتعلق بحياة الترف من مأكل وملبس وأدوات الزينة بشكلها العام، وحداثة هذه الحاجيات في بعض الأقاليم العربية سرّع من انتشارها ورواجها، وصاحب ذلك كله سرعة في انتشار مصطلحاتها في أغلب الأمصار والمدن العربية.

« ولعبت الأسواق دورا كبيرا، في حياة الدولة الإسلامية، سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، فكانت السوق مركز البيع والشراء، و بها تعقد الصفقات وتقرر حالة البلاد الاقتصادية...، ففيها يلتقي المسلمون وغيرهم بعضهم ببعض، فيتعارفوا ويتحادثوا وفيها اختلطت عناصر السكان المختلفة من عرب و أعاجم، ومسلمين و أهل ذمة...».[2]

و أولى الحكام العرب التجارة بالغ الأهمية من حيث تهيئة الظروف الملائمة للبحارة المتنقلين بتهيئة أماكن المبيت، والمخازن لسلعهم وأماكن خاصة بصرف العملات، مما جعل تنقل التجّار يتطور بشكل ملحوظ في هذه الفترة.

و في عهد الخليفة المنصور، شهدت بغداد حركة تجارية لم تعهدها من قبل بإقامته المرافق الضرورية والأسواق في كل ربض، وخصص لكل نوع من التجارة شوارع معلومة وصفوفا في تلك الشوارع وحوانيت، و نقل الأسواق من داخل مدينة بغداد إلى خارجها، والسبب من وراء

[1]- علي حسن الخربوطلي، **الحضارة العربية الإسلامية** ،ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994، ص:193.

[2]- **المرجع نفسه**، ص:202.

ذلك خشيته أن يضم الغرباء الذين يبيتون في السوق جواسيس، وهيأ كل المرافق الضرورية لإيواء التجار كما بنى المسجد داخل السوق لسهولة أداء الشعائر الدينية.[1]

وا نطلاقا من ذلك يبدو واضحا مدى شيوع و رواج النشاط التجاري في عاصمة الخلافة العباسية وكثر الوافدين إليها اعتبارا لأهميتها التجارية.

والجانب المهم في النشاط التجاري في هذه المرحلة وخلال المراحل المتعاقبة منذ مجيء الإسلام، هو ما أدته فريضة الحج في تعزيز هذا النشاط الإقتصادي فكانت مكة والمدينة مركزين تجاريين هامين حيث توافد التجار عليهما من كل بقاع العالم الإسلامي، وانعكس ذلك بشكل مباشر على التبادل الثقافي والمعرفي بين العرب المشارقة والمغاربة ؛ مما جعل التجارة بأشكالها المختلفة آلية للتواصل العربي العربي، حيث اعتبرت المراكز التجارية المهمة آنذاك روافد ثقافية وعلمية ساهمت في وحدة الهوية العربية بشكل مباشر.

وا رتبطت الأسواق خلال المراحل المتعاقبة للتاريخ العربي بالحلقات المعرفية والأدبية قبل مجيء الإسلام، واعتبر ذلك من العوامل التي ساهمت في الا رتقاء بالدرس الأدبي واللغوي عند العرب، كما عدت الأسواق، «أيضا من الأمور التي ساعدت على تطوير النحو. وهي أيضا قديمة العهد بأرض العرب عرفوها في الجاهلية بائعين، متزودين بخيراتها، وخصّوا "عكاظا" من بينها بأدبياتهم، حيث كانت مسرحا لممارساتهم الشعرية، والأدبية، وتابعوا على النسق نفسه مع الإسلام من "المربد" بعد أن اختطت البصرة ومن "كُناسة" بعد أن اختطت الكوفة للسكنى: مكانين يرتادونهما ، ويتزودون منهما مما يحتاجونه من متعلقات الكتابة، وأدواتها كتبا، ومستلزمات أخرى. و في "المريد" و"كناسة" التقى العلماء، وتناظروا، وتشافهوا، حتى نشوء بغداد حيث تحولت الأنظار إليها...».[2]

---

[1]- ينظر، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **دراسات في تاريخ الدولة العباسية** ،دط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص: 68.

[2]- طلال علامة ، **تطور النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة**، ص: 93.

وأدت المصادفات في الأسواق دورا بارزا في تطور العلوم العربية بشكلها العام، والأدبية واللغوية على وجه الخصوص، من خلال ما أدته المناظرات الأدبية واللغوية التي كانت تقام فيها. إضافة إلى رواج تجارة الكتب وما يتعلق بها من مواد .

و انتشرت في الأندلس عملية تحقيق الكتب بأنواعها المختلفة، وكان بعض الحكام في الأندلس مغرمين باقتناء الكتب، فشجعوا على اقتناء الكتب من المخطوطات في حوانيت الإسكندرية و بغداد ودمشق وشرائها ونسخها.[1]

وخلاصة القول إنّ التجارة أدّت دورا بارزا في تفعيل التواصل بين مختلف الأقاليم والأمصار، والقرى العربية باعتبارها أداة فعلّت هذا التفاعل الحضاري، و كون المراكز التجارية المهمة نقطة تلاقي الشعوب العربية من مختلف المناطق المتباعدة.

## 2. دور الفتوحات الإسلامية في تفعيل التواصل الحضاري العربي

إنّ الفتوحات الإسلامية استقرت إلى حدّ ما مع بداية العصر العباسي، وصاحب ذلك انتشارا واسعا للغة العربية بحكم أنها لغة الدين الجديد في الأماكن المفتوحة، وعلى هذا الأساس ارتبطت قداسة هذا الدين باللغة العربية مما جعل الجميع يقبل على تعلمها واستخدامها كأداة للتواصل والتعبّد وبذلك حلّت العربية محل اللغة الأولى لهذه الشعوب في شرق وغرب الدولة الإسلامية مما جعل الحقل اللغوي يزداد اتساعا كلما اتسعت رقعت الفتوحات الإسلامية.

واعتبرت الفتوحات الإسلامية الواسعة من عوامل التنمية الخارجية للغة العربية، على الرّغم مما لها من آثار سلبية على اللغة العربية، لكن الجانب الإيجابي، « فيتلخص في سعتها واستخدامها وتعدد الناطقين بها اختياريا و إقبالهم ذلك الإقبال الرهيب على تعلمها».[2]

---

[1]-ينظر، حسين محمد سليمان، **التراث العربي الإسلامي**، دط، ديوان الجامعية، الجزائر، ص: 181.

[2]- عبد الجليل مرتاض، **العربية بين الطبع والتطبيع**،ص: 162.

وأدّت الفتوحات الإسلامية إلى بروز مجتمعات جديدة وحّدتها اللغة العربية، و في هذا الاتجاه يطرح إشكالا مهما فيما يخص الأعاجم، الذين اعتنقوا الإسلام، وتبنّوا العربية كلغة جديدة، وصاروا عرب، و الإ شكال هنا هل العربية حقل لغوي أم جنس بشري؟.

و عموما أدت اللغة العربية التي صاحبت الفتوحات الإسلامية « دورا كبيرا في مزج الحضارات والعناصر المختلفة المتنافرة في الأمصار المفتوحة، فقد أدّى تعميم استخدام اللغة العربية في هذه الأمصار إلى اندماج الأجناس المغلوبة على اختلافها اندماجا قويا في الحياة القومية التي كان يحييها العنصر العربي الحاكم إذ ربطت اللغة العربية جميع البلاد برباط معنوي...»،[1] فكلما اتسعت الفتوحات الإسلامية زادت العلاقات بين الفاتحين و أهل البلاد المفتوحة عمقا، واتساعا بفضل وحدة اللغة.و المهم في الفتوحات الإسلامية أنها عملت على تعزيز التفاعل بين العرب ، والمسلمين الجدد المعتنقين للديانة الإسلامية و تعلموا العربية واستخدموها في جميع مجالات حياتهم وأصبحوا عرب مسلمين كذلك، بعدما كانوا غير ذلك.

فالفتوحات الإسلامية علمت على وحدة اللغة إضافة إلى وحدة الدين وهو ما عزّز التقارب بين الفاتحين، و أهل البلاد المفتوحة بفضل ارتباط اللغة بالدين كما نتج عن ملازمة اللغة العربية للفتوحات الإسلامية وحدة التراث العربي الإسلامي، «حيث انطلق التراث العربي الإسلامي في غزارة الإنتاج في سائر أمصار وأراضي العالم الإسلامي اعتبارا من القرن الثالث الهجري، وكان للأندلس ومصر و بلاد المشرق دور كبير في ذلك حتى أنهم أصبحوا أصحاب إشعاعات في إنتاج التراث العربي الإسلامي».[2] و هذه المادة العلمية التي أنتجت في مصر والأندلس والشام على الرغم من بعد المسافة وصعوبة التواصل آنذاك بين هذه الأقاليم المتباعدة، إلا أنّ هذا الإنتاج تعاطاه الإنسان العربي في كل بقعة من بقاع هذه الحضارة، و لولا الفتوحات الإسلامية التي عملت على وحدة اللغة في الأقاليم المفتوحة لما كان الاتصال العلمي بتلك السهولة.

---

[1]-علي حسن الخربوطلي، **الحضارة العربية الإسلامية**، ص: 82.

[2]-حسين محمد سليمان، **التراث العربي الإسلامي**، ص: 266.

و تطرقنا هنا لعلاقة اللغة العربية بالفتوحات الإسلامية ودورها في تفعيل التواصل الحضاري العربي بين مختلف المناطق العربية فقط، وأرى أنه لا داع لعرض الفتوحات الإسلامية من منظور تاريخي أو ديني هنا.

### 3. دور المذاهب الفقهية والفرق الكلامية في تفعيل التواصل الحضاري العربي:

يرجع ازدهار التواصل بين الأقاليم العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني إلى مجموعة من العوامل أفرزها الإطار العام للحضارة العربية الإسلامية حينها، ولعلّ المذاهب الفقهية، والفرق الكلامية التي عرفت رواجا كبيرا في تلك المرحلة من تاريخ الحضارة العربية من أهم تلك العوامل التي عملت على تفعيل التواصل بين مناطق الدولة العربية الإسلامية، فقد تنشأ فرقة كلامية في الشام ويكون لها أتباع في الحجاز ، وتبرز طريقة صوفية في مصر ويكون لها مريدون في الأندلس كذلك، كما قد يتأسس مذهب فقهي في الحجاز ويتبنّاه المسلمون في المغرب أيضا.

وانطلاقا مما سبق يبدو واضحا مدى مساهمة الانتماء الروحي، و الفكري ،و العقدي في ربط جسور التواصل بين الأقاليم المتباينة من جغرافية الحضارة العربية في العصرين العباسي الأول والثاني، ونجم عن هذا النمط من التفاعل بمختلف أشكاله، نتائج بارزة على المستوى الفكري واللغوي، باعتباره أداة لنقل وتفعيل تلك المرجعيات الفقهية والفكرية... بين مختلف مكونات المجتمع العربي سواء كان ذلك كتابيا أو شفهيا.

و يبدو أنّ لهذه الفرق والمذاهب عظيم الأثر في تفعيل الدرس اللغوي العربي آنذاك من حيث انتشاره بانتشار هذه المرجعيات واتساع نطاق استعمال اللسان العربي أيضا هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما أدته الفرق الكلامية من دور في تعاطيها للفلسفة اليونانية وأثر ذلك على الدراسات النحوية العربية ونقصد هنا الجانب المنهجي منها وليس المعرفي.

كما ساهمت هذه المذاهب الفقهية أيضا في وحدة اللغة العربية ومعها وحدة التراث، يقول: «مما يوضح لنا هذا الجانب من وحدة التراث الديني الروحي المذاهب الفقهية، ومعروف أنّ مذهب الإمام أبي حنيفة أقدمها و أنه نشأ في العراق... وتوالت الشروح تشرح مصنفاته، ولم

يلبث أن ظهر في المذهب تلميذ مصري خصب الملكات هو أبو جعفر الطحاوي فكتب مصنّفات بديعية حملت عنه إلى جميع الآفاق، و تعاقب فقهاء الأحناف في العالم الإسلامي، وتعاقب لهم ما لا يكاد يحصى من المصنفات».[1]

والشيء نفسه بالنسبة لمذهب الإمام مالك، حيث نشأ في الحجاز، و طوّر مذهبه تلميذه من مصر هو عبد الرحمن بن القاسم، وعنه أخذ هذا المذهب تلميذ مغربي هو سحنون القيرواني التونسي والذي نشر هذا المذهب في المغرب جميعه، وعن هذا الأخير أخذه يحي بن يحيى الليثي فقيه الأندلس و إمامها إلى هناك، كما امتد فرعان منه إلى العراق والشام.[2]

كما «نزل مصر الإمام الشافعي واستقر بها، و بها توفّي، وحمل عنه مذهب إلى جميع الأمصار الإسلامية، وتكاثر أتباعه خارج مصر، إلى الشام والعراق وإيران، كما كان لمذهب الإمام ابن حنبل أئمة وأتباع كثيرون، حيث تأسس مذهبه وازدهر في بغداد، وبعدها تفرّع في العالم الإسلامي لاسيما الشام، و في مصر عبر مراحل زمنية متلاحقة.»[3] من خلال ما سبق عرضه يتضح جليّا مدى أهمية هذه المذاهب الفقهية في تغذية التفاعل بين الأقاليم المختلفة للعالم العربي الإسلامي خلال المراحل المتعاقبة، وبذلك نسبت هذه المذاهب إلى الأشخاص، بخلاف المذاهب والمدارس اللغوية التي استمدت من الجغرافية تسميتها.

والدور نفسه أدته المذاهب السياسية التي نشأت في مرحلة مبكرة من التاريخ العربي الإسلامي، « والمذاهب السياسية كلها تدور حول الخلافة، وهي الإمامة الكبرى، وسميت خلافة لأن الذي يتوّلاها يكون الحاكم الأعظم للمسلمين، يخلف النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة شؤون المسلمين- و تسمى الإمامة، لأن الخليفة كان يسمى إماما...».[4]

---

[1]-شوقي ضيف، **في التراث و الشعر و اللغة**، دط، دار المعارف، القاهرة،1987، ص: 14.

[2]-ينظر، **المرجع نفسه**،ص: 14.

[3]- **المرجع نفسه**، ص:15.

[4]-محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص: 20.

ونشأت هذه المذاهب نشأة دينية باعتبار أنّ المذاهب السياسية «قد ابتدأت بمبادئ ذات صبغة دينية، فنشأة تحوم حولها، فتقرب من الدين أحيانا، و تبتعد عنه أحيانا أخرى».[1]

وشمل المذهب الشيعي، ومذهب الجمهور،[2] والخوارج، و الإباضية معظم المدن والأمصار العربية، و لم يقتصر وجود أيّ منها على جغرافية محددة، فكان المتعصبون لمذهب من هذه المذاهب في كل بقاع العالم العربي الإسلامي آنذاك، و ربما ساهم عامل التعصب للمدهب في نشأة هذه المذاهب في إلغاء الحدود الجغرافية في انتشارها مما جعل منها أداة مهمة في ربط جسور التواصل بين الشعوب العربية على اختلاف مناطقهم... وانعكس كذلك التعصب المذهبي بغطاء سياسي على الدرس اللغوي العربي لأنّ هناك من يذهب إلى أنّ سبب إرجاع نشأة النحو العربي إلى الإمام علي كرم الله وجهه انطلاقا من التعصب لمذهب معين.

[1]- **المرجع السابق**، ص:31 .

[2]- **المرجع نفسه**، ص:31.

## 4. التواصل الحضاري و اتساع حقل استعمال اللغة العربية:

إنّ من أهم الآثار الإيجابية الناتجة عن تواصل العرب مع غيرهم من الشعوب اتساع حقل استعمال اللغة العربية وانتشارها في أغلب الأماكن المفتوحة، بعدما كان نطاقها لا يتعدى شبه الجزيرة العربية، ومع بداية عهد الفتوحات الإسلامية اتسع الحقل الجغرافي للغة العربية ليشمل جل الأقاليم المفتوحة، وساعد على انتشار اللغة العربية و بسرعة رهيبة عوامل عدة أشرنا إليها سابقا.

« لقد كانت لغتنا العربية أنموذجا للتفاعل الخلاق بين الغالب والمغلوب. فلغتنا العربية في بداية انطلاقها إبّان الفتح الإسلامي، و توسع الدولة الإسلامية وانتشار العرب في بقاع من الأرض لم يكن لهم بها عهد من أجناس ولغات وأديان وحضارات متعددة، وكان ذلك حريّا أن يلتهم هذه اللغة التي خرجت من نطاق ضيّق وإطار محصور في الجزيرة العربية، و أن يقضي عليها، ويستبدل بها غيرها من لغات الأمم الأخرى التي اتصلت بها وعاشت معها، وكانت أعرق منها في مجال العلم والثقافة والحضارة».[1]لكن بفضل ما تحتويه اللغة العربية من مرونة تجعلها تتأقلم وتساير التغيرات التي تطرأ على المجتمع العربي من جهة، ولقداسة هذه اللغة كونها لغة الكتاب المقدس من جهة ثانية، إضافة لتعصب الإنسان العربي للغته من جهة ثالثة؛ هذه العوامل مجتمعة جعلت اللغة العربية تزداد «اتساعا في ميادين المعرفة، وانتشارا في أرجاء العالم المعروف آنذاك، وتدفق الشعر والنثر والتأليف والترجمة في العصر الأموي ثم في العصر العباسي...».[2] و ربما كان السرّ من وراء هذا التطور والا نتشار الذي عرفته اللغة العربية في ميادين متعددة، هو البعد الإسلامي الذي جعل غير العرب يقبلون على تعلّمها، وتطويرها، واعتبارهم ذلك عمل يُقترب به إلى الله عزّ وجلّ.

[1]-محمود السيد، **اللغة العربية واقعا وارتقاء**، دط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010، ص:12.
[2]-**المرجع نفسه**، ص:12.

وكان التأثير الحضاري الذي أحدثه العرب المسلمون في جلّ الحضارات التي تواصلوا معها في بلاد الشرق والغرب قويا للغاية، إذ سرعان ما أصابها التعريب بسرعة مذهلة دونما حاجة إلى سلطان قاهر يأمر بفرضها، بل كان التجاوب معها يتم بصورة تلقائية.[1]

ويعود الفضل في ذلك إلى ما أولاه الحكام العرب من أهمية بالغة لهذه اللغة، حيث استعانوا بالأعاجم في تعريب الدواوين، وجعلوا العربية اللغة الرسمية للدولة الإسلامية؛ مما زاد من أهميتها وجعل من إتقانها مصدر من مصادر الرزق لاسيما في بلاد العجم. ونتيجة للتفاعل الحضاري « ومنذ أن استقرت الدولة العربية في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث من الهجرة .فقد مر حينئذ على انتشار على انتشار العربية في أقطار في أقطار عدة وشعوب مختلفة زمن كاف لصبغ تلك الشعوب بالصبغة العربية ، فأخذت بالطابع العربي دينا ولغة وثقافة وحضارة .وقد صهرت كل تلك الشعوب التي كانت في أسيا الصغرى ومصر وشمال افريقيا في البوتقة العربية ، وتألف منها في نهاية الأمر شعب عربي واحد ،يدين بدين واحد ،ويصطنع لغة واحدة. »[2]

من خلال ما عرضناه في هذا المبحث يبدو جليّا مدى مساهمة هذه العناصر المتمثلة في: النشاط التجاري، والفتوحات الإسلامية، وكذا المذاهب الفقهية والصوفية والفرق الكلامية في تفعيل التواصل بين جميع الأقاليم العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني وأثر ذلك في انتعاش الدرس اللغوي العربي.

[1]-ينظر، قصّي الحسين، **من معالم الحضارة العربية الإسلامية**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993، ص:65.

[2]- إبراهيم أنيس ، **اللغة بين القومية والعالمية** ، دط ، دار المعارف ، القاهرة ، ص: 280.

## المبحث الثاني: نشأة مدرسة بغداد نتيجة لتواصل علماء مدرستي البصرة والكوفة

اكتمل الدرس اللغوي العربي في مدرسة بغداد بعد تبلور الجهود اللغوية لكل من مدرستي البصرة والكوفة في قالب واحد، و في جغرافية واحدة. ونظرا للجو العام الذي ميّز بغداد بعد انتقال عاصمة الخلافة العباسية إليها، حيث عمل الخلفاء حينها على تهيئة كل الظروف الملائمة لازدهار النشاط المعرفي.

وبفضل ا ندماج العديد من الثقافات فيما بينهما تشكل بذلك مجتمع واحد بثقافات متباينة مما شجع على التنافس المعرفي من خلال التبادل الثقافي في ميادين كثيرة. وسكن بغداد عناصر بشرية من مختلف الأجناس والملل والنحل، إسلامية منها وغير إسلامية، فعاش فيها الفرس، والفرنج، والصينيون وغيرهم، والمهم في الأمر هنا أنّ هذه الأجناس لم تسكن بغداد بأشخاصها فحسب بل بثقافاتها وفنونها و تجارتها و علومها، ويعتبر ذلك رافد من أهم الروافد التي عملت على تطوير الحضارة العربية الإسلامية هناك،[1] وبذلك كان لبغداد الدور البارز في تغذية وتفعيل الروح الإسلامية في مختلف الأقطار، و في مجالات معرفية متباينة. إضافة إلى الجو المعتدل واللطيف الذي يميّز هذه المدينة و توسطها نهري دجلة والفرات، و المكانة التجارية التي أهلتها لتكون مقر للخلافة بعد دمشق، إضافة إلى البعد السياسي الذي جعل العباسيين ينقلون مقر الخلافة إلى هناك.

### 1. بغداد مركز لوحدة العلوم والمعارف العربية الإسلامية:

انطلاقا من المناخ العام الذي ساد مدينة بغداد، وبحكم ما تميّزت به عن باقي الأقاليم العربية الإسلامية أهلتها هذه الظروف لتحتل الصدارة و تكون مقصدا للعلماء وقبلة لهم من كل جذب وصوب ما جعل الإنتاج المعرفي في هذه الفترة يزداد غزارة في جميع مستوياته، ففي الجانب الأدبي وبعدما تأسست مدينة بغداد، « أقبل عليها العلماء والأدباء وخصوصا من البصرة والكوفة وأقاموا بها، وحظوا بتشجيع الخلفاء وكبار رجال الدولة، وساهموا بنصيب كبير في ازدهار الحياة الأدبية في

[1]-ينظر، أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والأندلسي**، ص:37-38.

بغداد، ومن أشهر أدباء بغداد، الأصمعي الذي نشأ بالبصرة وتتلمذ على علمائها واستفاد منهم...».[1]

وكان لبغداد الدور البارز في وحدة العلوم العربية من أدب ولغة، وفلسفة وفنون، وفيها تلاشت الخلافات النحوية بين مدرستي البصرة والكوفة وهو ما نشير إليه بشيء من التفصيل في موضوع لاحق من هذا البحث.

ولم يقتصر دور هذه المدينة على وحدة و اندماج المعارف المشار إليها سابقا، بل تعدى ذلك ليعمل على مزج ثقافات متباينة لشعوب مختلفة الأعراق والأديان، وتشكل بذلك فسيفساء غاية في الأهمية مما أضفى على الحضارة العربية الإسلامية في تلك المرحلة طابع خاص وغيّر معالمها بشكل عام، وهو ما يذهب إليه شوقي ضيف في قوله: « وما ينقضي القرن الثاني الهجري حتى تكون قد دخلت العربية سيولٌ ثقافية وعملية لا حصر لها، مما مكّن العرب أن يتحوّلوا سريعا إلى أمة علمية تعنى بكل جوانب العلم الذي كان معروفا عند الأمم القديمة وخاصة الفرس والهنود والسريان واليونان، وتشارك فيه مشاركة جادة خصبة، وتضيف إليه علوما جديدة تتصل بالقرآن والشريعة والشعر واللغة والنحو والعروض».[2] وعرفت هذه المرحلة انفتاح العنصر العربي على الأجنبي، انفتاحا لم يعرفه من قبل من خلال تعميق قنوات التواصل وتقليص حيّز التنافر والانفصال، بتولي غير العرب مقاليد الحكم، ولعلّ البارز في التواصل بين العرب وغيرهم في هذه المرحلة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية هو نشاط وتفعيل حركة الترجمة بشكل رهيب بفعل الأهمية البالغة التي أولاها الخلفاء لهذا النشاط العلمي ورعايته رعاية خاصة لاسيما الخليفة المأمون، وكانت بغداد مدرسة دون منازع حظيت بتولي هذا الفعل المعرفي.

والبارز في المكانة العلمية لبغداد أنها احتوت جهود السابقين لها من مدرستي البصرة والكوفة في مجالات شتى، فكان لعلماء هذه المدارس أثر بالغ في رسم معالمها الفكرية والثقافية، « فالخلفاء

[1]-عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، **دراسات في تاريخ الدولة العباسية**، ص: 116.

[2]-شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**، ط2، دار المعارف، القاهرة، د س، ص: 115.

والأمراء العباسيون اعتمدوا على الكوفة في تأديب أولادهم لذلك وفد الكوفيون بكثرة إلى بغداد وتخيروا ما يناسب مجالس السمر والمنادمة من أقوال، لذلك نراهم يتجهون باللغة والعلم اتجاها جديدا فيه البساطة والوضوح أكثر مما فعله البصريون وانتهى التراع بين المدرستين- أقصد مدرستي الكوفة و البصرة- إلى اندماجها في مدرسة واحدة، و هي مدرسة بغداد».[1] لا يعني مما سبق ذكره أنّ بغداد ا نفردت بشؤون المعرفة والعلم في تلك المرحلة في الحضارة العربية الإسلامية، بل كانت هناك مدن عربية أخرى ذات نشاط علمي كبير سواء ما كان منها تحت سلطة الخلافة العباسية على غرار دمشق مثلا، أو منفصلة عنها كالأندلس التي تميّزت معظم مدنه بحركة عملية متطورة في الفترة نفسها؛ أي العصرين العباسي الأول والثاني، ويرجع سبب اختيارنا لبغداد بحكم احتوائها لجهود أهم المدارس النحوية آنذاك، و دور ذلك في تفعيل الدرس اللغوي العربي.

**2. اكتمال الدرس اللغوي العربي في مدرسة بغداد:**

اكتمل الدرس اللغوي العربي وبلغ مرحلة النضج والاكتمال وذلك مقارنة مع المراحل التي سبقت هذه المرحلة، كمراحل النشأة والنمو والتطور، لأنه من غير المعقول أن يستقر الدرس اللغوي أو أيّ درس معرفي في مرحلة زمنية محددة، لأنّ ذلك يتنافى وخاصية النسبية في المعرفة البشرية.

فكانت لرحلات علماء اللغة العربية من مدينتي البصرة والكوفة باتجاه بغداد عظيم الأثر في تجانس الجهود العلمية لحقل لغوي واحد بعدما كانت المنافسة القائمة بين المدرستين القاسم المشترك بينهما، و في هذه المسألة يقول محمد الطنطاوي: « وكانت الطائفة الخالطة بين الترعتين البصرية والكوفية تزاول المذهبين، وتنظر فيها نظرة غير مشوبة بالعصبية، فهي لابدّ واجدة رجحان هذا المذهب في مسائل وذلك المذهب في مسائل أخرى، وكان عمل هذه الطائفة منبّها بعض معاصريهم إلى استقراء ما صحّ من القوانين النحوية بدون التحيّز إلى فريقا دون آخر؛ فجرّ ذلك

[1]-عصام عبد الرؤوف الفقي، **دراسات في تاريخ الدولة العباسية**، ص: 118.

إلى الخلط بين المذهبين لاستخلاص مذهب منهما مرضى عنه عندهم».[1] و تجسد بذلك مذهب آخر على أيدي الجامعين بين المذهبين البصري، والكوفي فنشأت بذلك المدرسة البغدادية، وهو ما جعل تواصل علماء النزعتين البصرية والكوفية يوّحد وجهات النظر في تناول بعض القضايا اللغوية، بعدما تناولت بعض القضايا الجزئية من الدرس اللغوي العربي من زوايا مختلفة، و هذا لا يعني ، أنّ ما تناوله الكوفيون « لا يفيد أنّ هؤلاء تمرّدوا على البصريين بباطل، ولكن يفيد من بعض الوجوه أنّ اعتراضهم لا يضير العربي، واتفاقهم يؤكد ما قام به البصريون، وما كان بوسعهم جميعا أن ينجزوا كتابا في قيمة وعظمة كتاب سيبويه، و لا يدل على العجز العلمي أو القصور الفكري، بل كلّ في الأمر أنّ العربية واحدة وقواعدها شفافة، وأبواب بعضها مفتوحة لأكثر من تفسير واحتمال».[2]وقد يكون ذلك السبب الذي جعل فضاء الاختلاف يتسع بين المدرستين كلما تعددت زوايا تعاطي هذا الدرس اللغوي في عملية التقعيد، واختلاف مناهج العلماء في هذه العملية، وفي مدرسة بغداد تجانست الآراء بفعل العامل الجغرافي المشترك بين علماء النزعة الكوفية والبصرية، مما جعل التعصب لمذهب من المذهبين والذي كان أساسه المشاركة في الجغرافية، بدأت تتلاشى شيئا فشيئا بطول مدة إقامة العلماء في بغداد، و توفر عوامل التواصل بتلاشي التعصب للموطن الأصلي والذي استمد المذهب تسميته منه.

وهذا لا يعني أنّ العلماء الذين هجروا من البصرة والكوفة وأقاموا في العراق تخلوا عن نزعتهم المذهبية والتعصب لها بمجرد نزولهم فيها ، بل من هؤلاء من لازمته هذه النزعة من الطرفين إلا أنه مع مرور الوقت، وبفضل توفر بعض العوامل زالت هذه النزعة لدى البعض في المدرسة البغدادية، وجمعوا في دراساتهم النحوية بشكل خاص بين النزعتين وفيما يلي عرض للاتجاهات الثلاثة من المدرسة البغدادية:

[1]-محمد الطنطاوي، **نشأة النحو العربي وتاريخ أشهر النحاة**، ص: 184.

[2]-عبد الجليل مرتاض، **الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية**، ص:171.

**1)** الذين ظهرت في دراساتهم النحوية النزعة البصرية:

- الزجاجي (ت 311هـ)
- ابن السراج (ت 316هـ)
- ابن دريد (ت 321هـ)
- أبو علي الصفار (ت 341هـ)
- مبرمان (ت 345هـ)[1]

2) العلماء الذين ظهرت عليهم النزعة الكوفية في أعمالهم النحوية:

- الحامض (ت 305هـ)
- اليازيدي (ت 310هـ)
- ابن شقير (ت 317هـ)
- أبو بكر بن الأنبا ري (ت 328هـ)

3) علماء المدرسة البغدادية الذين جمعوا بين النزعتين فلم يتعصبوا لواحدة على الأخرى بل حكموا الرأي والدليل.

- ابن قتيبة (ت 276هـ)
- ابن كيسان (ت 299هـ)
- الأخفش الأصغر (ت 315هـ)
- ابن الخياط (ت 320هـ)
- الوشاء(ت 325هـ).[2]

ويمكننا القول إنّ الخلاف بين البصرة والكوفة انتقل إلى العراق واستمر ذلك لحوالي قرن من الزمن بناء على ما ورد عرضه، هنا في الاتجاهين الأول والثاني، إلى زمن بدأ فيه المذهب البغدادي

[1]- السيرافي، **أخبار النحويين البصريين**، ص : 7، 8.

[2]- **المصدر نفسه** : ص: 09.

في الظهور وجمع بين النزعتين نتيجة لتواصل علماء البصرة والكوفة وكان ذلك في نهاية القرن الثالث الهجري.

### 3. التواصل بين مدرستي البصرة والكوفة وأثر ذلك في تفعيل الدرس اللغوي العربي:

إنّ من ضمن العوامل التي عملت على تطوير الدرس اللغوي العربي في مراحله الأولى التنافس الذي كان موجودا بين هاتين المدرستين وبطبيعة الحال يبدو جليّا أنه لا يمكن للتنافس أن يحدث بين النزعة البصرية، والكوفية ما لم يكن هناك تواصل لاسيما أنّ التنافس كان في بعض جوانب الدرس اللغوي في عملية التقعيد والتأصيل .حيث نجم عن هذا التنافس نتائج عدة من ضمنها العمل المضني الذي تجسد في إطار جماعي للمنتمين لمدرسة من المدرستين قصد السبق في استنباط بعض القواعد اللغوية و هو ما طوّر الدرس اللغوي العربي في مراحله الأولى.

« ولا ينكر منكر اتصال الكوفيين بالبصريين، واتصال البصريين بالكوفيين، فمن أخبار أبي جعفر الرؤاسي- شيخ الكسائي: أنّ الخليل طلب كتابه فبحث إليه به... و التقى الكسائي بعيسى بن عمر الثقفي، والخليل ويونس والأخفش الذي تابعه الكوفيون في كثير مما ذهب إليه حتى عدّه أحد المعاصرين "الإمام الأول للمدرسة الكوفية"،[1] كما تتلمذ البصريون لطائفة من علماء الكوفة كتلمذة أبي عمرو بن العلاء لسعيد بن جبير الكوفي، وأبي زيد الأنصاري للمفضل الضبي».[2]

من خلال ما أشار إليه خليل إبراهيم العطية أرى أنّ التواصل بين المدرستين البصرية والكوفية بدأ مع بداية الدرس اللغوي العربي و شمل معظم الطبقات اللغوية من مرحلة النشأة إلى غاية النضج والاكتمال، وبذلك تبرز أهمية التواصل اللغوي في تطوير الدرس اللغوي العربي بشكل عام، والنحوي على وجه الخصوص.

كما عمد النحاة البصريون في تأسيس نحوهم على الثابت من كلام العرب، وشعرهم في الجاهلية، وصدر الإسلام إلى عصر معين لا يتجاوز، كما اعتمدوا على القرآن في قراءاته العالية،

[1]- ويقصد هنا، شوقي ضيف في كتابه المدارس النحوية، ص: 99.

[2]- خليل إبراهيم العطية، **جهود الكوفيين في علم الأصوات**، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد 22، د.س، ص: 23.

واعتمدوا على الثابت المؤيد سماعا أكيدا من أمر اللهجات، واللغات الخاصة، وغلبوا القياس على السماع.[1] كما أنّ من مصادر المدرسة الكوفية النحو البصري بناءا على أنّ أبا جعفر الرواسي- و هو من أوائل الكوفيين- كان يلتقي بأبي عمرو ويسأله في الأمور النحوية، وأنّ الكسائي قد لقي في البصرة يونس بن حبيب، وجرت بينهما مسائل نحوية كثيرة كذلك، كما درس يونس بن حبيب سيبويه على الأخفش، كما وقف الفراء على نفس الكتاب وعرّفه ومات وتحت رأسه هذا الكتاب.[2]

يذهب علماء اللغة المحدثين إلى إنفراد مدرسة البصرة بالدرس اللغوي بشكل عام والنحوي على وجه أخصّ في مراحله الأولى؛ أي مرحلة النشأة التي صادفت نهاية القرن الأول الهجري. وفي المرحلة الثانية من عمر هذا الدرس اللغوي، والتي تبدأ من عهد الخليل، و يصطلح عليها مرحلة النمو والتطور اشترك الكوفيون مع البصريون في النهوض بالنحو العربي وتطوير هذا المجال العلمي، بخلاف المرحلة الأولى التي كان علماؤها من البصريين و لم يكن لعلماء الكوفة أيّ دور فيها- حسب رأي أحمد جميل شامي- وفي هذه المرحلة تنافس علماء البصرة والكوفة في طلب العلم والإقبال على تعلمه.[3]

ويمكن القول أنّ النحو العربي بصفة خاصة والدرس اللغوي بشكله العام بدأ بصريا، وتطور واكتمل بصريا وكوفيا بفضل تواصل علماء المدرستين.وفي إشارة منه الى دور علماء البصرة والكوفة في تفعيل الدرس اللغوي العربي في مراحله الأولى، يرى إبراهيم عبود السمرائي أنّ الكوفة كانت « مركزا من مراكز العلم كما كانت البصرة، و لسنا على يقين تام في سبق البصريين وانصرافهم إلى العلم على الكوفيين إلا ما كان من ذلك في العلوم اللغوية، فقد عرف النحو في البصرة قبل الكوفة، وإذا قيل النحو فلابدّ أن يكون مما اشتمل عليه علوم العربية عامة، ثم جاء

[1]-ينظر ، إبراهيم السمرائي، **المدارس النحوية أسطورة و واقع** ، ص: 140.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 141.

[3]-ينظر، أحمد جميل شامي، **النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره**، ص: 79.

بعدهم الكوفيون ليشاركوا في هذا المسعى فكان منهم نحاة وعلماء لغة وأصحاب روايات في القراءات وسائر فنون العربية وما يتصل بها من أخبار وعلم بالأيام والوقائع».[1]

وإن كان في الحقيقة لا يهمنا هنا أسبقية طرف على آخر بقدر ما يهمنا تواصل بعضهم ببعض، و دور ذلك في تفعيل وتنمية الروح العلمية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، و هو ما يذهب إليه إبراهيم عبود السمرائي كذلك في قوله: « لقد عرفت الكوفة كما عرفت البصرة فكلاهما مصران قد مصرهما المسلمون، و اشتهر كلا منهما طوال التاريخ الإسلامي وشغلتا مكانا واضحا في القرنين الثاني والثالث. وكان أهل المصريين على اتصال بينهم، وأنت لا تعدم أن تجد بصريين قد استوطنوا الكوفة لغرض ما، كما تجد كوفيين آخرين اتخذوا البصرة سكنا لهم».[2]

والبارز في هذا الجدلية أنّ التواصل بين المدرستين مهما كانت طبيعته أنتج التنافس في المجال اللغوي من أجل السبق، و هذا لا يعني أنّ التنافس يبقى محمودا مهما كانت نتائجه؛ لأنه قد ينتج عنه خطر تعدد وتشعب القواعد اللغوية إذا انطلق من أساس "أنافس الآخر لأخالفه"، و هو ما يصعب من استيعاب وفهم هذه القواعد ، و يزيدها غموضا بدل الوضوح.

### 4. التنافس بين المدرستين الكوفية و البصرية طوّر الدرس اللغوي العربي:

أشرنا فيما سبق إلى أنّ التواصل بين هذه المدارس نتج عنه التنافس بينهما، العامل الذي طور الدرس اللغوي من خلال الإقبال على البحث في هذا المجال بدافع التعصب لمذهب لغوي معين، و في ظل هذه المنافسة العلمية عرف البحث اللغوي العربي خلال القرنين الأول والثاني الهجريين إنتاجا لم يعرفه من قبل ولا من بعد هذه الفترة، و ما ذهب إليه أحمد أمين في قوله « و قد كان أهم مراكز العراق في العهد الأموي البصرة والكوفة، وكان التنافس بينهما شديدا، و في العصر العباسي ظل هذا التنافس، ودخل في المنافسة بلد جديد هو بغداد. وكان التنافس العلمي بين هذه المدن الثلاث في العصر العباسي أشدّ منه في العصر الأموي تبعا لنمو الحركة العلمية، فالبصريون

[1]-إبراهيم السمرائي، **المدارس النحوية أسطورة و واقع**، ص: 31.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 31.

والكوفيون والبغداديون في النحو، وفي الصرف، وفي اللغة وفي الأدب، و في غيرها؛ وكل جماعة من العلماء تتعصب لبلدها ولمذهبها العلمي ».[1]

إنّ التعصب للمذهب القائم على أساس الجغرافية (المدينة) جعل من قنوات التواصل بكل أنواعها اللغوية والغير اللغوية عامل غاية في الأهمية، اعتبارا لما لها من دور في تطوير الدرس اللغوي.

و السبب الذي دفع الكوفيين إلى منافسة البصريين في ميدان علوم اللغة بشكل عام والمجال النحوي منها على وجه الخصوص هو التأخر الذي لحق بهم على ما فاتهم من شرف النحو- حسب رأي أحمد جميل شامي- فغلب على بحوثهم الجانب الصرفي حيث استنبطوا للصرف الكثير من القواعد التي سبقو بها البصريين حتى عدّهم المؤرخون الواضعين للصرف في المرتبة الثانية بعد النحو عند البصريين،[2] حتى وإن كانت الحدود بين هذين المستويين من اللغة لم تتضح بشكل نهائي في تلك المرحلة.و أدى كذلك الاختلاف بين المدرستين إلى التباري والمفاخرة، مما ولّد في نفوسهم إيثار المخالفة في المسائل العلمية على الموافقة عليها، و قويت المنافسة بين المدرستين في المسائل النحوية بعد أن عملت عوامل الخلاف عملها، الشئ الذي أدى إلى ازدهار الدرس النحوي وتطويره.[3]

وتجاوز التنافس بين المدرستين المسائل العلمية ليصل إلى التفاخر بكل ما من شأنه يميّز مدينة عن غيرها، «ففخر الكوفيون على البصريين أيضا بخصب الكوفة وحسن موقعها، وفخر الكوفيون كذلك بمسجدها العظيم ومجاورتها النهر العظيم و هو الفرات،[4] كما فخر البصريون بعظمائهم كالأحنف بن قيس (سيد تميم البصرة)، والحكم بن الجارود، ومالك بن مسمع، و قتيبة بن مسلم

[1]- أحمد أمين، **موسوعة الحضارة الإسلامية، ضحى الإسلام**، م3: 406

[2]- أحمد جميل شامي ، **النحو العربي قضاياه ومراحل تطوره**، ص: 82.

[3]- **المرجع نفسه**، ص: 79.

[4]- أحمد أمين، **موسوعة الحضارة الإسلامية، ضحى الإسلام**، م3: 407.

و أنّ ليس نظراؤهم في الكوفة مثلهم في السؤدد، وكذلك من أهم مفاخر البصريين "المربد"، و له أثر كبير في حياتهم العقلية، وخاصة اللغوية.»[1]

وبعدما جاءت بغداد فخرت على البصرة والكوفة معا، و هنا يتجلى دور التعصب للجغرافية في رسم حدود المدارس النحوية إن صحّ التعبير. إذ ما يهمنا هنا هو الدور الإيجابي للتنافس بين المدارس النحوية الناتج عن التواصل بينهما، لكن « أغفل المعنيون بتأسيس المدارس النحوية المزعومة حقيقة أنّ النحاة بصريين وكوفيين قد التقوا في مسائل كثيرة وتداخل علم هؤلاء بعلم أولئك، فقد وافق الكسائي البصريين في مسائل كثيرة، كما وافق الفراء البصريين في مسائل عدّة، كما وافق الأخفش الكوفيين في مسائل معروفة.»[2]

### 5. كتاب سيبويه همزة وصل بين النزعتين البصرية والكوفية:

كانت البصرة والكوفة في القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة مهد اللغة العربية، وعلومها، ونبغ فيهما عدد كبير من علماء اللغة العربية الذين أخذوا على عاتقهم جمع اللغة، وتدوينها والتقعيد لها، وفق منهج حُدّد مسبقا.

و في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري عرفت بغداد الجو العلمي نفسه كذلك، ومع بداية انتقال الخلافة من دمشق إلى بغداد ،بدأت هجرة و نزوح علماء اللغة في النزوح إليها ،و انتقلت معهم بذلك علومهم لاسيما مؤلفاتهم اللغوية ،و الأدبية حيث تتلمذ على أيدي هؤلاء عدد كبير من البغداديين اشتركوا إلى جانب أساتذتهم في النهوض بالدرس اللغوي و النحوي حتى نمت أصوله و اكتملت عناصره.[3]

وكان لكتاب سيبويه بالغ الأثر في توجيه معالم الدرس اللغوي بشكله العام، والنحوي على وجه الخصوص، و تكمن أهمية هذا الكتاب في جوانب عدّة و لعلّ أهمها أنّ الكتاب كان مرجعا

---

[1]-ينظر، **المرجع السابق**، ص: 404، 406.

[2]-إبراهيم السمرائي، **المدارس النحوية، أسطورة و واقع**، ص: 36.

[3]- طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبيبة، **الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ج1: 08.

لدارسي اللغة في المذهب البصري والكوفي معا، ما جعل منه همزة وصل بين المذهبين و أداة مهمة من أدوات التواصل المعرفي بين البصرة والكوفة، ويقول إبراهيم السمرائي في هذا الأمر: « لقد عنيّ النحويون بصريون وكوفيون بهذا الكتاب فكان أبو الأخفش أول من قرأ "الكتاب"، حيث قرأه عليه أبو عمر الجرمي و أبو عثمان المازني، و جاء المبرد وقرأه على الجرمي والمازني، وتصدى لاقرائه المبرد، فقرأه عليه ابن درستويه، ثم علق عليه شارحا، وشرحه الأخفش الأصغر على بن سليمان، وأبو بكر بن السراج والرماني، وأبو سعيد الصرافي، والزمخشري».[1]

وتكمن أهمية هذا الكتاب- و في الحقيقة لست مؤهلا للحكم على مؤلف بحجم كتاب سيبويه- في أنه جمع الآراء النحوية لجهابذة العلماء الذين سبقوه في مدرسة البصرة، وأضاف إلى ذلك الكثير من الاستنباطات النحوية، « فكما أخذ عن الخليل أخذ عن يونس وعيسى بن عمر وغيرهم، وبرع في النحو بزّ أترابه فيه، فاختفى به علماء البصرة التي صار إمامها غير مدافع، و أخرج للناس كتابه الذي أكسبه فخار الأبد، فإنه شاهد صدق على علو كعبه في هذا الفنا.»[2]

و مما زاد من أهميته وجعله مرجعا يتعدّى جغرافيته، و زمانه أنه جمع « ما تفرق من أقوال من تقدمه من العلماء كأبي الخطاب الأخفش والخليل ويونس وعيسى بن عمر وأبي عمر بن العلاء وغيرهم في علمي النحو والصرف...».[3]

إنّ ذلك جعل "الكتاب" لسيبويه أداة و حدّت جهود من سبقوه في هذا المجال، وجمعت ما تفرق منها من آراء لغوية.

ويمكن القول إنّ هذه المدونة اللغوية آلية عمّقت التواصل العلمي في المجال اللغوي العربي بين جميع المدارس اللغوية، بل أداة من الأدوات المهمة في التواصل العلمي في التراث اللغوي العربي بين جميع الأقاليم العربية الإسلامية.

---

[1]- إبراهيم السمرائي، **المدارس النحوية ، أسطورة و واقع** ، ص :33.

[2]-محمد الطنطاوي، **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، ص: 80.

[3]-**المرجع نفسه**، ص: 80.

## المبحث الثالث: التواصل بين الأقاليم العربية وأثره في تطوير الدرس اللغوي العربي خلال العصرين العباسي الأول والثاني

أدّى التواصل الحضاري بين مختلف المناطق العربية الإسلامية خلال العصرين العباسي الأول والثاني دورا بارزا في تفعيل وتطوير الدرس اللغوي العربي من جوانب متعددة أهمها:

– اتساع نطاق الحقل اللغوي العربي.

– كثافة الإنتاج المعرفي في ميادين اللغة والأدب العربي، حيث عرفت هذه الفترة غزارة في التأليف، والإنتاج اللغوي كما ونوعا.

– توسع الحيّز المكاني لتعاطي الدرس اللغوي والبحث فيه، وبداية من النصف الثاني للقرن الثالث الهجري، ظهرت مدارس لغوية عنّيت بالبحث اللغوي في جميع مستوياته في مصر والأندلس، وهذا من ثمرة التواصل الحضاري بين الأقاليم العربية.

– كما نتج كذلك عن التواصل الحضاري العربي منافسة حادّة في مجال البحث في علوم اللغة العربية، العامل الذي طوّر هذا الدرس.

– و بالرغم من طبيعة العلاقات التي ميّزت البلدان العربية فيما بينها، إلا أنّ ذلك لم يمنع توحيد البحث في العلوم اللغوية ، وبفضل التواصل اللغوي، والغير اللغوي بين مختلف الأقاليم العربية، والدور المهم الذي أدّته التعاليم الحميدة للدين الإسلامي الحنيف والتي تشجع على الوحدة والاندماج بدلا من الفرقة والانفصال، وارتباط اللغة العربية ارتباطا وثيقا بالدين الإسلامي الحنيف، وكذلك المرونة التي تتمتع بها العربية ما أهلها لتكون اللغة المشتركة لهذه الأمة على اختلاف الأزمنة والأمكنة للمتحدثين بها كلها عوامل حققت وحدة التراث اللغوي والأدبي للشعوب العربية الإسلامية.و هو ما أشار إليه شوقي ضيف في قوله: « ومما يدل بعمق على إحساس الأمة بوحدة هذا التراث وأنه يتشبث بذاتيتها وشخصيتها أننا نجد عرب الأندلس يتمسكون به، ولا يحاولون أيّ محاولة في الاستقلال بحركة علمية أو فلسفية أساسها الترجمة عن اللاتنية... غير أنهم لم يفكروا في نقل هذا التراث إلى العربية، و كأنهم آثروا التمسك في قوة بالتراث المترجم المشرقي وما أضاف

إليه علماء المشرق وفلاسفته، مما أحاله تراثا للأمة، تراثا مشتركا، لا تختص به بلدة دون بلدة ولا فيلسوف دون فيلسوف ولا عالم، في محيط الأمة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب...».[1]

ومن أهم العوامل التي فعّلت هذا التواصل العلمي بين المشرق الإسلامي ومغربه، الو لاءات المذهبية، سواء كانت سياسية، أو عقدية، أو فلسفية، يذهب شوقي ضيف أيضا إلى أن الفلسفة العربية كانت « فلسفة مشتركة، و بالمثل كان العلم العربي علما مشتركا، بحيث يحسّ العالم العربي إحساسا قويا بأنه حلقة في سلسلة متصلة، و هي سلسلة كما تصله بأسلافه تصله بمعاصريه، فإذا هو يقرأ لهم ما يؤلفونه، ومن أغرب الأشياء أن كانت الكتب تنقل في تلك الحقب الماضية بسرعة قد لا نتصورها الآن».[2]

وقد يكون ما تضمّنته جلّ كتب التراجم والسير والطبقات من عرض لحياة العلماء دون تقيّد بجغرافية معينة مثالا دامغا على شمولية عملية التواصل المعرفي بين جميع الأقاليم العربية الإسلامية، شرقا وغربا.

**1)- رحلات العلماء بين الأقاليم العربية ودورها في تطوير اللغة العربية:**

تزامنت رحلات هؤلاء العلماء، وتنقلاتهم بين مختلف المدن والأمصار العربية مع بداية الفتوحات الإسلامية، وكان الهدف منها تلقّي العلم، أو بغرض تلقينه في مجالات معرفية شتى.

ونتج عن رحلات علماء اللغة بين الأقاليم العربية ظهور العديد من المدارس اللغوية ، فنشأت مدرسة بغداد نتيجة لرحلات العلماء من البصرة والكوفة إلى بغداد، كما ظهرت مدرسة الأندلس النحوية نتيجة لا حتكاك علماء الأندلس بنظائرهم في المشرق العربي، حيث كانت مدينتا البصر والكوفة من أهم المراكز العلمية في العصرين العباسي الأول والثاني، وكانت في مقدمة المدن الرئيسية التي رحل إليها القرطبيون لتحصيل العلوم اللغوية، باعتبارهما منبع الدراسات اللغوية،كما أنّ رجالها القائمون على هذه الدراسات هم الذين وضعوا أصولها وضوابطها، ونظرا لأهميتهما

[1]-شوقي ضيف، **في التراث والشعر واللغة**، ص: 22.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 23.

العلمية يلاحظ أنّ الطبقات النحوية واللغوية في المدرسة الأندلسية ومنذ الطبقة الأولى أتيح لهذا الاتصال اللغوي والنحوي بمدرستي البصرة والكوفة، و لم تقتصر على واحدة منهما.[1]

وبالرّغم ما ميّز العلاقات بين الخلافة العباسية، والسلطة الحاكمة في الأندلس إلا أنّ التواصل العلمي بينهما ظلّ قائما وزادت وتيرته في تلك المرحلة، حيث « نشأت المدرسة الأندلسية في عصر بني أمية (138-422هـ) عندما أحسن المؤدبون الذين كانوا يعملون الشباب في قرطبة و غيرها من الحواضر الأندلسية مبادئ العربية، أنهم بحاجة إلى النحو،كي يساعدهم في فهم القرآن والحفاظ عليه، فرحل فريق منهم إلى المشرق وتتلمذوا على علماء البصرة، والكوفة ثم عادوا إلى مواطنهم بعد أن نهلوا من علم علماء المشرق..».[2]

إنّ ارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي كونها لغة القرآن المقدس سرّع من توسعها، ورغبّ في تعليمها وتعلّمها، لفهم تعاليم الدين الجديد في الأقاليم المفتوحة.

و تُعتبر رحلات العلماء من مدرستي البصرة، والكوفة باتجاه بغداد من أهم الرحلات العلمية في التراث اللغوي العربي، نظرا لأهميتها العلمية في مجال الدراسات اللغوية والأدبية. « فالخلفاء والأمراء العباسيون اعتمدوا على الكوفة في تأديب أولادهم، لذلك وفد الكوفيون بكثرة إلى بغداد وتخيروا ما يناسب مجالس السمر والمنادمة من أقوال، لذلك نراهم يتجهون باللغة والعلم اتجاها جديدا فيه البساطة والوضوح أكثر مما فعله البصريون، وانتهى النزاع بين المدرستين، إلى اندماجها في مدرسة واحدة، وهي مدرسة بغداد. »[3]

والمقصود هنا بالتأديب؛ تعليم اللغة و الأدب العربي لغير العرب اعتبارا لما كان للغة العربية من قيمة في نفوس هؤلاء لعوامل سبق الإشارة إليها من جهة، ومن جهة أخرى عرفت رحلات العلماء من البصرة والكوفة إلى بغداد نموا واسعا في العصرين العباسي الأول والثاني، نظير ما يتلقاه هؤلاء من اهتمام من لدن الأسرة الحاكمة التي اهتمت بالعلوم، والمعارف بالغ الاهتمام. وسأعرض

[1]-ينظر، طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبية، **الحضارة الإسلامية، دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية**،ص: 567.

[2]-إبراهيم عبود السمرائي، **المفيد في المدارس النحوية**، ص: 163.

[3]-عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **دراسات في تاريخ الدولة العباسية**، ص: 118.

بعض النماذج المهمة من رحلات بعض العلماء إلى بغداد حيث كان علي بن حمزة الكسائي (ت 189ه) مؤسس المدرسة الكوفية أبرز من أدخل الدراسات النحوية واللغوية إلى عاصمة الخلافة العباسية آنذاك، وكان أول نحوي لغوي يستدعيه الخليفة المهدي ليدرّس ولده هارون الرشيد، ولازمه ملازمة تامة مما شجعه على مواصلة بحوثه اللغوية. وأعقبه على مجالس الدرس اللغوي والنحوي في بغداد تلميذه يحيى بن زياد الفراء الكوفي (ت207ه)، والذي تصدر مجالس الدروس اللغوية في بغداد بعد وفاة الكسائي.[1]

ولم تقتصر رحلات العلماء من البصرة و الكوفة على علماء اللغة والأدب، بل كانت الرحلات تشمل العلماء في جميع الدراسات القرآنية، والفلسفية أيضا، و لا أرى ضرورة لذكرها هنا.

و عرفت هجرة العلماء من البصرة إلى بغداد توسعا وازدهارا في العصر العباسي كذلك. ومن البصريين الذين انتقلوا إلى بغداد، وعملوا على نشر اللغة العربية وعلومها، نجد:

– عبد المالك بن قريب الأصمعي (ت 216ه)، والذي كان بحرا في علوم اللغة، وقد استدعاه الخليفة الرشيد إلى بغداد فأقام بها مدة من الزمن،و في هذه المدة شاعت كتبه في بغداد، وحملها الناس عنه. [2]

– و قدم إلى بغداد من البصرة أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210ه) وكان معاصرا للأصمعي، و منافسا له، وقامت بينهما مناظرات في اللغة في حضرة هارون الرشيد، وأشهر من تتلمذ على يد هذا العالم الجليل، العالم البغدادي اللغوي: أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحي (ت224ه).[3]

---

[1]–ينظر، طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبية، **الحضارة الإسلامية ،دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية**، ص: 190.

[2]– **المرجع نفسه**، ص: 190.

[3]– **المرجع نفسه**، ص: 192.

كما عرفت الفترة الممتدة من نهاية القرن الثاني إلى غاية مطلع القرن الثالث نزوح عدد كبير من علماء اللغة إلى بغداد، و اقتصرت هنا على ذكر نموذجين من كل مدرسة، واستمر عطاء المدرستين إلى ما بعد هذه الفترة، ونتيجة التنقل من الكوفة والبصرة إلى بغداد عرف الدرس اللغوي العربي حلقة مهمة في تطوره، وبذلك نضج واكتمل في هذه المرحلة التي تعرف بالعصر الذهبي من تاريخ العلوم العربية بشكلها العام.

وللإشارة إنّ عملية انتقال العلماء من مدرستي البصرة والكوفة إلى بغداد، لم تبدأ مع العصر العباسي، وإنما شهدت تطورا ملحوظا في هذه الفترة، ومن نتيجة هذا الفعل اندماج الجهود اللغوية للمدرستين في مدرسة واحدة؛ و هي مدرسة بغداد.

## 2)-الرحلات العلمية بين المشرق و المغرب الإسلاميين و دورها في تطور الدرس اللغوي خلال العصرين العباسي الأول و الثاني

بعدما تطرقت لبعض رحلات العلماء من مدرستي البصرة والكوفة إلى بغداد و دور ذلك في نشاط الدرس اللغوي في بغداد، سأقف هنا عند أهم الرحلات بين المشرق الإسلامي ومغربه، خلال العصرين العباسي الأول والثاني، و لا يخفى على أحد الدور الذي أداه العلماء في سبيل انتشار علوم اللغة العربية في جميع الأقاليم العربية، وبذلك نشطت حركة تنقل العلماء من المشرق إلى المغرب الإسلامي لنشر العلم هناك، أو رحلة بعضهم من المغرب إلى أهم مراكز العلم بالمشرق لتلقّي العلم بكل أشكاله وخاصة علوم اللغة العربية وآدابها. « ولقد كانت العلاقات الثقافية والتبادل العلمي في نمو واطراد طيلة الحكم الإسلامي وعلى مدى قرون وقرون بين المشرق والمغرب عامة وبين أجزاء المغرب الإسلامي بينها بوجه خاص ، وكل هذا يؤكد على بعض الصلات بين العلماء والفقهاء وال حدثين والشعراء والأدباء فيما بينهم»[1] .وفي الموضوع ذاته يقول التواتي بن التواتي: « نحن على يقين أن المغرب تابع للمشرق في الحركة العلمية والفكرية

[1]- رشيد الزوادي ، **التبادل الإسلامي بين المشرق والمغرب الإسلامي** ، مجلة الحضارة الإسلامية ، المعهد العالي للحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، العدد الأول ،1993 ،ص :325.

عموما وهذا أمر لا جدال فيه إلا أنّ هذه التبعية لا يعني أنّ ليس هناك نهضة علمية في المغرب تضاهي النهضة العلمية في المشرق، إذ هناك علماء نبغوا في شتى الفنون فاقوا علماء المشرق شهرة بل كانوا في بعض الأحيان أساتذة للمشارقة ».[1]

وكما أشرت سابقا في هذا الفصل فإنّ التجارة أدّت دورا هاما في تفعيل نشاط هذه الحركة، حيث كان للتجارة المتبادلة بين المشرق العربي و بلاد الأندلس بالغ الأثر في ترسيخ الملكة اللغوية في هذا الإقليم من أقاليم الحضارة العربية الإسلامية من جهة، وتطوير الدرس اللغوي و التأليف فيه من جهة ثانية، وكان الغاية من هجرة علماء الأندلس نحو المشرق العربي الأخذ ورواية الأصول عن ائمة اللغة ، كما كان لهجرة بعض علماء اللغة المشارقة نحو الأندلس وشمال إفريقيا إضافات كثيرة إلى جانب جهود نظائرهم هناك في حقل الدراسات اللغوية والأدبية.[2]

وهناك نقطة مهمة لا تقل أهمية عن رحلات العلماء بين المشرق والمغرب، فإلى جانب ذلك صاحب تنقل العلماء بين مختلف المدن تنقل الكتب اللغوية والأدبية كذلك.

ومن العلماء الذين انتقلوا من الأندلس إلى المشرق العربي لتلقي العلم هناك نجد:

– عبد الرحمن بن موسى الهواري، حيث لقي في رحلته إلى العراق كلا من الأصمعي (ت216ه) وأبي زيد الأنصاري (ت 216ه)

– جودي بن عثمان النحوي (ت 198ه)، حيث رحل هو الآخر إلى العراق فالتقى بالكسائي (ت 182ه) والفراء (ت 207ه)، ويعدّ أول من أدخل كتاب الكسائي في النحو إلى قرطبة.[3]

– محمد بن عبد الله بن قيس أبو عبد الله القرطبي (ت 296ه)، رحل إلى البصرة فلقي بها أباحاتهم السجستاني (ت 250ه)، و الرياشي (ت 257ه)، وأدخل معه إلى الأندلس مادة علمية غزيرة في ميدان اللغة والأدب.

---

[1]–التواتي بن التواتي، **المدارس النحوية**، ص:121.

[2]– ينظر، طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبية، **الحضارة الإسلامية، دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية**، ص: 263.

[3]– **المرجع نفسه**، ص: 564.

– محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن الحسن أبو عبد الله القرطبي (ت 286ه)، وتنقل هو الآخر إلى البصرة، ولقيّ بها السجستاني، والرياشي، والزيادي (ت 249ه)، وأخذ عن هؤلاء العلماء الكثير من كتب اللغة، و انتقل بعدها إلى بغداد وكتب بها كتب أبي عبيد القاسم ابن سلام الجمحي (ت 231ه)، وأدخل عديد الكتب في اللغة، والشعر، والحديث إلى قرطبة.[1]

إنّ ارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي الحنيف، فعّل من هذه الرحلات العلمية، لضرورة إدراك الفقيه بقواعد اللغة العربية وعلومها حتى يتسنى له شرح وتوضيح الأحكام الفقهية لعامة الناس وتيسير فهم النص القرآني أيضا. يقول محمد الطنطاوي في هذا الشأن: « بحكم قرب الجوار واتحاد اللغة والدين لذلك تجشم أفراد من الأندلس والمغرب الأسفار إلى المشرق، و رووا عن علمائه، و اقتبسوا من معارفهم، إذ لم يكن في مقدورهم الرحلات إلى البوادي ومشافهة الأعراب كما صنع المشارقة، وقفوا إلى المغرب و الأندلس مزودين بعلوم المشارقة زيادة على ما جلبوا معهم من مؤلفاتهم... و قد تجاوب مع هذه الرحلات المشرقية في رفع شأن اللغة العربية تقاطر المشارقة وتوافد المشارقة وتوافد كثير من علمائهم إلى المغرب والأندلس...».[2]

وتواصلت هجرة العلماء من الأندلس والمغرب إلى المشرق العربي لتلقّي العلم إلى غاية القرن الرابع الهجري، و استمرت بعد هذا القرن كذلك، وسأقتصر على ذكر نموذجين في هذا القرن إضافة إلى النماذج التي سبق ذكرها في هذا العنوان:

– قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف (ت 340ه)، الذي رحل إلى المشرق، و أقام ببغداد ونزل بالكوفة، و لقيّ فيها المبرد (ت 280ه)، و ثعلب (ت 291ه)، و عاد إلى الأندلس بعلم وفير تلقاه الطلاب عنه.

– محمد بن يحي بن عبد السلام الأزدي القرطبي المعروف بالرباحي (ت 358ه) رحل هو الآخر إلى المشرق العربي وأقام بمكة، و سمع من الأعرابي الكوفي، كما أخذ بمصر عن أبي جعفر بن

[1]– **المرجع السابق**، ص: 565.

[2]–محمد الطنطاوي، **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، ص: 219.

أحمد بن محمد النحاس (ت 307ه) و أخذ عنه كتاب سيبويه، وعاد إلى قرطبة فاجتمع الناس حوله، وكان يقرأ عليهم هذا الكتاب كل جمعة.[1]

ومن أبرز العلماء المشارقة ممّن وردوا الأندلس أبو علي القالي (ت 356ه)، و هو من بغداد وأورث أهل الأندلس علمه، و كان أبو علي القالي عالما اتصل بنواحي شتى من المعرفة الشرعية واللسانية بكل أصنافها، وكان أحفظ أهل زمانه لجميع صنوف اللغة والأدب العربي.[2]

**3)- العلاقات اللغوية بين علماء مصر وعلماء المدارس اللغوية بالعراق خلال العصرين العباسي الأول والثاني:**

إنّ مكانة البصرة والكوفة في العصر العباسي، باعتبارهما من المراكز العلمية المهمة آنذاك، جعلت العلماء وطلاب العلم يتوافدون إليها من مختلف أماكن العالم العربي، وبعدما كانت « مصر ولاية تتبع الدولة العباسية يحكمها ولاة يعينهم الخليفة العباسي، و يخضعون له مباشرة»،[3] تطورت العلاقات بين مصر والعراق، بفضل سهولة التواصل بينهما مما انعكس إيجابا على الحياة العلمية في مصر بحكم الصلة بينها وبين أهم المراكز العلمية بالمشرق العربي. حيث « ابتدأت الصلة بين طلاب العلم في مصر وعلماء اللغة والنحو في البصرة والكوفة برحلة "ولد التميمي المصادري" من مصر والتقائه بالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170ه) بالبصرة. والظاهر أنه نقل عنه علما كثيرا ثم رجع إلى مصر فكتب في اللغة والنحو...».[4]

ويقول أحمد أمين أنّ انتشار المسلمين في مصر صاحبه نشر لثقافاتهم الدينية واللسانية ثقافة دينية متعددة الأنواع، وثقافة لسانية من نثر وشعر.[5]

---

[1]- ينظر، طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبية، **الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية**، ص: 566.

[2]-ينظر، التواتي بن التواتي، **المدارس النحوية**، ص: 122.

[3]-عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **دراسات في تاريخ الدولة العباسية**، ص: 194.

[4]-أحمد نصيف الجنابي، **الدراسات اللغوية والنحوية في مصر**، دط، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1977، ص:518.

[5]-ينظر، أحمد أمين ، **موسوعة الحضارة الإسلامية، ضحى الإسلام**، م 3: 420.

« وفي نهاية القرن الثاني الهجري رحل عبد المالك بن هشام إلى مصر وبقي فيها إلى أن توفي سنة 218هـ، وهو من تلاميذ علماء البصرة. و أول ما ظهر لنا على المسرح بمصر سنة 198هـ، و هو يجالس الشافعي الذي جاء إلى مصر سنة 198هـ أيضا، وكان يتناشدان الأشجار ويتناقشان في اللغة».[1] كما أقام "ابن هشام" في مصر مدة عشرين عاما من حوالي سنة 198هـ إلى غاية 218هـ قضاها في تدريس علوم اللغة والنحو، ويعتبر أول من خلف في مصر دراستين نقل فيهما منهج النزعة البصرية، في علوم اللغة باعتبار أنّ كل أساتذته من هذه المدرسة، و هاتان الدراستان هما: « شرح ما وقع في أشعار السيرة من الغريب» و «تهذيب السيرة النبوية».

و لم يتوقف هذا المنهج الذي نقله ابن هشام بوفاته بل اتصل بتلميذه محمد بن حسان المصري (ت 272هـ)، و أخذ عن الأخير الإمام الطحاوي (ت 321هـ)، وعنه أخذه تلاميذته.[2]

إنّ العلاقات اللغوية بين علماء مصر والمدارس اللغوية بالعراق كانت متواصلة بشكل مباشر طوال القرون الأربعة الأولى للهجرة، وبذلك اعتبرت مصر جسر تواصل بين المشرق العربي الإسلامي والأندلس في ميدان الدراسات اللغوية العربية، ما سهّل من انتشار هذه العلوم في المراحل الأولى من نشأتها.

[1]-أحمد نصيف الجنابي، **الدراسات اللغوية والنحوية**، ص: 519.

[2]-ينظر، **المرجع نفسه**، ص: 519.

وفيما يلي شكل توضيحي لتواصل بعض علماء اللغة في مصر بالمدرستين البصرية والكوفية خلال العصرين العباسي الأول والثاني:

**اتصال علماء مصر بمدرسة الكوفة** [1]

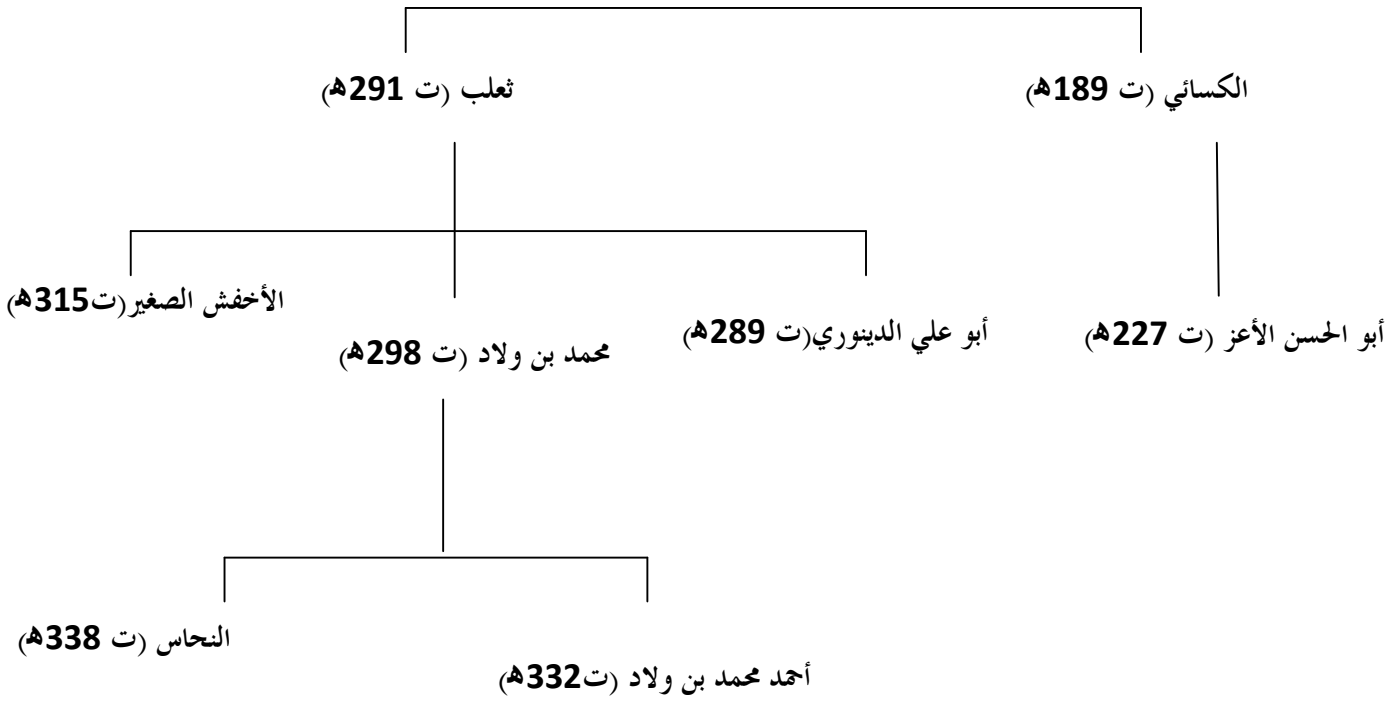


[1]-ينظر، **المرجع السابق**، ص: 519.

**شكل يوضح شجرة اتصال علماء مصر بالمدرسة البصرية:**[1]

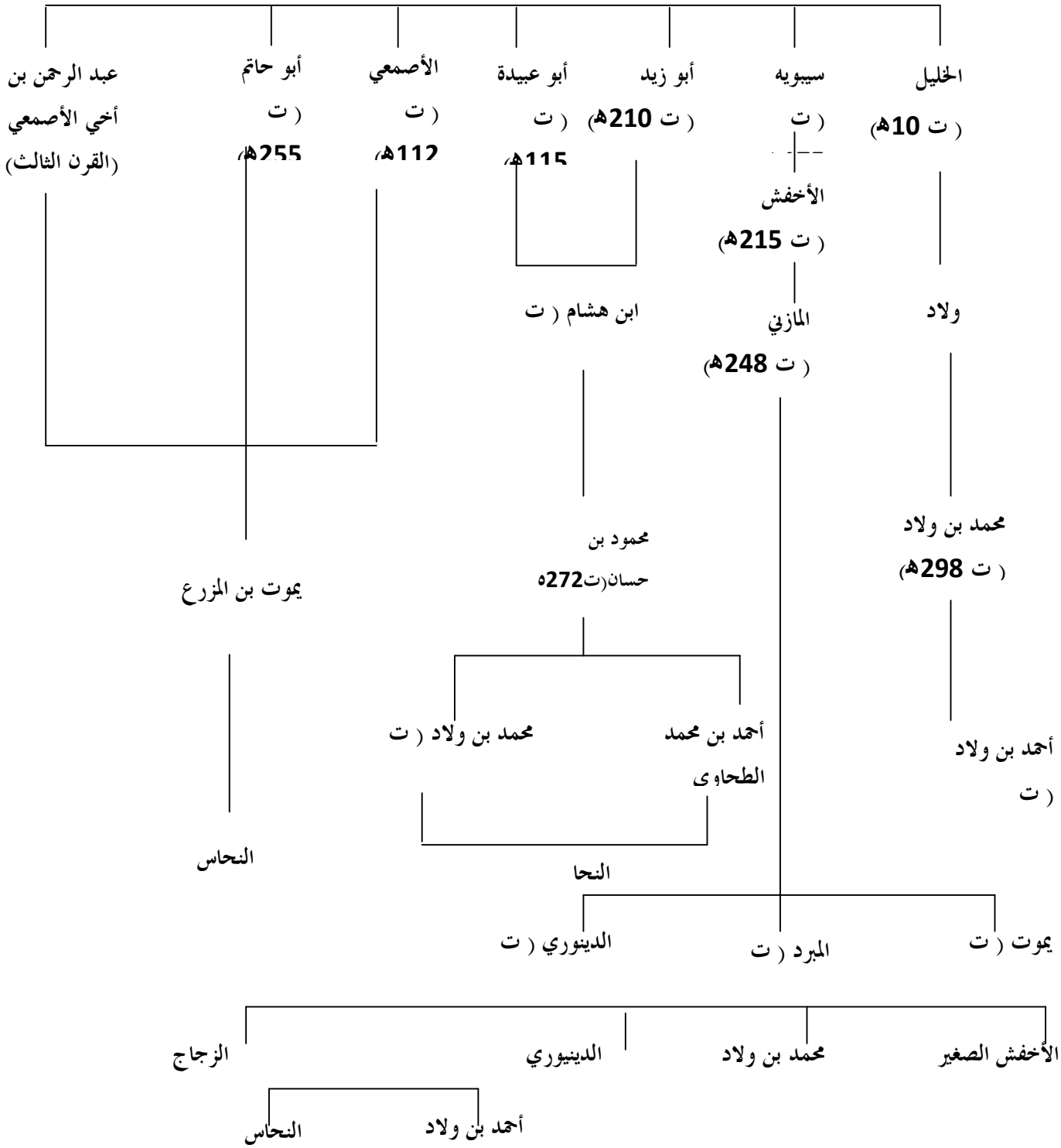


[1]- المرجع السابق، ص: 523.

يبدو واضحا من خلال الشكلين السابقين مدى تنوّع العلاقات وتشابكها الناتجة عن تواصل علماء مصر بأساتذتهم في مدرستي في مدرستي البصرة والكوفة، وكذلك المدرسة البغدادية، و لم تتوقف هذه العلاقات على جغرافية مصر بل توسعت غربا لتشمل شمال إفريقيا و الأندلس كذلك.

وخلاصة القول إنّ التواصل الحضاري بين جميع الأقاليم العربية الإسلامية خلال العصرين العباسي الأول والثاني انعكس على طبيعة التفاعل بين المدارس اللغوية على وجه الخصوص سواء كان ذلك بتنقل العلماء وطلبة العلم من و إلي المراكز العلمية المهمة آنذاك في المشرق، والمغرب الإسلاميين، أو بنقل كتب ومؤلفات علماء وأئمة النحو العربي من مكان إلى آخر، ساهم ذلك بشكل كبير في تطوير اللغة العربية في النقاط التي أشرنا إليها سابقا في هذا الفصل.

## المبحث الرابع: المناظرات اللغوية ودورها في تطوير الدرس اللغوي خلال العصرين العباسي الأول والثاني

إنّ المناخ المعرفي العام الذي ساد الحضارة العربية الإسلامية في العصرين العباسي الأول والثاني، ونشاط حركة الترجمة من ثقافات متعددة إلى العربية، والدور الذي أدّاه الحكام لتهيئة جو المنافسة بين العلماء، وتعاطي الفلسفة في مجالات متعددة بفضل ما أنتجته الترجمة التي عُني بها عناية بالغة من لدن الخلفاء، وعليه لم يسلم أيّ مجال من المجالات المعرفية حينها من تداعياتها.

وبفضل هذا العامل، وإضافة إلى عوامل أخرى عرفت هذه الفترة بروز العديد من الفرق الكلامية، التي شهدت جدلا واسعا فيما بينها في مسائل طرحت وتتعلق جلها بالأمور العقدية في الإسلام لاسيما صفات الخالق، والمنزلة بين المنزلتين، فهناك من دعا إلى إعمال العقل في البحث عن إجابة لهذه التساؤلات، وطرف آخر يرى عكس ذلك بدعوته إلى إعمال النقل اعتبارا لقصور العقل البشري عن إدراك هذه المسائل، وطرف ثالث توسط الرأيين السابقين بإعماله للعقل والنقل معا.

وا نعكس المنطق اليوناني كذلك على المجال السياسي في الحضارة العربية الإسلامية، حيث استعانت به المذاهب السياسية في إثبات أحقية كلا منهما بالسلطة.كما انعكس هذا المناخ بشكل تلقائي على المجالين اللغوي والأدبي في جميع الأقاليم العربية الإسلامية، مما قد يكون لذلك أثر إيجابي في تطوير مجالات الدرس الأدبي واللغوي خلال هذه المرحلة. وباعتبار المناظرة فعل مارسه اللغويون والأدباء العرب في مجالسهم العلمية على اختلافها فعل تواصلي كان له بالغ الأثر في توجيه معالم الدرس اللغوي قرّرت الوقوف عنده بشيء من التفصيل.

### 1) المناظرة لغة:

المناظرة مفاعلة من النظر، والنظر حسي ومعنوي، فمن الحسي ناظر: ناظر العين وهو النقطة السوداء الصافية التي في وسط سواد العين و بها يرى الناظر ما يُرى، والنظر حسّ العين، نظر ينظره

نظرا، ونظر إليه: تأمل الشيء بالعين والمناظرة: أشراف الأرض لأنه ينظر منها.[1] وجاء في القاموس المحيط، نَاظَرهُ صار نظيرًا له وفلانا بفلان جَعله نظيره، ومنه قوله الزهري لا تناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أي لا تجعل شيئا نظير لهما.[2]

« والنظر: الفكر في الشيء تقدره، وتقيسه، والنظر: التكهن، و مما يتصل بهذا ويسير إلى زمن قديم أنّ عبد الله أبا النبي صلى الله عليه وسلم، مرّ بامرأة كانت تنظر، وتعتاف، فدعته إلى أن يستبضع منها و له مائة من الإبل، تنظر: أي تتكهن، وهو نظر بفراسة وعلم».[3]

و يقال ناظرت فلانا بفلان أي جعلته نظيرا له، ويقال ناظرت فلانا؛ أي صرتُ نظيرًا له في المخاطبة، وناظره من المناظرة، والنظير المثل، وقيل المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي مثلك لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء، و حكى أبو عبيدة: النظر والنظير بمعنى مثل الند والنديد.[4]

ويبدو أنّ هذا التعريف اللغوي الأقرب إلى المقصود من المناظرة في اللغة والأدب والفلسفة...الخ.

**2) المناظرة اصطلاحا:**

إذا انطلقنا من تعريف المناظرة للأزهري على أنها مفاعلة، يعني بالضرورة وجود أكثر من عنصر واحد، حيث يشترك عنصران أو عدة عناصر في إحداث تلك المفاعلة. و جاء قول الخليل بن أحمد في المناظرة: « للمناظرة: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه.»[5]

« و لما كانت المناظرة: مفاعلة، فهذه إمارة اشتراك أكثر من طرف فيها، و لو تأملنا قول الخليل لوجدنا كلمة "تناظر" و"أخاك" و"نظرتما فيه معا"، وكلها توحي به "كيف تأتيانه":

---

[1]-ينظر، رحيم جبر أحمد الحسناوي، **المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 1999، ص: 43.

[2]-الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980، ج2: 143.

[3]-ينظر، رحيم جبر أحمد الحسناوي، **المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية**، ص: 44.

[4]- **المرجع نفسه**، ص: 43.

[5]-الخليل بن احمد الفراهيدي، **كتاب العين** ،ج4:238.

وحرص الخليل على أن يقول: "أخاك"و هي كلمة توحي بعدم التنافر أو التباغض في أثناء التناظر، لأن الغاية بلوغ الحقيقة وهي مطلب الطرفين، والنص كله يوحي بنضج فن المناظرة في عصر الخليل، و هو أمر حتمي لأن بدايات هذا الفن كانت أسبق من ذلك كثيرا».[1]

إنّ هذه الظاهرة المعرفية قديمة قدم العلوم والمعارف اللغوية عند العرب، فبدأت بشكل عام مشتملة جميع العلوم اللغوية والقرآنية والأدبية أيضا،كلما بدأت هذه العلوم متداخلة فيما بينها «وإذا كانت "المناظرة" ترد لفظة عامة، و ترد متخصصة في ميادين مختلفة من شؤون المعرفة، و بين علماء اللغة ورجال البيان، و قد بلغت في التحديد ما بلغته لدى الخليل، فإنّ المفهوم الناضج للمناظرة- فيما يقرر ابن خلدون- ظهر واستقر على أيدي أصحاب النظر العقلي في شؤون الدين من أهل الفقه والكلام ... ».[2]

و انعكس نشاط ظاهرة المناظرات الكلامية والفقهية، في العصر العباسي على المجالين اللغوي والأدبي العامل الذي طوّرهما مع انها لم تكن وليدة تلك الفترة .

### 3)- عناصر المناظرة:

تكتمل المناظرة باعتبارها عملية تواصلية بين طرفين أو أكثر باكتمال توفر مجموعة من العناصر الضرورية لإنجاح هذه العملية و هي: الموضوع، أطراف المناظر، المجلس، الجمهور.

#### أ)- الموضوع:

لابدّ أن يتفق طرفا المناظرة على موضوع يتناظران فيه، و لا تكتمل المناظرة إذا تكلم أحد طرفيها في موضوع ما، و تكلم الطرف الآخر في موضوع يخالف الموضوع الأول.

و وحدة الموضوع ضرورية لإضفاء خاصية الموضوعية عليها، و في التراث العربي الإسلامي كان الموضوع يُتفق عليه من الطرفين، أو يقترحه غيرهما كالخليفة، أو الوزير « أو سواها فيكون ذلك الموضوع مدار الحجج التي تتقارع، والآراء التي تتضارع، و يستحضر في أثناء تلك المقارعة

[1]- رحيم جبر أحمد الحسناوي، **المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية**، ص: 46.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 49.

وذلك الصراع كل ما له علاقة بالموضوع، لأن الغاية الإلمام بكل أطرافه وقتله بحثا والكشف عن المقدرة في ذلك وربما حدد الموضوع بسؤال يثار في مفتتح المناظرة من أحد طرفيها، و عادة ما يتفق على البادئ بالسؤال كأن يقول المناظر لصاحبه: تسألني أم أسألك، والسؤال يكون مفتاحا لموضوع المناظرة، و قد يحدد في ضوء ما اشتهر به أحد طرفيها من علم وتخصص.»[1]

والمدة الزمنية للمناظرة تكون تبعا لطبيعة موضوعها، إضافة إلى مقدرة طرفيها على الاستمرار في ايصال الحجج، وبحسب مجال المناظرة كذلك وغالبا ما يكون المجال الديني أطول مجالاتها، وقد تكون المناظرة بدافع التعصب لمذهب معين، أو تكون بدافع علمي خالص، و شهد العصر العباسي ازدهارا كبيرا في هذا المجال، بحكم المناخ العام الذي كان سائدا آنذاك .

**ب)- طرفا المناظرة:**

وغالبا ما يكون طرفا المناظرة شخصين لكل منهما رأي أو مذهب ، أو يمثلان فئتين جمعهما خلاف، أو عالمين أو أديبين جمعهما سبيل العلم والأدب، أو كان ذلك بدعوة من خليفة أو وزير فيتناظرا،كما حصل في مجالس الخلفاء الأمويين، والعباسيين من بعدهم، كما أنّ التكافؤ بين طرفي المناظرة أمر بالغ الأهمية في هذه العلمية.[2]

و قد تسبق المناظرات مراسلات بين طرفيها، والتي تتضمن تهديد و وعيد بما يشبه الحرب النفسية، كما قال بديع الزمان للخوارزمي في إحدى رسائله: « إنّ الناس على الأسد أكثرهم رؤية له، و قد قال بعض أصحابنا: قلت لفلان لا تناظر فلانا فإنه يغلبك فقال: أمثلي يغلب وعندي دفتر مجلد، و وجدنا عندنا دفاتر مجلدة وأجزاء موجودة ...».[3]

وغالبا ما يختار البارز في مجال معين ليمثل نزعة مذهبية ما، أو نزعة لغوية، أو فلسفية، كون أطراف المناظرة لا يمثلون أنفسهم، بل يمثلون مذاهبهم ومدافعين عنها.

---

[1]-**المرجع السابق**، ص: 55.

[2]- **المرجع نفسه** ، ص: 57، 59.

[3]-إبراهيم الأحدب الطرابلسي، **كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان**، ص: 38. نقلا عن رحيم جبر أحمد الحسناوي، **المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية**، ص: 60.

و مما لا شك فيه أنّ هذا السلوك الذي انتهجه العلماء في مجالات مختلفة، وبرعاية الخلفاء والوزراء في أحيان عدة، أدى دورا بارزا في تفعيل وتيرة العلوم، والمعارف في الحضارة العربية الإسلامية. والدرس اللغوي استفاد من هذه المناظرات التي كانت تقام بين اللغويين الذين يمثلون مذاهب مختلفة، ما شجّع على استمرار التنافس بينهما الشيء الذي انعكس إيجابا على تطور الدرس اللغوي بشكل عام.

**ت)- الجمهور والمجلس في المناظرة :**

بعد عرض، موضوع المناظرة وما يتعلق بذلك، وأطراف المناظرة وما يتصل بهما ، وقبل المباشرة في الحديث عن ركن ثالث من أركانها، والمتمثل في الجمهور والمجلس، أرى أنه لا مانع من الحديث عن دور المربد في تفعيل هذه العملية الذي افتخر به البصريون كثيرا، اعتبارا للدور الذي أدّاه في تنمية الجانب الثقافي واللغوي في البصرة.

ويقع "المربد"* في الجانب الغربي من مدينة البصرة وكان سوق الإبل يلتقي فيه الناس القادمون من كل أنحاء العالم العربي الإسلامي حينها، وكان الشعراء يعقدون فيه حلقات لعرض مؤلفاتهم، وإقامة مناظرات بينهم.[1]

و قال فيه الجارود بن أبي سبرة أحد الخطباء: « عليكم بالمربد فإنه يطرد الفكر ويجلو البصر و يجلب الخبر ويجمع بين ربيعة ومضر».[2]

بناء على هذه الشهادة التاريخية تتضح القيمة الاجتماعية والثقافية والعلمية لهذا الموضع الذي عرفته البصرة.

---

[1]-ينظر، التواتي بن التواتي، **المدارس النحوية**، ص: 14.

[2]-الجاحظ ،**والبيان والتبيين**، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دس، ج1: 182.

*- "المربد": هو الموضع الذي تحبس فيه الإبل و غيرها، و المربد معناه في كلام العرب محبس الإبل والغنم وغيرهما، من ذلك مربد المدينة سمي مربدا، لأنه كان محبسا للغنم ومربد البصرة سميّ مربدا ، لأنه كان سوقا للإبل، "و المِربَد "بكسر الميم وفتح الباء ، من رَبَد بالمكان إذا قام فيه، و رَبَده إذا حبسه. (لسان العرب، 171/3).

وأنشأه العرب على طرف البادية سوقاً يقضون فيه شؤونهم ويعدّ المبرد صورة معدلة لعكاظ في الجاهلية، والذي كان العرب يتناشدون فيه الأشعار و يبيعون و يشترون كذلك.[1]

وكان هذا المركز في العصر الأموي مركزا سياسياً وأدبيا نزلت فيه عائشة أم المؤمنين بعد مقتل عثمان تطالب بدمه و تؤلّب الناس على علي، كما كان مركزا للمهاجاة بين أقوى شعراء الهجاء، الفرزدق وجرير والأخطل، وكان لكل منهم حلقة ينشد فيها شعره، وحوله الناس يسمعون، وا ستمر هذا المركز في العصر العباسي على الدور نفسه.

وأُضيفَ إليه غرض آخر غير الذي كان يؤديه، حيث ظهرت العلوم تزاحم الأدب والشعر، وفشا اللحن بين الموالي الجدد الذين دخلوا في الإسلام، وأصبح بذلك المربد غرضا يقصده الشعراء لا ليتهاجوا كما كان سائدا في العهد الأموي، ولكن ليأخذوا عن الأعراب الذين نزلوا المربد الملكة الشعرية، بحذو حذوهم والسير على منوالهم، فيخرج إلى المربد بشار وأبو نوّاس وأمثالهما، كما يخرج اللغويون يأخذون عن أهله و يدوّن ما يسمعون كذلك.[2]

ومن هنا يمكن القول إنّ المربد مؤسسة ا جتماعية عملت على تنمية وتطوير الإبداع في مجالات مختلفة إضافة إلى الدور التجاري لهذا المركز.

ولخّص التواتي بن التواتي دور هذا المركز « في النقاش والجدل والاهتمام بالقضايا اللغوية والنحوية، من الأمور التي أدّت إلى زيادة الإنتاج الأدبي و إلى وجود حياة فكرية نشطة تمثل مختلف العلوم والمعارف لاسيما في مربد العصر العباسي، و قد لعب اللغويون دورا في هذه السوق».[3]

إنّ الوظيفة اللغوية لهذا المركز في الحضارة العربية الإسلامية، و باعتباره مكانا جسّد التواصل بين العرب والعجم، والبدو والحضر فعلّ التبادل المعرفي بين مكونات الحضارة العربية الإسلامية، تتجلى فيما يلي:

---

[1]-ينظر أحمد أمين، **موسوعة الحضارة الإسلامية، ضحى الإسلام**، م3: 408.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 408.

[3]-التواتي بن التواتي ،**المدارس النحوية** ،ص:16.

– أعتبر المربد آلية عملت على إبقاء التنافس واستمرار يته بين اللغويين والأدباء ومكان لعرض مؤلفاتهم العامل الذي قد يكون له أهمية بالغة في تطوير الدرس اللغوي.

– اعتبر كذلك مكان لتلقي الدرس اللغوي وتبادله بين النزعات المختلفة.

– ساعد العلماء على جمع المادة اللغوية كونه ملتقى العرب على اختلاف مواطنهم.

وبعدما أشرت لدور المربد في مسار الحركة اللغوية في التراث العربي الإسلامي، حيث كان النحويون يخرجون إليه يسمعون من أهله ما يصحح قواعدهم و يؤيد مذاهبهم.

وغالبا ما تعقد مجالس المناظرات في المساجد أو في حضرة خليفة أو وزير أو في بيت عالم، أو أديب، أو فقيه، وحتى في سوق الوراقين.

و أبرز المناظرات في التراث اللغوي جرت في المساجد،كمناظرة سيبويه والأصمعي التي وقعت في المسجد الجامع في البصرة،[1] كما جرت في مساجد الكوفة مناظرات أيضا كمناظرات الكسائي، ومناظرات الفراء قبل ا نتقالها إلى بغداد التي وقعت المناظرات في مساجدها أيضا.

أمّا حضور الجمهور في المناظرات أمر ضروري يزيد من حماسة طرفي المناظرة، و هو نوعان: عام و خاص؛ ويتشكل الخاص من العلماء المتخصصين في موضوع المناظرة، و هم رؤساء هذه الجلسات وحكامها و في غالب الأحيان هم من يعدون لها.[2] أما العامة من الجمهور فهم، « من يحضر مجلس المناظرة من أصحاب طرفيها، أو مريديهما أو أتباعهما أو تلاميذهما، يتكوكبون ويتعسكرون، ويتجيشون في المجلس ويجتمعون. بينما يتقابل المتناظران في المجلس، و ليس لأحدهما أن يتجه إلى صدر المجلس، مبتعدا عن مقعد التقابل مع مناظره».[3]

من خلال ما سبق عرضه هنا تبدو المناظرة آلية من آليات التواصل اللغوي، كان لها بالغ الأثر في تفعيل الدرس اللغوي في هذه الفترات، كما تبدو محكمة العناصر. لكن ذلك لا يعني إغفال

[1]–ينظر ،رحيم جبر أحمد الحسناوي، **المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية**، ص: 01.

[2]– **المرجع نفسه**، ص: 62، 63.

[3]– **المرجع نفسه**، ص: 62.

الجانب السلبي لها خصوصا عندما تقام هذه المناظرات بدافع التعصب للمذهب أو للجغرافية على حساب الموضوعية في الجانب العلمي.

**4)- أهم المناظرات اللغوية في العصرين العباسي الأول والثاني:**

أرى أن لا ضرورة لعرض كل المناظرات التي عرفها العصر العباسي خصوصا في الجوانب الغير اللغوية، لاسيما تلك التي عرفت شيوعا كبيرا، كالذي حدث بين المعتزلة وطوائف أخرى من المتكلمين، والشيء نفسه بالنسبة للمذاهب السياسية، وكذلك الجانب الأدبي من هذه المناظرات التي لها علاقة مباشرة بالجانب اللغوي.

وبدأت المناظرة بين اللغويين من جهة، واللغويين و المناطقة من جهة أخرى، ففي المجال اللغوي بشكل عام والنحوي على وجه الخصوص، يرى عبد العال سالم مكرم أنّ المناظرات النحوية «بدأت على يد عبد الله بن أبي إسحاق وتلاميذه فهم الذين فتحوا بابها و عدّدوا حلقاتها فكانت مصدرا بمدّ النحو العربي بالعطاء والنماء».[1]

و من أهم المناظرات التي عقدها عبد الله بن أبي إسحاق مع من عايشوه من العلماء نجد:

- مناظرته مع بلال بن أبي بردة عبد الله بن أبي إسحاق الخضرمي في حرف من حروف القرآن و هو حرف "الباء" في الآية (87) من سورة طه.

- و أقام مناظرة مع أبي عمرو في مجلس بلال بن أبي بردة في الهمزة و ناظر الفرزدق في بيت شعري أيضا، و ناظر يونس ابن حبيب في حركة الراء في "برق" في الآية القرآنية: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾[2]، هل تنصب أم تجر.[3]

و أشهر المناظرات التي عرفت ذيوعا كبيرا في زمنها، المناظرة التي وقعت بين زعماء مدرستي البصرية و الكوفية، سيبويه و الكسائي، والتي عُدّ لها مسبقا، حيث نزل سيبويه ببغداد في حضرة

---

[1]-عبد العال سالم مكرم، **الحلقة المفقودة في تاريخ النحو**، ص: 115.

[2]-**القيامة، الآية: 7.**

[3]-ينظر، عبد العال سالم مكرم، **الحلقة المفقودة في تاريخ النحو** ص: 115، 116، 117.

يحي البرمكي، الذي جمع بينه وبين الكسائي في هذه المناظرة، فلما حضر سيبويه تقدم إليه تلاميذ الكسائي، فسأله منهم الأحمر فأجاب فيها، فقال له أخطات ثم سأله ثانية وهو يجيبه ويقوله: أخطأت فقال له سيبويه هذا سوء أدب، فأقبل الفراء فقال له: إنّ في هذا الرجل حدّة وعجلة، ولكن ما تقول فيمن قال: « هؤلاء أبون و مررت بأبين؟ فكيف تقول على مثال ذلك، من وأيت أوْ أويت؟ فأجابه، فقال أعد النظر، فرفض مناظرتهما حتى حضور الكسائي، فقال له هذا الأخير: تسألني أو أسألك؟ فقال له سيبويه سل أنت، فسأله: كيف تقول: قد كنت أظن أنّ العقرب أشدّ لسعة من الزنبور، فإذا هو هي أو هو إياها؟ فقال سيبويه "فإذا هو هي" ولا يجوز النصب، و سأله كذلك عن أمثال ذلك، نحو « خرجت فإذا عبد الله القائمُ أو القائمَ، فقال له: كل ذلك بالرفع، فقال الكسائي العرب ترفع كل ذلك وتنصب، فقال يحي البرمكي؛الذي أعدّ لهذه المناظرة: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما. فأجابه الكسائي: هذه العرب ببابك، قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون ويسألون فقال يحي وجعفر: أنصفت فأُحضروا فوافقوا الكسائي، فاستكان سيبويه فأمر له يحي بعشرة آلاف درهم، فخرج إلى فارس فأقام بها حتى مات.[1]

إذا تأملنا مجريات هذه المناظرة، وبناء على ما سبق عرضه يبدو واضحا مدى طغيان أثر العصبية المذهبية في توجيه معالم هذه الجلسة، و ربما حسمت هذه المناظرة قبل بدايتها، إضافة إلى بعض الخلفيات التي كانت من وراء عقدها والسياسية أبرزها، إلا أنّ ذلك كله لا ينفي الأثر الإيجابي لها، من خلال الأثر الذي تركته في نفوس الجميع من بصريين وكوفيين العامل الذي زاد من وتيرة المنافسة بينهما، و ربما عمل ذلك على إضعاف قوة هذه المنافسة، و فُتِحَ بذلك المجال لتجانس الجهود أكثر من أيّ وقت مضى مما كان له الأثر في تجانس الجهود اللغوية لعلماء البصرة والكوفة معا.

[1]-ينظر ، ابن هشام ، **المغنى اللبيب عن كتاب الأعاريب** ، المكتبة العصرية ، بيروت ،1995 ،ج،95 ،والتواتي بن التواتي ، **المدارس النحوية** ،ص:72 .

وفيما يتعلق بالمناظرات التي جرت بين اللغويين و المناطقة فعرفت هي الأخرى انتشارا واسعا، ومرّد ذلك ازدهار حركة الترجمة، لا سيما من التراث اليوناني إلى العربية بشكل مباشر أو غير مباشر.

ومن أشهر المناظرات بين الاتجاهين تلك التي جرت بين اللغوي أبي سعد السيرافي، والفيلسوف متى بن يونس القُنّائي (ت 328هـ) وعقدت هذه الجلسة في حضرة الوزير ابن الفرات سنة 320ه للهجرة « ولأهمية ما دار في مجلسها بين عالم لغوي كبير، وفيلسوف من المناطقة كبير أيضا، من بحث عميق، ونظر دقيق في موضوعات اللغة والمنطق، كان تلخيصا للصراع بين الفكر الوافد والفكر العربي الإسلامي ومناسبة مهمة للتفاعل بينهما».[1]

وأشار عبده الراجحي في تعليقه على هذه المناظرة، أنه ينبغي أن توضع أولا في إطارها اعتبارا لما عرفته من ازدهار آنذاك، ويسيّر إلى أن ما يقدمه المتناظرون من أسئلة أو إجابات لا يدل بالضرورة على المنهج الفعلي لهم، وإن كانت المناظرة ترفض اعتبار المنطق الأداة الوحيدة الضرورية للمعرفة فإنها لا تنتهي إلى رفض الإفادة منها، بل عُدّ أبا سعيد السيرافي نفسه واحدا ممّن تشهد أعمالهم النحوية على اتصال بهذا المنطق، لكن الملفت في المناظرة هو ما أشار إليه السيرافي من اعتماد منطق أرسطو على اللغة اليونانية، و كأن دعوة متى إلى لزوم المنطق وحده دعوة إلى تعلم اليونانية.[2]

وأستخلص من المواضيع التي أشرت إليها في هذا الفصل مجتمعة،والتي عملت على تفعيل التواصل الحضاري داخل الأقاليم العربية الإسلامية خلال العصرين العباسي الأول والثاني، أدى ذلك إلى تهيئة المناخ العام الذي ساعد بشكل كبير في تفعيل عملية التواصل بين المدارس النحوية، حيث نتج عن هذا التواصل تنافس ساهم في تطوير الدرس اللغوي من داخل الحقل الجغرافي لهذه اللغة، باستحداث مدارس نحوية نتيجة لهذه العملية، وهو ما جعل فضاء تعاطي هذا الدرس اللغوي

[1]-رحيم رجب أحمد الحسناوي، **المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية**، ص: 134.

[2]-ينظر، عبد الراجحي، **النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج**، ص: 66، 68.

يتسع بشكل سريع، كما عمل هذا التواصل على توسيع حقل استعمال هذه اللغة في فترة زمنية قصيرة جدا.

# الفصـــل الثـــــاني

## التواصل الحضاري العربي الأجنبي وأثره

## في تطوير اللغة العربية

سأقف في هذا الفصل عند الدور الذي أداه التواصل الحضاري العربي الأجنبي في تطوير اللغة العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني، من جوانب عدّة أهمها:

– دور حركة الترجمة في تفعيل هذا التواصل باعتبارها آلية عمّقت التبادل المعرفي بين مختلف الثقافات لفترات زمنية متعاقبة .إضافة إلى أثرها العميق (الترجمة) في توجيه مسار النشاط المعرفي بكل أشكاله في الحضارة العربية الإسلامية.

– كما كان لتواصل العرب مع شعوب ذات ثقافات متباينة- والتي معظمها موغلة في القدم- عرفت ثراء ثقافي نتيجة لتراكم المعارف والخبرات عبر أجيال متلاحقة، وباطلاع العرب على ما أنتجته هذه الحضارات سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، وفي مجالات متنوعة، والمجال اللغوي أبرزها، حيث أنه من المفترض أنّ العرب استفادوا إلى حد ما من خبرات الشعوب التي سبقتهم في هذا المجال، حيث اعتُبر الآخر بثقافته أهم مكوّن من مكونات الثقافة العربية الإسلامية. وكان للعلاقات العربية الأجنبية بالغ الأثر في منهجة البحث اللغوي العربي، في جلّ مستوياته من جهة، ومن جهة أخرى كان لانفتاح العرب على ثقافات أجنبية وخروجهم عن الفضاء الجغرافي لشبه الجزيرة العربية، وتفرّعهم في بيئات جغرافية مختلفة عنها شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، بالغ الأثر في نمو وثراء الحقل المعجمي لهذه اللغة بنشاط ظاهرة الاقتراض من اللغة العربية وإليها بناء على ما تقتضيه حاجات المستخدمين لها على اختلاف الزمان والمكان. كما اقتضت طبيعة التطور اللغوي استحداث مصطلحات تواكب التجدد المستمر لحاجات المجتمع العربي الإسلامي في فترة عرفت تجانس أعراق وثقافات متنوعة، على عكس ما ميّز ملامح المجتمع العربي قبل مجيء العصر العباسي.

ونتج كذلك عن التواصل الحضاري العربي الأجنبي في العصرين العباسي الأول والثاني اتساع حقل استعمال اللغة العربية، الأمر الذي استدعى توسعا في تعاطي الدرس اللغوي الخاص بهذه اللغة، وكما اتسعت جغرافيتها في جميع الاتجاهات ، بناء على عوامل ساهمت في ذلك، سبق الإشارة إليها في الفصل الأول من هذا الباب.

و انتشرت ظاهرة اللحن في أوساط المستخدمين للغة العربية بشكل خطير بفضل مخالطة العرب للأعاجم وظهور مجتمعات من لغات وثقافات متباينة.مما استدعى تدخل العلماء الذين عملوا على سن قواعد تضبط استعمال هذه اللغة، وصيانتها من خطر هذه الظاهرة (اللحن).

- **اللغة العربية في ضوء التواصل الحضاري:**

في هذا الاتجاه الذي يربط حركة اللغة في إطار تنوّع العلاقات البشرية « يتعدى تطور اللغة الأ لفاظ والتعابير المولدة أو المترجمة إلى نوع من التطوير في طريقة تصوير الفكر ذاته في اللغة، فباتصال العربية بالفرس والهنود والترك والسريان واليونان وغيرهم، وباحتياجها إلى أن تصبح لغة علمية وأدبية وإدارية وفلسفية وحضارية على العموم، تخلت عن كثير من صفات الجمال البدوي النقي، وأخذت مع الدخيل والمولد كثيرا من المستعار المترجم من التعبيرات، قيادها ورقت وأصبح جمالها جمال حضارة رفيعة معقدة.»[1] فمرونة اللغة العربية جعل منها لغة تلبّي حاجات مستخدميها في أزمنة وأمكنة متباينة عن حقلها الجغرافي، وبفضل الجهود المضنية لعلمائها تمكنّت من أن تحتل الريادة وتصبح لغة الفلسفة والطب، وعلوم اللغة... من بين أهم لغات الحضارات الأكثر رقيّ بفضل إرادة المنتمين إلى حقلها، دون إغفال البعد الديني الذي كان له عظيم الأثر في تبوء اللغة العربية لهذه المكانة، وأصبحت لغة الحضارة بكل أبعادها بعدما كانت لغة يغلب على الناطقين بها طابع البداوة في شبه الجزيرة العربية. «ليست اللغة العربية في طفولتها وبداية نشأتها ، كحالها في شبابها واكتمال قوتها . وليست العربية بدعا من اللغات في هذا الجانب ، بل هي كلغات العالم مرت بأطوار متعددة . ورافقتها أحوال متباينة ، انتهت الى أن تصبح أكثر اللغات ثروة وأقدرها على النمو والاتساع والتطور. »[2]

ويرجع العامل الأساس في وضع النحو العربي في نظر "عبد القادر المهيري" إلى المشكل اللغوي الذي تضافر عاملان على وضعه:

---

[1]- حسن ظاظا، **كلام العرب من قضايا اللغة العربية**، ص: 95.

[2]- كاصد ياسر الزيدي ، **الوزن الحضاري للعربية والتحديات المستقبلية** ، مجلة التعريب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،العدد السابع ، 1999، ص: 11.

عامل اجتماعي؛ وهو اختلاط العرب بغيرهم إثر انتشار الإسلام واستقرار الفتوحات الإسلامية، وقد اقتضى ذلك أن يتخذ الناس في مختلف الأقاليم التي استحدثت فيها اللغة العربية.[1] هذا الجانب التعليمي لوضع النحو العربي، كما كان اختلاط العرب بالأعاجم الداعي المهم لوضع النحو العربي بحكم تفشي ظاهرة اللحن، فعكف علماء اللغة العربية على وضع قواعد تضبط سلامة اللغة من خطر هذه المعضلة.

أما العامل الديني فيتمثل في كون انتشار الإسلام ونشره يتطلب معرفة بالقرآن ومن ثمّ معرفة العربية ولو بمقدار،[2] إضافة القداسة المتعلقة بهذه اللغة، من منطلق أنها لغة الكتاب المقدس (القرآن).

ومع نهاية الحكم الأموي وبداية الدولة العباسية، امتد ملك العرب من الهند والصين شرقا، إلى جبال بيرانس غربا، وانبسط سلطانهم على تلك الشعوب، واستولى دينهم على الأفئدة، ولغتهم على الأ لسنة، فتعربت هذه الأمم المختلفة، وامتزجت تلك العناصر المتباينة، وسارعوا إلى تعلم اللغة والتكلم بها تقربا من الفاتح، وكسبا للرزق، وتفقها في الدين...[3] كلها عوامل عملت على تطوير الدرس اللغوي العربي، من جوانب عدة بتضافر جهود العرب، والأعاجم في سبيل خدمة هذه اللغة تحث راية الإسلام الذي ألغى الحدود الجغرافية والعرقية واعتبر الأخوة في الدين أساس العلاقات الاجتماعية، ممّا جعل غير العرب يشعرون بالمسؤولية اتجاه هذه اللغة واعتبر خدمتها يُتقرب لله عزّ وجل.

وظلت اللغة العربية طيلة العصور الإ سلامية لاسيما العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية، لغة رفيعة وظفت في مجالات عديدة استحدثت في الحضارة العربية الإسلامية، و لم يكن للعرب بها عهد من قبل. فوظفت في المجالات الدينية والثقافية والإدارية والعلمية و لم يوجد ما يهدد مكانتها في تلك المرحلة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية انطلاقا من إيمان العرب بأنّه لا يوجد بديل يضاهي اللغة العربية في العالم العربي الإسلامي حينها؛ ويفسر هذا التوجه تراجع كل لغات

---

[1]- ينظر، عبد القادر المهيري، **نظرات في التراث اللغوي العربي**، ص: 225.

[2]- **المرجع نفسه** ، ص: 226.

[3]- ينظر، أحمد حسين الزيّات، **تاريخ الأدب العربي**، دط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دس، ص: 212.

الحضارات الأخرى في الإمبراطورية الإسلامية كالقبطية واليونانية والسريانية وحتى الفارسية، كما ظن الفرس في القرون الأولى للهجرة أنّ لغتهم دونية بالمقارنة بالعربية، وتجلى ذلك في أنّ أول من وضع وصفا كاملا للغة العربية سيبويه الذي كان يتكلم الفارسية لغته الأم، ومع ذلك لا توجد أيّ إشارة للفارسية في كتاباته.[1]

وخضع المجتمع العربي الإسلامي في العصر العباسي بشكل خاص لما تخضع له المجتمعات البشرية من تغيّر الذي هو سبيل بقائها ونموها. « وأنه لشيء نادر أن نتصور مجتمعا ما مكتف بما له من وسائل حضارية وأنه لا يعي بما وراء حضارته الخاصة من احتمالات وإمكانيات حضارية أخرى.»[2] والتغيير في النظم والقيم الاجتماعية، وحداثة الوسائل المادية، يفرض على اللغة التأقلم ومسايرة ذلك التغيّر السريع في الحياة الاجتماعي بشقيها المادي والمعنوي الذي عرف انتقالا سريعا من حالة إلى أخرى غيّرت الملامح الأساسية للمجتمع العربي الإسلامي في العصرين العباسي الأول والثاني.

ونتج عن العلاقات العربية الأعجمية، والتي وسّع نطاقها الفتوحات الإسلامية آثار سلبية، وأخرى إيجابية على اللغة العربية اعتبارا لبعدها الاجتماعي، حيث تخضع لما يخضع له المجتمع من آثار والتي لا يمكن لأيّة لغة أن تسلم منها في ظل العلاقات الحضارية بين الشعوب المتباينة الثقافات واللغات. ومن الآثار السلبية التي أعثرت اللغة العربية جرّاء كثافة العلاقات العربية الأجنبية خلال المراحل الأولى للفتوحات الإسلامية نجد أنّ: « الملكة العربية قد اعتراها الفساد حتى على ألسنة أصحابها ولاسيما من تربوا في أحضان الأعاجم، وانه غدا من الصعب- إن لم نقل من المستحيل- على العرب الفاتحين أن يراقبوا لغتهم ويلقنوها كل من أقبل ومن لم يقبل على اعتناق الإسلام...».[3]

---

[1]- ينظر، كيس فرستيغ، **اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها**، تر: محمد الشرقاوي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2003، ص: 97.

[2]- محي الدين صابر، **التغيّر الحضاري وتنمية المجتمع**، ص: 71.

[3]- عبد الجليل مرتاض، **بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب**، ص: 37.

و نتج كذلك عن العلاقات العربية الأعجمية نتائج إيجابية هي من الأهمية بمكان بالنسبة لمسار البحث اللغوي العربي حيث يرجع سبب وضع النحو العربي إلى انتشار ظاهرة اللحن مما عجّل بوضع قواعد تحمي اللغة العربية من هذه الظاهرة، ومن الآثار الإيجابية كذلك: « انتشار مساحة العربية وتصارعها مع اللغات واللهجات المفتوحة وانتصارها عليها أخيرا في أيّ مكان حلت فيه، وتعرب شعوب كثيرة، وإقبال الناس من عرب وعجم إلى التأليف بها ودراستها».[1]

واحتكاك اللغات – مثل احتكاك الشعوب – ضرورة تاريخية .وكما اقترضت الشعوب مظاهر الثقافة وما قد يكون خلفها من قيم و أحكام ، تقترض المفردات التي تشير إلى تلك المظاهر وتلك القيم والأحكام . « عندما تنقل الأفكار أو النظم أو الأشياء من بلد أجنبي أو إلى أخر ، فلا أقل من أن يوجد في البلد الأخر ميل شديد إلى اقتراض الوسائل التعبيرية التي تدل على ذلك. »[2]

وثمة عوامل متعددة تؤثر في وقوع هذا الاحتكاك اللغوي ، وتحدد مداه وهي العوامل الاقتصادية والسياسية والعرقية التي تتحكم في طبيعة العلاقات الاجتماعية وفي مدى تداخلها.[3]

ومهما كانت الآثار السلبية الناجمة عن التواصل بين العرب والأعاجم على اللغة العربية إلا أنّ ذلك لا ينفي نمو وتطور الدرس اللغوي، وحقل استعمال العربي في ظل هذا التواصل المشار إليه.

---

[1]- **المرجع السابق**، ص: 37.

[2]- ستيفن أولمان ، **دور الكلمة في اللغة** ، تر : كمال محمد بشر ، القاهرة ، ص: 143.

[3]- محمد حسن عبد العزيز ،**التعريب في القديم والحديث** ، دط ،دار الفكر العربي ، القاهرة ،1990، ص:09.

## المبحث الأول: دور الترجمة والتعريب في تفعيل النشاط العلمي خلال العصرين العباسي الأول والثاني

تشكل المجتمع العربي الإسلامي في العصرين العباسي الأول والثاني من أنماط بشرية متباينة الأعراق والثقافات واللغات، وانعكس هذا التنوّع على المجتمع فتشكلت بذلك فسيفساء عملت على إعطاء المجتمع صبغة خاصة ساهمت في تفعيل حركة النشاط العلمي في الحضارة العربية الإسلامية بحكم انتعاش التبادل الثقافي بين الشعوب المختلفة الثقافات.

إنّ من ضمن العوامل الأساسية التي عملت على ثراء وتنوّع المجتمع العباسي طبيعة العلاقات التي كانت تربط أفراد هذا المجتمع .و مع توسع رقعة الفتوحات الإسلامية، وبفضل تعاليم الإسلام التي ألغت الحدود العرقية واللغوية والجغرافية في بناء العلاقات الاجتماعية، واعتبار الأخوة في الدين أساس تلك العلاقات جعل المعتنقين الجدد من غير العرب لهذا الدين يشعرون بوحدة الانتماء لهذا الحقل العقدي مما شجّع على تبادل المعارف بين مختلف الأمم في إطار واحد دون قيود تحدّ من ذلك و اعتبرت بذلك جغرافية الحضارة العربية الإسلامية ملتقى الثقافات المتعددة.

وبناء على هذه المعطيات بدت الحاجة للترجمة على اساس أنها وسيلة لتفعيل التواصل الحضاري والمغوي أكثر من ضرورة لضمان استمرارية التبادل بين الشعوب في جميع مستوياته المعرفية، ما جعل الخلفاء يولون هذا النشاط أهمية بالغة، انطلاقا من وعيهم بأهميتها في النهوض بالنشاط العلمي في الدولة العربية الإسلامية. وممّا لا يدع مجال للشك اعتبار نشاط حركة الترجمة في العصر الذهبي من تاريخ الحضارة الإسلامية، من أهم العوامل التي عملت على رقيّ هذه الحضارة في تلك الفترة من تاريخها، حيث عملت الترجمة على إحداث تطورا شاملا في مسار النشاط المعرفي العربي الإسلامي من خلال الاطلاع على ما أنتجته الحضارات التي سبقتها في ميادين متعددة، والاستعانة بذلك في بناء مجد حضارتها . « واهتم العرب بترجمة ما لم يعرفوه من

العلوم إلى لغتهم، وكان خالد بن يزيد بن معاوية أول من عنى بنقل علوم الكيمياء والطب، وفي العصر العباسي اهتم العرب بترجمة الكتب العلمية في شتى أنواع المعرفة إلى لغتهم».[1]

و لا يمكن اختصار سبب النهضة العربية الإسلامية في العصر العباسي في نشاط الترجمة من الثقافات المختلفة إلى العربية، وإنما كان ذلك عامل من بين أهم العوامل التي عملت على ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في مجالات شتى، ولعلّ ارتكاز العرب على تراثهم الذي سبق هذه الفترة من بينها أيضا. ويزيد من نهضة ورقّي الأمم على اختلاف الأزمنة والأمكنة عندما « تتصل بالأمم ذات الحضارات وتترجم ماضيها وحاضرها معا، هكذا فعل العرب المسلمون إبّان يقظتهم في عصر الإسلام الذهبي أيام بني العباس».[2] و انتقل إلى مواطن العرب عن طريق الترجمة تراث الأمم ذات الحضارات القديمة لاسيما الحضارة الفارسية، والهندية، واليونانية، وتلت حركة الترجمة مرحلة أخرى امتزجت فيها الجدّة والأصالة والابتكار كنتيجة لتجانس التراث الأعجمي الدخيل مع التراث العربي الأصيل،[3] وبفضل ذلك تبوأت الحضارة العربية الإسلامية الريادة لفترة من الزمن بناء على تراكم الجهود العلمية لعلماء من ثقافات مختلفة دون قيد لغوي أو ديني أو جغرافي.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار القيمة الحضارية لمعظم البلدان المفتوحة لاسيما في الاتجاهين الشرقي والشمالي من شبه الجزيرة العربية بالخصوص عندما « كانت البلدان المفتوحة قد شهدت ولادة حضارات مغرقة في القدم، وكانت الثقافة العربية تغتني من كل المعطيات الآتية من بلاد فارس والهند وسورية ومصر [...] وعرفت الحضارة العربية الإسلامية بفضل هذا التمازج الفكري "عصرا ذهبيا" في القرن التاسع الميلادي، بخاصة في عصر الخليفة المنصور... وقد تمّ هذا التمازج من خلال حركة هامة للترجمة احتلت فيها مدرسة حنين بن إسحاق مكانا متميزا».[4]

---

[1]- محمد عادل عبد العزيز، **الإسلام والتطور الحضاري**، ص: 270.

[2]- توفيق الطويل، **في تراثنا العربي الإسلامي**، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985، ص: 65.

[3]- **المرجع نفسه**، ص: 66.

[4]- مريم سلامة كار، **الترجمة في العصر العباسي**، تر: نجيب غزاوي، دط، وزارة الثقافة، دمشق، 1997، ص: 09.

وحظيت حركة النقل من وإلى اللغة العربي في العصرين العباسي الأول والثاني برعاية فائقة من قبل الطبقة الحاكمة، العامل الذي هيأ لها النجاح ، ففي عهد الخليفة المأمون- على سبيل المثال لا الحصر- ازدهرت الحياة العلمية بشكل عام، واتسع نطاق حركة الترجمة بفضل الاهتمام البالغ لهذا الخليفة بهذا النشاط بسعة نفقته على هذا العمل، وفي عهده أيضا عمل على تنظيم نشاط الترجمة وجعلها في إطار منظم بعدما كان ذلك لا يتجاوز الأعمال الفردية ، فأنشأ "دار الحكمة" التي خصص جناحا منها للمجمع العلمي، وأخرا للجنة الترجمة وثالثا للمكتبة.[1]

وربما كان ذلك الحلقة المهمة من مسار حركة الترجمة بانتقالها من مرحلة الترجمة الفردية الى مرحلة أخرى جُسد فيها هذا النشاط في إطار منظم تكاثفت فيه جهود مجموعة من المترجمين سواء كان هؤلاء عرب وأتقنوا لغات أخرى أم أعاجم تعلموا العربية، ونقلوا إليها علوم لغتهم الأم.

وعلى العموم ازدهرت الحياة الفكرية، في العصريين العباسي الأول والثاني بشكل كبير بسبب بروز الكثير من العلماء والأدباء والمفكرين البارزين في مختلف العلوم والآداب، والفلسفة... وانعكس تطور الترجمة على ازدهار هذه المجالات[2] من اللغات الأجنبية لاسيما الفارسية، والهندية، واليونانية إلى اللغة العربية، ونتج عن ذلك غزارة في الإنتاج العلمي في الحضارة العربية الإسلامية خلال هذه الفترة من تاريخها.

وبفضل التواصل الحضاري وانفتاح العنصر العربي على الأعجمي وإطلاع كل طرف على ثقافة الآخر، إضافة إلى الجو العام الذي هيأه الخلفاء لتعاطي المعرفة بشكلها العام، والترجمة بوجه أخص وبناء على ذلك عرفت هذه الأخيرة تطورا وانتشارا واسعا في جميع أقاليم الدولة العربية الإسلامية، وفي مجالات شتى الأمر الذي انعكس على الحياة العلمية بكل مستوياتها فنمت وتطورت، بفضل ازدهار نشاط التبادل عن طريق الترجمة واللغة العربية من ضمن هذه المستويات.

---

[1]- ينظر، محمد عادل عبد العزيز، **الإسلام والتطور الحضاري**، ص: 271.

[2]- ينظر، محمود شاكر، **موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة والحديثة**، ج1: 441.

**1)- عوامل نمو وازدهار حركة الترجمة في العصرين العباسي الأول والثاني:**

شهدت حركة الترجمة خلال هذه الفترة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية تطورا ملحوظا، وانتشارا واسعا بفضل عوامل متعددة لخصها أحمد أمين في أربع نقاط:

**1)** إنّ الخاصية الأساسية التي ميّزت المجتمع العربي في العهد الأموي طغيان طابع البداوة، بتعصب العربي في هذه المرحلة لعروبيته، و ظهرت فيه سيادة العرب على غيرهم من الأمم أوضح ظهور، و لم يعرف عن العرب في تلك المرحلة ميلهم إلى الفلسفة، بل كان تذوق الأدب العربي، والتحدث بأيام العرب ما يطغى على جلساتهم ويستهوي أذواقهم.[1]

وبمجيء العصر العباسي وامتزاج العرب بالأعاجم، أمعن المسلمون في الحضارة، وسادت العناصر الغير العربية؛ واتسعت بذلك الدولة العربية الإسلامية وتعقدت جوانب الحياة بشكلها العام باعتبار النمط الحضاري للمجتمع، وبفعل هذا الواقع بدت حاجة الدولة إلى حساب دقيق، وإلى أدوية مركبة... وبذلك تجلت ضرورة الإطلاع على علوم الأمم المختلفة، وهو ما شجع نشاط الترجمة.[2]

بناء على ما أشار إليه أحمد أمين لنا أن نتصور كيف تكون حالة الترجمة في تلك الفترة لو استمر العرب في انغلاقهم حول أنفسهم ورفضهم الانفتاح على الآخر وثقافته، وهنا يتجلى دور التواصل الحضاري في تفعيل هذا النشاط المعرفي الذي فعّل وتيرة التفاعل بين الثقافات المختلفة باعتباره آلية من آليات التواصل الحضاري.

**2)** أفرز نهاية العصر الأموي جدال ديني غير عادي، مقارنة بالمراحل الأولى لهذا العصر، حيث تجادل المسلمون في مسائل القضاء والقدر و نحوه، ورجحت عند بعضهم عقيدة الجبر، وعند آخرين عقيدة الاختيار وجعلت الجدال الديني يحتدم فيما بينهم بناءا على تلك المسائل، و لم يتوقف الجدال عند هذا الحد بل تجاوزه إلى جدال المسلمون مع النصارى واليهود، وبذلك امتد الجدل من

[1]- ينظر، أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ج1: 266.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 266.

المذاهب الإسلامية ليشمل الأديان السماوية ككل، فحمل المعتزلة لواء الدفاع عن الإسلام، واستعان اليهود والنصارى بالمنطق والفلسفة اليونانية، فإدراك المسلمون (المعتزلة) ضرورة محاربتهم بآلاتهم، فعكفوا على ترجمة الفلسفة اليونانية.[1]

**3)** ويتجلى السبب الثالث في ازدهار حركة الترجمة في العصرين العباسي الأول والثاني في أنّ اللغة العربية أصبحت اللغة الرسمية في جميع الأقاليم المفتوحة، « وفي أواخر مدة الدولة الأموية، ثبتت سلطة الإسلام على جميع الأمصار والأقطار التي دخلتها ألويته عنوة أو صلحا، أثناء المغازي والفتوح من أقصى بلاد ما وراء النهر في تركستان إلى منتهى المغرب والأندلس فعمت اللغة العربية الشريفة أهل تلك الولايات والبلدان، وغلبت على ألسنتهم الأصلية فأخذ المسلمون كلهم من أيّ جنس، أو أمة لا يستخدمون في الإنشاء والتأليف إلا لغة العرب، فابتدت وحدة الدين تستوجب أيضا وحدة اللسان والحضارة والعمران، فصار الفرس وأهل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القديمة في التمدّن الإسلامي الجديد». ومردّ هذا الفعل إحساس هؤلاء الشعوب الغير العربية، وشعورهم بمكانة لغاتهم من اللغة العربية باعتبارها اللغة المقدسة التي يعتبر خدمتها تقربا من الله، وواجب ديني لا ينبغي إغفاله، وكذلك اقتران استعمالها بالمناصب المرموقة في الدولة حينها، وهو ما جعل انتقالها مصدر رزق أيضا، وكلها عوامل شجعت نشاط الترجمة لغرض علمي وتعليمي على السواء.[2]

**4)** يتمثل ذلك في الجهود الشخصية للخلفاء وحبهم للمعرفة، في هذا العصر ويقول ابن النديم في الفهرست: « إنّ المأمون رأى في منامه كان رجلا أبيض "اللون" مكثربا حمرة، واسع الجبهة، مقرون الحاجب، اجلح الرأس، أشهل العينين، حسن الشمائل، جالس على سريره قال المأمون: وكأني بين يديه قد ملئت له هيبة فقلت: من أنت، قال: سل، قلت ما الحسن، قال: ما حسن في العقل... فكان ذلك من أوكد الأسباب في إخراج الكتب [يقصد ترجمتها]، فإنّ المأمون كان بينه

[1]- **المرجع السابق**، ص: 267.

[2]- تاريخ علم الفلك عند العرب، ص: 141، نقلا عن أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ج1: 166.

وبين ملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون، فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة، منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم...».[1] ويرى المؤرخون أنّ لهذا الموقف عظيم الأثر في مسار حركة الترجمة من وإلى اللغة العربية في العصر العباسي ،كما يرى البعض الآخر بأنّ اهتمام الخليفة المنصور بعلم الفلك جعله يشجع شخصيا على نقل المعارف في هذا المجال من الثقافات الأجنبية إلى العربية،[2] وهناك رواية أخرى ترجع ازدهار نشاط الترجمة إلى المرض الذي لازم هذا الخليفة (المنصور) ممّا جعله يقدم على جلب الأطباء من جهات غير عربية كالهند مثلا.

ويذهب أحمد أمين إلى عدم اعتبار رواية المأمون سببا في نشاط الترجمة لأنّ من المستحيل ألا يسمع المأمون باسم أرسطو حتى يأتيه في المنام،[3] ولكن ذلك لا يلغي الوظيفة الاجتماعي للميثولوجية العربية، وما قد ينجم عنها من أثر في توجيه السلوك الاجتماعي اعتبارا لمكانة المأمون في المجتمع العباسي.

**2)- نشاط حركة الترجمة وأثر ذلك في تنمية اللغة العربية:**

استفادت اللغة العربية كثيرا بخروجها من جغرافية شبه الجزيرة العربية، ولعلّ أكثر جوانب هذه الاستفادة اتساع حقل استعمالها، ممّا جعل من انتشارها في مواطن كانت تستعمل فيها لغات أخرى كالفارسية واليونانية والهندية، والقبطية، تتفوق في كثير من الأحيان على بعضها، وتحتل الصدارة في المجالات الرسمية لتلك الدول الأعجمية المفتوحة من جهة، ومن جهة أخرى أثارت ترجمة النصوص الفلسفية والعلمية إلى العربية مسألة التعبير عن مفاهيم مجردة أدخلت إلى العربية عن طريق الترجمة ولا يوجد لها مقابل في العربية في تلك المرحلة، وتمكّن المترجمون من إيجاد حلول

[1]- ابن النديم، **الفهرست**، تح: رضا تجدد، دط، طهران، 1971، ج1: 304.

[2]- مريم سلامة كار، **الترجمة في العصر العباسي**، ص: 69.

[3]- ينظر، أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ج1: 266.

مناسبة لذلك، إمّا أن تستدين اللغة العربية الألفاظ من اللغات الأجنبية، وتستخدمها كما هي منقولة حرفيا إلى اللغة العربية، أو ما أن تبدع ألفاظا جديدة استنادا إلى الاشتقاق في العربية.

ومن خلال الترجمة ابتدع المترجمون ألفاظ، ومفردات تقنية، عن طريق اشتقاق ألفاظ جديدة، أو بإعطاء مضمون خاص لألفاظ قائمة وغير مستخدمة في إطار المفردات العلمية.[1] وعن طريق الترجمة الناتجة عن عملية التواصل بين العرب وغيرهم من الأمم المختلفة اللغات، استفادت اللغة العربية بحيث « إنّ كل مصر من هذه الأمصار غذّى اللغة العربية بكلمات لم تكن تعرفها، فنباتات كل مصر وحيواناته وملابسه ونحو ذلك مما لم يكن للعرب به علم قد أخذه العرب وأدخلوه في لغتهم، وأخضعوه لأحكامها...».[2]

و لم يتوقف تأثر اللغة العربية بحركة الترجمة عند هذا الحد بل تجاوزه ليشمل الأثر الناتج عن هذه العملية بنية اللغة العربية كذلك، وهو ما ذهب إليه الأزهري ريحاني في قوله: « صاحب ترجمة النصوص الفلسفية والمنطقية اليونانية تعديل وتغيير في بنية اللغة الناقلة (اللغة العربية) أخرجها عن مقتضياتها التداولية التبليغية، وقد مس هذا التعديل وهذا التغيير، بنيتي اللغة العربية معا: الصرفية والنحوية».[3]

وتطلب ترجمة النصوص الفلسفية اليونانية –على سبيل المثال لا الحصر– من الناقل إلى اللغة العربية أن يجري على البنية الصرفية للعربية تعديلا في بعض صيغها للتعبير عن المفاهيم المنقولة التي لم يتوفر المعجم العربي على ألفاظ تناسبها أو بنى يمكن البناء على مثالها، فأدى هذا الإجراء إلى إخراج البنية الصرفية العربية في لغة الترجمة، لاسيما ولغة التأليف الفلسفي فيما بعد عن مقتضياتها التبليغية التي تقررت لدى الناطق العربي في مستنده التداولي.[4] وفيما يلي أهم التغيرات الصرفية التي تعامل بها التراجمة مع البنى الصرفية:

---

[1]– ينظر، مريم سلامةكار، **الترجمة في العصر العباسي**، ص: 76.

[2]– أحمد أمين، **موسوعة الحضارة الإسلامية ،ضحى الإسلام**، م3: 538.

[3]– الأزهري ريحاني، **النحو العربي والمنطق الأرسطي**، دط، منشورات إتحاد الكتّاب الجزائريين، 2005، ص: 76.

[4]– **المرجع نفسه**، ص: 77.

– مخالفة القاعدة الصرفية العربية التي لا تجيز تعريف أسماء الاستفهام أو حروفه ب "ال" كما تجلى في الحالات التالية: تعريف "كم" ب "ال" في "الكم"، وتعريف "كيف" ب "ال" في "الكيف".

– إلحاق النسبة بحروف الاستفهام كما في "الهلّية" بحيث ألحقت "ياء" النسبة ب "هل"، وهذه نماذج فقط من ضمن مجموعة من النماذج التي عرضها الأزهري ريحاني، والتي تنحصر معظمها في مجال التأليف الفلسفي.[1]

ويمكن القول أنّ نشاط الترجمة في العصر العباسي بشكله العام انعكس على اللغة العربية في الاتجاهين الإيجابي والسلبي معا.

**3)– طرق الترجمة ومراحلها خلال العصرين العباسي الأول والثاني:**

كانت البدايات الفعلية لحركة الترجمة عبارة عن أعمال فردية قام بها التراجمة إبّان العصر الأموي من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

وبحسب عصام الدين محمد علي فإنّ حركة الترجمة بدأت أيام خالد بن يزيد بن معاوية (ت85ه) ، ولكن البداية الفعلية لها في إطار منظم بدأت مع بداية العهد العباسي ومرت بثلاثة مراحل:

– **المرحلة الأولى:** وتبدأ من 132ه إلى 193ه، وعرفت هذه المرحلة بداية حركة نقل الكتب من التراث اليوناني الى العربية بصورة منتظمة وجدّية.[2]

ويستمر هذا الدور من خلافة أبي جعفر المنصور، حتى وفاة هارون الرشيد، ويعتبر الخليفة المنصور أول خليفة عباسي ترجمت له الكتب من اللغة العجمية إلى اللغة العربية ومن بينها "كليلة

[1]– **المرجع السابق**، ص: 79، 80.

[2]– ينظر، عصام الدين محمد علي، **بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة**، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986، ص: 04.

ودمنة"، و"السند هند"، كما ترجمت له الكتب المنطقية لأرسطو، كذلك ترجم له كتاب "المجسطي" لبطليموس وغيرها من الكتب الفلسفية من اليونانية والبهلوية.[1]

وفي عهد هذا الخليفة، وحوالي 154هـ كلف محمد إبراهيم الفزاري بترجمة كتاب في الفلك من الهندية إلى العربية، كما عنى أبو جعفر المنصور بترجمة كتب الطب، فكلف أبا يحي بن البطريق بترجمة كتب جالينوس وأبقراط، ولكنّ هذه الترجمات لم تكن دقيقة ومع مرور الوقت أعيد ترجمتها في عهد الخلفاء الرشيد والمأمون.[2] وفي هذه الفترة بذل المترجمون جهود كبيرة في ميادين النقل والترجمة، واهم ما ميّز هذه الفترة أنّ معظم هؤلاء التراجمة، والنقلة من اليهود والمسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام.[3] ومن بين المترجمين في هذا الدول الأول من مراحل الترجمة في العصر العباسي، « عبد الله بن المقفع وهو أول من اعتنى- على رأي ابن القفطي- في الملة الإسلامية بترجمة الكتب المنطقية لأبي جعفر المنصور... وترجم ابن المقفع كتب أرسطو المنطقية الثلاثة».[4]

ومن أبرز المترجمين كذلك في هذه المرحلة يوحنا بن ماسويه، وحسين بن إسحاق، فأثناء حروب الخليفة مع الدولة البيزنطية كان الخليفة يستولي على بعض المدن ويحمل ما بها من المخطوطات اليونانية وينقلها إلى بغداد.[5]

– أما المرحلة الثاني من نشاط حركة الترجمة في العصرين العباسي الأول والثاني، فتبدأ من عام 198هـ إلى غاية 300هـ. وكانت البداية من ولاية الخليفة المأمون وخلفائه المباشرين، حيث تجسدت أعمال المترجمين في شكل منظم، وتُوج ذلك بتأسيس مدرسة في بغداد، وفيها بُذلت جهود معتبرة لجعل المادة الضرورية للبحث الفلسفي والعلمي في متناول الطالب المتعلم لهذه العلوم باللغة العربية.[6]

---

[1]- **المرجع السابق**، ص: 57.

[2]- محمد عادل عبد العزيز، **الإسلام والتطور الحضاري**، ص: 270.

[3]- ينظر، موتستر ثيجل، **الترجمة وأثرها في بناء الحضارات**، ص: 99.

[4]- عصام الدين محمد علي، **بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة**، ص: 58.

[5]- محمد عادل عبد العزيز، **الإسلام والتطور الحضاري**، ص: 270.

[6]- موتستر ثيجل، **الترجمة وأثرها في بناء الحضارات**، ص: 99.

وربما سبب ازدهار نشاط الترجمة في هذه الفترة؛ هو الانتشار الكبير والواسع للعلوم التي لم تكن معهودة لدى العرب من قبل، وبعدما كانت حركة الترجمة في الدور الأول تقتصر على النقل من لغات أجنبية أخرى لغرض الإطلاع على علوم وثقافات هؤلاء فقط. وفي المرحلة الثانية من مسار الترجمة كان قد نشأ جيل يتعاطى تلك العلوم المترجمة، ما جعل دور العرب في تلك الفترة يتجاوز الاطلاع إلى المساهمة والإبداع في تلك العلوم الدخيلة.

– أما المرحلة الثالثة لحركة الترجمة فتمتدّ من بداية القرن الثالث؛ أي مع نهاية عام ثلاثمائة للهجرة حتى نهاية القرن العاشر للهجرة.[1] ومن أبرز المترجمين في هذه المرحلة نجد: ابن يونس، والذي « يذكر القفطي أنه كان ببغداد في خلافة الراضي بعد سنة ثلاثمائة وعشرون وقبل العام الثلاثون»،[2] إضافة إلى حسان بن ثابت بن قرة (ت 360هـ)، ويحيى بن عدي (ت 364هـ) وغيرهم. وغلب الجانب العلمي على الكتب المترجمة في هذه الفترة، « وكان أكثر ما يترجم من كتب في هذا الدور الكتب المنطقية والطبيعية لأرسطو، وتفسير هذه الكتب للاسكندر الأفروديسي فضلا عن بعض الكتب الهندسية والعلمية».[3]

وخلاصة القول إنّ حركة الترجمة من أنشط الحركات الفكرية في التاريخ العربي وأشملها نفسا، حيث ساهم في تفعيل هذه النشاط الدولة والأفراد على السواء، فكانت رعاية حركة الترجمة في المرحلة الأولى من نشأتها فردية ينفق عليها الأفراد من أموالهم الخاصة، وفي المرحلة الثانية عرفت رعاية رسمية في شكل منظم، حيث أخذت الدولة على عاتقها الاهتمام بهذا النشاط، فنفقت بشكل كبير من مواردها رعاية واهتماما لحركة الترجمة، الشيء الذي طورها في فترة جمعت فيها جهود التراجمة في شكل منظم.

---

[1]– ينظر، مريم سلامةكار، **الترجمة في العصر العباسي**، ص: 14.

[2]– عصام الدين محمد علي، **بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة**، ص: 62.

[3]– **المرجع نفسه**، ص: 62.

## المبحث الثاني: التواصل الحضاري العربي اليوناني وأثره في تطوير الدرس اللغوي العربي خلال العصرين العباسي الأول والثاني

بنيت العلاقات الاجتماعية في المجتمع العربي الجاهلي على أساس قبلي، مما ضيّق من نطاقها، وجعل من شكلها يتحدّد بناء على هذا العامل وفي جميع مستوياته، فغلب على العلاقات الداخلية لهذا المجتمع نوع من الركود والصراع الدائم بين المكونات القبلية المتعددة للمجتمع العربي آنذاك؛ وينبغي الإشارة هنا إلى أنّ طبيعة العلاقات التي ميّزت شبه الجزيرة العربية في المرحلة الجاهلية من تاريخ هذه الجغرافية، التي غلب عليها البعد القبلي- كما أشرت سابقا- كان لها عظيم الأثر في رسم الحدود العامة للفضاء التواصلي الداخلي لهذا المجتمع بدرجة أولى، إضافة إلى الطبيعة الجغرافية لهذه المنطقة، والتي لا تساعد على التواصل في غالب الأحيان، كان الصراع أغلب ما يجمع العرب في أيام حروبهم، والتي دام بعضها لسنوات وانعكست هذه المعطيات على جميع مستويات هذا المجتمع، وبدافع قبلي أيضا حرص العرب على تعميق التباين في المستوى اللهجي للمجتمع العربي الجاهلي.

وبمجيء الإسلام استشعر الرسول – صلى الله عليه وسلم – خطر البعد القبلي في نسج العلاقات الاجتماعية للمجتمع البشري، حيث عمل الرسول – صلى الله عليه وسلم – على إضعاف قوة هذا العامل كخطوة أولى، و أستبدل في الخطوة الثانية هذا المكون بمجموعة من المكونات التي تتحكم في بناء العلاقات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ولعلّ من أبرزها الأخوة في الدين، والاهتمام بعامل الجوار كمكون رئيسي للعلاقات الاجتماعية للمجتمع.

وبفضل هذه التغيرات التي طرأت على المجتمع العربي اعتبارا لبعدها الإسلامي، ومع توسع الفتوحات الإسلامية واستمرارها لقرون وفي أنحاء مختلفة من العالم، تجلى أثر هذه العوامل مجتمعة في نمط التفكير العام للمجتمع العربي، الشيء عمل على تعزيز فكرة حضور الآخر، وثقافته في ذهنية الإنسان العربي بعيدا عن المعطى القبلي والجغرافي واللغوي.

وبناء على هذه المعطيات أرى أن تواصل العرب مع اليونان والفرس والهنود والسريان بواسطة آليات متعددة مباشرة وغير مباشرة عزّز تبادل جوانب التأثير والتأثر بين هذه الشعوب المختلفة اللغات والثقافات، و وربما شكّل تواصل العرب مع اليونان جزء من هذه الحلقة التي اقترن وجودها بوجود البشر على هذه الأرض.

وانعكس التواصل الحضاري بين العرب واليونان على تبادل المعارف والخبرات من الجهتين، وفي هذا الحيّز من البحث سأقف عند الآثار الإيجابية لتواصل العرب مع اليونان على مستوى اللغة العربية في العصرين العباسي الأول والثاني، وهذا لا يعني عدم وجود جوانب سلبية ناتجة عن عملية التواصل من الجهتين، إلا أنني سأقتصر على الإيجابي منها على اللغة العربية .

و تجلّت الأثار الإيجابية على اللغة العربية الناتجة عن عملية تواصل العرب مع الأعاجم في نقاط عدة :

إن اللغة العربية اقتراضت العديد من الألفاظ التي اقتضت الحاجة إليها، والتي لم تكن معهودة عند العرب بفعل تغيّر النمط المعيشي للعنصر العربي بفضل الانفتاح على الآخر في مأكله ومشربه، وملبسه، وعمرانه... كانت الحاجة للتعبير عن أشياء وأدوات لم يكن للعرب بها عهد والاقتراض المعجمي سدّ تلك الحاجة.

إلى أي مدى كان تواصل العرب مع الأعاجم سبب في وضع القواعد التي تصون اللغة من خطر اللحن الذي نتج عن اختلاط العرب بغيرهم، وما أثر ذلك في تطور الدرس اللغوي العربي واكتماله.

وهل تأثر الدرس اللغوي العربي بمن سبقه في هذا المجال عند الهنود واليونان والفرس في استحاء القواعد التي تضبط لغتهم؛ وبمعنى آخر قد يكون علماء اللغة العربية تأثروا بنظرائهم من الفرس واليونان والهنود في منهجية استنباط القواعد اللغوية للعربية.

كما أنّ التواصل العربي الأعجمي وسّع من حقل استعمال اللغة العربية خلال مراحل متعاقبة من تاريخها، في أماكن كانت خاضعة لحقول لغوية غير عربية.

**1)- انتقال الثقافة اليونانية إلى الحضارة العربية بفعل التواصل الحضاري:**

كان للتواصل الحضاري بين العرب واليونان، لاسيما في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بالغ الأثر في رسم معالم الحياة الفكرية العربية إلى درجة ما،[1] وفي مجالات متعددة كالطب، وعلم الفلك، والفلسفة، والرياضيات...

ويذهب المؤرخون إلى أن تعاطي العرب للثقافة اليونانية لا تقتصر فوائده على العرب فقط، وإنما عمل العرب على إحياء هذه الثقافة وإعادة بعثها من جديد، بفضل ازدهار حركة ترجمة التراث المعرفي اليوناني في العصر العباسي بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة؛ عن طريق السريانية أو الفارسية. على العموم، « لقد وصل إلى العرب من علوم اليونان كتر لا يفنى، وثروة لا تقدر وغنى عظيم في كل ما ينتجه العقل، والعاطفة والذوق، في الفلسفة والرياضيات والفلك، في العلوم الطبيعية والطب، في الأدب، والتاريخ، في السياسة، في الفنون، لقد نفخوا في كل ذلك من روحهم وغذّوا العقول بآرائهم، وأمّدوا العلم بأفكارهم وآدابهم وعلمهم...».[2]

وشهدت حركة النقل من الثقافة اليونانية إلى العربية في الفترة العباسية، تطورا كبيرا، كما اتسعت مجالات التأثر باليونان، بفضل الجهود التي بذلت من قبل الخلافة العباسية والرعاية اللازمة لنشاط الترجمة واهتماهم البالغ بالعلم والعلماء، وكذلك حرص العنصر العربي على اكتشاف ثقافة الآخر وعلمه.

يرى عثمان موافي « أنّ البيئة العربية قبل العصر العباسي شهدت ألوانا مختلفة من التيارات الأجنبية، ولكنها لم تكن بالكثرة والنفوذ التي يمكن وصفها بهما في العصر العباسي، ذلك العصر الذي يعدّه كثير من الباحثين عصر تغلغل النفوذ الأجنبي وحضارته في المجتمع العربي الإسلامي آنذاك».[3] ومرّد هذا التطور الحاصل في العصر العباسي يعود لسببين رئيسين:

---

[1]- ينظر، الفصل الأول من الباب الأول، (نتائج التواصل الحضاري العربي اليوناني).

[2]- أحمد محمد إسماعيل أحمد الجمال، **العلوم الإنسانية، أثر ازدهار حركة الترجمة على النهضة العلمية في بغداد في عهد الدولة العباسية**، ص: 24.

[3]- عثمان موافي، **التيارات الأجنبية في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ص: 13.

– طغيان العنصر الأجنبي وتمسكه بزمام الحكم مقابل تراجع النفوذ العربي، وانتقال عاصمة الخلافة الإسلامية من دمشق إلى بغداد.

– ازدهار نشاط حركة الترجمة في شكل منظم في هذه المرحلة ، في حين كان لا يتعدى الجهود الفردية في العصر الأموي.

ومن المعلوم أنّ الفتوحات الإسلامية شملت بعض المدن التي حكمها اليونان وأسسوا فيها مراكز علمية، في شرق وغرب شبه الجزيرة العربية، "كالإسكندرية"، و"جند يسابور"، و"حرّان" مما سهّل من مهمّة الإطلاع والاستفادة من الحضارة اليونانية، «لذا فإنّ العرب كانوا وعاءا للمعرفة اليونانية ونقلوها إلى اللغة العربية، وقد ساهمت هذه الترجمة على نشر الحضارة اليونانية وإلى إثراء اللغات والعلوم، وإنّ النهضة الأوروبية مدينة للعرب في علومهم التي ابتكروها أو ترجموها أو أضافوا إليها»،[1] وبذلك لم يقتصر دور العرب على ترجمة تراث اليونان والتأثر به، بل تعدى ذلك إلى إحيائه ، وإعادة بعث الحياة فيه من جديد، و ذلك من العوامل الأساسية التي تنمّي الحضارات من خلال استعانة بعضها ببعض بحكم خاصية التراكمية للحضارة البشرية، التي تتطور بفعل تراكم جهود المكونات المختلفة للمجتمع البشري بشكله العام. يرى أنيس المقديسي أنّ اثر الحضارة اليونانية يتجلى في فرقتين من أبناء الحضارة العربية الإسلامية « فرقة اعتمدت فلاسفة اليونان، ولاسيما أرسطو، فشرحت أقوالهم وانصرفت إلى درس نظرياتهم استكشافا لأسرار الحكمة وسعيا وراء البحث العلمي، وهؤلاء هم المعروفون بالفلاسفة... وفرقة اعتمدت نظرياتهم وأساليبهم في النضال الروحي أو الكلامي وهم المتكلمون».[2]

إ نّ التواصل العربي اليوناني في العصرين العباسي الأول والثاني عرف تطورا لم يعرفه من قبل سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أ و غير مباشرة، وبفضل عدة آليات سبق الإشارة إليها، وهو ما انعكس بشكل كبير على تبادل جواب التأثير والتأثر في الجانبين.

---

[1]– فخري خليل النجار، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، ص: 161.

[2]– أنيس المقديسي، **أمراء الشعر العربي في العصر العباسي**، ص: 64، 65.

**2)- قدم الدرس اللغوي اليوناني:**

أرى أنّ الهدف من إدراج هذا الموضوع هنا قد يساعد على تناول فرضية تأثر الدرس اللغوي العربي بنظيره الأجنبي، ولا يهم دراسة هذا الموضوع لذاته.

من خلال البحث المتواضع في جدلية تأثر الدرس اللغوي العربي بنظيره الأجنبي بحكم أسبقية هذا الأخير في بعض المستويات اللغوية وقفت عند أشكال معرفي في تناول هذه المعضلة؛ تجلى ذلك في غموض تناول هذا الإشكال من حيث غياب التميّز بين وضع القواعد اللغوية في جميع مستوياتها على اعتبا ر أنها تمثل نظام يضبط التواصل اللغوي بين المنتمين لحقل لغوي ما، وبين اكتشاف وجود هذه القواعد ومنهجية استنباطها وتدوينها وفق منهجية محددة سلفا، تضمن سلامة وحسن استعمال اللغة، بناء على قواعد كانت موجودة ومستعملة، فالدرس اللغوي العربي الذي نشأ واكتمل خلال العصرين الأموي والعباسي لم يأت بقواعد لغوية جديدة، وإنّما اكتشف وجودها ودونها.

ولتوضيح هذه المسألة لا بأس أن أستحضر ظاهرة الجاذبية ودور "نيوتن" في اكتشاف وجودها وليس اكتشافها، فوجود هذه الظاهرة مقترن بضبط حركة استمرار الظواهر الكونية، ودور هذا العالم اقتصر على اكتشاف ما هو موجود، وليس هو من أوجد هذه الظاهرة فشتان بين الأمرين.

وانطلاقا من ذلك، يفترض أنّ علماء اللغة العربية استفادوا من خبرات ممّن سبقوهم في هذا المجال في نشأة واكتمال الدرس اللغوي العربي، كما كانت الاستفادة متبادلة بين الفرس، واليونان والهنود كذلك. و الدراسات اللغوية عند اليونان ومهما كان تطورها مقارنة بالدراسات اللغوية العربية، إلا أنّ وجودها أسبق بقرون من وجود الدرس اللغوي العربي. « وأما النحو في أوروبا فيبدأ مسيرته بقرون قبل الميلاد، وظهر عندهم قبل ظهور أرسطو الذي سيؤسسه منطقيا لا لسانيا».[1]

[1]- عبد الجليل مرتاض، **الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية**، ص: 98.

« غير أنّ الرواقيّين كانوا أهم فريق يوناني يلتفت بشكل عريض وعام للغوي بجميع عناصره، ومنها النحو الذي أخذ جلّ اهتمامهم ممّا جعل كثيرا من الدارسين بتاريخ الدراسات اللغوية يعلنون أنّ دراسة الرواقيّين تعدّ البداية الفعلية للدراسات النحوية العلمية على مستوى أوروبا كلها».[1]

ويتضمن كتاب "فن النحو" لثراكس ديونسيوس، والذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد، ويصف هذا الكاتب أصوات اللغة اليونانية وصرفها؛[2] ومعنى ذلك أنّ النحو العربي تأخر عن هذا التاريخ حوالي عشرة قرون كاملة، « وعلى هذا فالنحو العربي جاء متأخرا جدا عن القارتين الأسيوية والأوروبية، وهذه المرتبة المتأخرة قد جنت عليه وعلى أصحابه ضبابا من الشكوك والأوهام التي يذهب بعضها إلى أنّ النحو العربي متأثر بالنحو السرياني في إعرابه، وبالتقسيم الأرسطي للكلام في تمديده».[3]

وربما كان الدرس اللغوي المعجمي هو الآخر في الحضارات القديمة أسبق بكثير مما عرفه هذا المستوى من الدرس اللغوي العربي، والذي أكمل على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي خلال القرن الثاني الهجري، وهو ما يذهب إليه حسن ظاظا، بحيث يرى أنّ المعاجم اللغوية ظهرت منذ العصور القديمة في حضارات الشرق الأقصى- لاسيما الصين- وعرفوا هذا النوع من المعاجم وألفوا فيها، ومنها ما يرجع إلى حوالي 150 ق.م كـــ "شوو- أوان"، ومعجم آخر يعود تاريخه حوالي 330 بعد الميلاد ألفه "كو- بي- وانج" عنوانه: "يو- بيين".[4]

وعرف اليونان والرومان من بعدهم هذا النوع من المعاجم كذلك منها معجم "بوليوس- بولوكس"، وهما معجمان يونانيان.

---

[1]- **المرجع السابق**، ص: 99.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 100.

[3]- **المرجع نفسه**، ص: 101.

[4]- ينظر، حسن ظاظا، **كلام العرب من قضايا اللغة العربية**، ص: 127.

و ظهر في القرن الأول للميلاد معجم روماني بعنوان "معاني الألفاظ"، كما ألف "هزيشيوس" السكندري في القرن الرابع الميلادي معجما خصّه للهجات والتعبيرات، كما ألف أمونيوس السكندري معجما لمعاني "المشترك" من الألفاظ.[1]

أما الجانب الصوتي، فإنّ اليونان لم يسعفهم الحظ في تبوء المكانة التي اعتلاها الهنود في هذا المجال، بالرّغم من توليهم الريادة في العديد من الدراسات التي لها علاقة مباشرة باللغة كالأدب والفلسفة، والفن، إلا أنهم « طوروا الأبجدية الفينيقية ورسموا ما فات الساميين رسمه، فسجلوا الأحرف الصائتة (أ، و، ي) التي أسقطتها الأبجدية الفينيقية من الرسم، وأثبتتها الألسنة في النطق، وصنّفوا الأصوات بتقسيمها إلى مجموعتين: مجموعة الأصوات الصائتة، وهي: الضمة، والفتحة، والكسرة، والواو، والألف، والياء وأمثالها مما ليس له في العربية نظير، والمجموعة الثانية مجموعة الأصوات الصامتة، وهي القدر الأكبر من أصوات الأبجدية (ب، ج، د...)».[2] كما أنّ للأصوات في الدرس اللغوي اليوناني تصنيف آخر غير بعيد عن التقسيم الحديث، والمرتكز في التمييز بين الأصوات بناء على الصفات المشتركة بينها، ولكن « لم يفطن اليونان إلى تقسيم أصوات لغتهم إلى القسمين الرئيسيين، وهما "الأصوات المهموسة" و"الأصوات المجهورة"، كما فطن إلى ذلك الهنود والعرب».[3]

واعتبرت الإسكندرية أهم مركز علمي عرف الدراسات اللغوية اليونانية « وبعد الرواقيّين تحول مركز الدراسات النحوية إلى الإسكندرية وظهرت مدرسة نحوية كاملة في الإسكندرية خلال القرن الأول قبل الميلاد... أما في المجال المعجمي، فقد أنتجوا عدد ضخما من المعاجم وتقول دائرة المعارف البريطانية إنّ (أطونيا كوس) قد اقتبس نصوصا من 35 عملا معجميا فقدت جميعها، ولكنّ الكثير من هذه المعاجم تمّ إنتاجه في الإسكندرية».[4]وعموما وقف اليونان عند أهمية

---

[1]- ينظر، **المرجع السابق**، ص: 128.

[2]- أحمد محمد قدور، **مبادئ اللسانيات**، دط، دار الفكر، بيروت، 1996، ص: 36.

[3]- ، محمود السعران، **علم اللغة**، دط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ،دس، ص: 88.

[4]- أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، ص: 63.

الدراسات اللغوية –وخاصة الرواقيون– حيث تناولوا بصفة خاصة الدراسات الفونيتيكية والنحوية والدلالية ، بل وجهوا جلّ اهتماماتهم إلى النحو ،وانطلاقا من ذلك يرى الكثير من الباحثين أن هذه الدراسات تعدّ البدايات الحقيقية للدراسات النحوية العلمية عند علماء الغرب وغيرهم.[1]

**3)– الاقتراض المعجمي من اليونانية إلى العربية ودوره في تنمية اللغة العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني:**

نتج عن التفاعل بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارات الأجنبية أخذ وعطاء بفعل تبادل جوانب التأثير والتأثر بينهما في مستويات متعددة، والمجال اللغوي من أهمها وفي مستوى محدد من مستوياته ، و يتمثل في المستوى المعجمي. حيث تلجأ اللغات إلى اقتراض بعض الألفاظ التي لا وجود لها في حقلها، بفعل التطور الاجتماعي الذي ينعكس على اللغة، وفي بعض الأحيان يصبح الاقتراض الحل الأنسب لتلبية الحاجات اللغوية لعملية التواصل في ضوء التطور المستمر للحياة الاجتماعية والذي يستدعي حداثة الألفاظ التي تعبّر عن ما قد يطرأ من حاجات مستخدمي هذه اللغة، وينتج كذلك عن انتقال الجوانب المادية والمعنوية بين الحضارات بفعل التأثير والتأثر انتقال الألفاظ أيضا. « فالاقتباس على هذا النحو أثر طبيعي في كل لغة حية لم يحل بين أهلها وبين غيرهم من الأمم حائل يمنع ذلك الا قتباس، وليست اللغة العربية يبدع من تلك اللغات، وليست هي في جميع أدوارها التاريخية قبل الإسلام وبعده بالتي يمكّنها أن تسلم من تأثير هذا الناموس الطبيعي فيها».[2] وفي العصر العباسي عرف التواصل العربي الأجنبي كثافة لم يعرفها من قبل بفضل عوامل سبق الإشارة إليها، كما عرف المجتمع العربي نقلة نوعية في نمط حياة العنصر العربي في هذه الفترة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية إذا ما قُرنت مع ما ميّز ملامح هذا المجتمع في العصرين السابقين للعصر العباسي الأمر الذي جعل من ظاهرة الاقتراض من وإلى اللغة العربية نموا وشيوعا

[1]– ينظر ، محمود جاد الرب ، **علم اللغة نشأته وتطوره** ،ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 ،ص: 09.

[2]– عبد القادر بن مصطفى المغربي، **الاشتقاق والتعريب**، دط، مطبعة الهلال، مصر، 1908، ص: 69.

لم تعهدهما من قبل بناء على هذين العاملين، إضافة إلى عامل ثالث هو من الأهمية بمكان المتمثل في حركة الترجمة وما ميّز هذا النشاط من رعاية واهتمام من العلماء والطبقة الحاكمة كذلك.

« يعاني المجتمع في بعض مراحل تطوره من نقص في المفردات الدالة على أشياء باتت موجودة فيه ، أوفي مجتمع أخر تعرف عليه ، الأمر الذي يدفع بالمجتمع الأول إلى اقتراض الكلمات الدالة على تلك الأشياء من لغة المجتمع الثاني ، وعندما تقترض لغة كلمات من لغة أخرى فأن اللغة الأولى لا تنقل تلك الكلمات نقلا مباشرا ، ولكنها تحدث بها من التغيرات بما يتفق مع البنية اللغوية لها. »[1]

واقتبست اللغة العربية من اللغة اليونانية العديد من الألفاظ خصوصا في المجال العلمي، بناء على طبيعة العلوم المترجمة من اليونانية إلى العربية، حيث « نقلها إلى لغتنا الذين اشتغلوا في ترجمة العلوم والفنون عن لغتها الأصلية كاليونانية، لاسيما ما كان من ذلك في زمن النهضة العباسية أو المأمونية...».[2] والألفاظ المقتبسة ما اقتضاه نقل كتب العلم، والفلسفة إلى اللغة العربية في العصر العباسي من ألفاظ جديدة، بغية تلبية ما استحدث من المعاني التي لا مثيل لها في لسان العرب كالمصطلحات الطبية، والكيمياوية، والفلسفية، والطبيعية، والرياضية، والفلكية والمنطقية، وما ألحق بذلك من مصطلحات علم الكلام، والتصوف ونحوهما.[3]

ويرى جرجي زيدان أنّ التغيير أصاب اللغة العربية حتى في تراكيبها، إضافة إلى مفرداتها بفعل عملية الترجمة والنقل، في قوله: « فالتغيير الذي أصاب اللغة العربية بنقل كتب العلم، والفلسفة قسمان: أحدهما في المفردات، والآخر في التراكيب. والتغيير اللفظي إما بتنوّع الألفاظ العربية أو باقتباس ألفاظ أعجمية».[4] وممّا اقتبسه العرب من اللغة اليونانية من أسماء العقاقير –على سبيل المثال

---

[1]- مصطفى زكى التوني ، **علل التغيير اللغوي** ،حوليات كليات الأداب جامعة الكويت ،العدد الثالث عشر ،1992-1993 ، ص :55.

[2]– عبد القادر بن مصطفى المغربي، **الاشتقاق والتعريب** ، ص: 62.

[3]– ينظر، جورجي زيدان، **اللغة العربية كائن حيّ**، ص: 50.

[4]– **المرجع نفسه**، ص: 51.

لا الحصر- نجد: الافسنتين، والبقدونس، والزيزفون، والسقمونيا، والقنطاريون، والمصطكي...،[1] فكل هذه المسميات وغيرها لم تكن معهودة عند العرب قبل عملية الترجمة والتعريب.

كما أنّ للثقافة اليونانية بشكلها العام بالغ الأثر في الحياة العلمية العربية الإسلامية خلال العصر العباسي، خاصة مجالي الفلسفة والطب « وكان العرب يقتبسون الألفاظ اليونانية في كل هذه المجالات، وقد أصبح العراق في زمن الخلفاء العباسيين أهم منبع للثقافة اليونانية العلمية فنجد الألفاظ اليونانية المعربة في كل فرع من فروع العلوم الرياضية والطبية والفلسفة»،[2] ومن أهم الألفاظ المعربة عن الثقافة اليونانية نجد:

أسقف: وقال الجواليقي في تفسيره لهذه الكلمة: « أسقف النّصارى: أعجمي معرب، وقالوا "أسقف" بالتخفيف والتشديد، وبجمع أساقفة وأساقف، وقد تكلمت به العرب».[3]

ذكر الجاحظ العديد من الألفاظ المعرّبة عن اليونانية في كتابه "الحيوان"، لاسيما تلك الألفاظ التي تُعنى بالترف، أو بالأشياء المستعملة في البيت والحياة اليومية التي لم يكن للعرب بها عهد من قبل كـــــ "الفسيفساء"، وهذه اللفظة يونانية الأصل وقد عربت إلى العربية وهي بمعنى حصاة التبليط، ولفظة "أبنوس" وهو نوع من أنواع العصا،[4] واسمها اللاتيني Evenes وذكرها رفائيل نخلة في الكلمات المقترضة من اليونانية إلى العربية.[5]

يرى الجواليقي أنه « قد دخلت في اللغة العربية في العصر العباسي عشرات من الكلمات اليونانية عن طريق ترجمة الكتب في الطب والفلك والفلسفة كالقولنج والقيفال والإطريفل والسقمونيا والبلغم والماليخوليا والأسطرلاب والفلسفة والهيولي وما إلى ذلك. وهذه الكلمات من

---

[1]- **المرجع السابق** ، ص: 55.

[2]- طيبة صالح الشذر، **ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ**، دط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1998، ص: 562.

[3]- أبي منصور الجواليقي، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف العجم**، تح: ف. عبد الرحيم، ط1، دار القلم، دمشق، 1990، ص: 144.

[4]- ينظر، **المرجع السابق**، ص: 563.

[5]- ينظر، رفائيل نخلة اليسوعي، **غرائب اللغة العربية**، ط4، دار المشرق، بيروت، ص: 251.

اللغة اليونانية الكلاسيكية المدونة في الكتب وليس من لغة التخاطب، لم يرد كثير من هذه الكلمات في المعاجم».[1] و أهم الكلمات التي جاءت من اليونانية نجد:

إسطرلاب، أسطول، أسقف، إقليم، ألماس، إنجيل، أوقيانوس، بطاقة، بلغم، بيطار، ترمس، جغرافيا، درهم، رطل، زبرجد، زمرد، يجلّ، طاووس، عربون، فانوس، فلسفة، فندق، قالب، قانون، قرطاس، فرنبيط، قولنج، قيراط، كرنب، لص، ماليخوليا، موسيقى، ناموس، هيولي، ياقوت.[2]

وربما لا يتسع المقام هنا لعرض كل ما اقترضته اللغة العربية من اللغة اليونانية وليس الهدف عرض هذه الألفاظ لذاتها، وإنما الهدف هنا هو الإشارة إلى وجود ظاهرة الاقتراض من اليونانية إلى العربية، ودور ذلك في تفعيل التواصل اللغوي العربي في جميع المجالات لاسيما العلمية منها على اعتبار أنّ اللغة وسيلة من وسائل تفعيل العملية المعرفية، وبذلك يتضح الدور الذي أداه المصطلح اليوناني في تنشيط الجدال الفلسفي، باللغة العربية والذي تجلى في مسائل الفرق الكلامية التي عرفت أوج عطائها في العصر العباسي بناء على ازدهار حركة الترجمة من الثقافات المتباينة واليونانية منها على وجه الخصوص. والأمر نفسه بالنسبة لدور الاقتراض في تفعيل نشاط الفن والطب في الفترة نفسها.

### 4)- فرضية* الأثر اليوناني في نشأة النحو العربي:

يذهب علماء اللغة العربية إلى أنّ معضلة نشأة النحو العربي بشكل خاص، والدرس اللغوي العربي بشكل عام من المسائل التي كلما كان البحث في نشأتها والظروف المحيطة بها زاد المسألة غموضا، مما ينعكس بشكل مباشر على علاقة الدرس اللغوي العربي في نشأته بالدراسات اللغوية

---

[1]- أبي منصور الجواليقي، **المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، ص:.40-45

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 56.

*- إنّ الفرضية العربية كالفرضية اليونانية، نظرية في تفسير أصول النحو العربي، وبما أنّ كل تفسير تأويل لابدّ من الاستناد إلى وقائع تاريخية معلومة (النصوص) ، وغياب هذه النصوص وهذه الوقائع هو ما يثبت سمة الفرضية، على أيّة نظرية تقدم في أصول النحو العربي، سواء تلك التي تقول بالتأثير الأجنبي، أو القائلة بالأصالة العربية. الأزهري ريحاني، (النحو العربي والمنطق الأرسطي، ص: 40)

في الثقافات الأخرى، و من خلال البحث في هذه المسألة لا أقرّ بصحة رأي ما على حساب آخر، وإنما يقتصر دوري على عرض أهم الآراء التي تقول بتأثر الدرس اللغوي العربي بالدراسات اللغوية السابقة له والآراء المخالفة لذلك وتتلخص هذه الآراء فيما يلي:

**1)** « وجود تأثير يوناني مباشر على النحو العربي منذ نشأته.

**2)** وجود تأثير يوناني غير مباشر- عن طريق السريان- على النحو العربي منذ نشأته.

**3)** وجود تأثير يوناني- سواء كان مباشرا أو غير مباشر- على النحو العربي في مرحلة متأخرة لا تشمل مرحلة النشأة.

**4)** نفي التأثير اليوناني كلية».[1]

وفيما يلي عرض لأهم هذه الآراء التي سبق ذكرها، و يمكن حصرها في اتجاهين: اتجاه يرى بتأثر النحو العربي والدراسات اللغوية بشكل عام بالدرس اللغوي اليوناني، أو المنطق الأرسطي، ويمثل هذا الاتجاه بعض المستشرقون وبعض أتباعهم من العرب « ممّن نادوا بالتأثيرات الخارجية في نشأة النحو العربي، ذهبوا يلتمسون أوجه الشبه بين مدلولات المصطلحات اليونانية، أو السريانية، فرأوا مثلا: أنّ اليونان استخدموا مفهوم القياس، وهو مفهوم وارد لدى لغوي العرب القدامى، فاستنتجوا من هذا، وأشباهه أنّ العرب قد أخذوا عن اليونان...».[2]

ويذهب أنيس فريحة إلى أنّ تقسيم العرب الكلام إلى ثلاثة أقسام ليس عربي الأصل، « قسم نحويو العرب الكلمة من حيث المعنى إلى ثلاثة أقسام: اسم؛ ويدل على ذات أو شيء غير مقترن بزمن، وفعل يدل على حركة أو حدث أو فعل مقترن بزمن، وحرف (والكوفة سمته أداة) وهو للدلالة على علاقة . إنّ هذا التقسيم إغريقي، كان الفلاسفة اليونان يعنون بتفسير الوجود، قالوا أنه يتألف من ذوات أو أشياء (وهي الاسم) وحركات أو أفعال (وهي الفعل) وعلاقة (فهي الأداة)

[1]- الأزهري ريحاني، **النحو العربي والمنطق الأرسطي**، ص: 40.

[2]- إسماعيل احمد عمايرة، **المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية**، ص: 46.

هذا تفكير فلسفي..».[1] لكنّ أنيس فريحة لم يوضح كيف تبنى العرب هذا التقسيم الثلاثي للكلام من حيث الطريقة التي انتقل بها هذا التقسيم أو الإطا ر الزماني والمكاني لاقتباس هذه المعلومة.

وفي المسألة نفسها يقول أحمد أمين: « وتقرأ كتاب سيبويه فتجد ترتيبا وتبويبا منطقيا يبدأ بتقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف ثم يعرّف كل قسم ويأتي بأمثلة ويذكر أحكامه، ومن ذلك أنّ أرسطو قال: إنّ الزمان والمكان كالوعاء للأشياء... وهذا أصل تسمية النحويين للمفعول فيه، أي ظرفا، أي وعاء».[2] وبحسب أحمد أمين فإنّ « مقدمة في النحو» لابن فارس ألف على منوال المقدمة أو المدخل في المنطق لإيساغوجي اليوناني. ويذهب إلى أكثر من ذلك في إقراره لأثر المنطق اليوناني في العلوم العربية بشكل عام في قوله:

« هذا القياس الذي شغل جزءا كبيرا من منطق أرسطو طبق تطبيقا دقيقا، ورعي في كثير من العلوم، فالقياس في الفقه وأصوله، والقياس في النحو واللغة... وكان لهذا القياس أثر كبير في تفريع المسائل وتنويعها، ووضع المسائل المتشابهة تحت قاعدة واحدة... سواء في ذلك الفقه والنحو واللغة، وكان لهذا كله أثر في تضخيم العلم وترتيبه وتبويبه».[3] إذا تأملنا في هذه المقولة يتضح لنا أنّ احمد أمين يرجع الفضل كله في نشأة العلوم العربية بشكل عام، واللغة والنحو بشكل خاص، للمنطق اليو ناني؛ أي أنّ القياس أدّى بالغ الأهمية في تطوير هذه العلوم، بشقيها الكمي والنوعي، في إشارة منه إلى أنّ القياس هو من عمل على تفريع المسائل وتنويعها، ووضع المسائل المتشابهة تحت قاعدة واحدة، كما كان له الأثر في تضخيم العلم وترتيبه وتبويبه في المراحل الأولى من نشأته.

ويذهب طلال علامة في الاتجاه نفسه حيث يرى « أنّ الدارس المدقق لعملية تطور النحو يلاحظ فيها تأثرا ملحوظا بالفلسفة، والعلوم العقلية الدخيلة بعد أن انتحى العلماء- بعد تعرّفهم على الفلسفة الإغريقية- منحى التأثر بها، وبالمنطق الأرسطي، وبذلك برزت إلى الوجود تعابير جديدة لم يكن لها وجود في دنيا العربية أيام الدؤلي، والروّاد الأوائل، ومنها: العلّة، والمعلول،

---

[1]- أنيس فريحة، **نظريات في اللغة**، ط2، دار الكتب اللساني، بيروت، 1981، ص: 139.

[2]- محاضرات الأستاذ جويدي ،ص:85. نقلا عن احمد أمين ، **موسوعة الحضارة الإسلامية، ضحى الإسلام**، م2: 231.

[3]- **المرجع نفسه** ، ص: 232.

والعامل، والمعمول، والقياس، واجتماع النقيضين، والحلقة المفرغة، وهذه الألفاظ مجتمعة، وكما لا يخفى ليست من النحو العربي في شيء، ولا تمت إلى العمل بصلة بتاتا، وإنما هي من معطيات الفلسفة، وبحوثها».[1] ويشير كذلك إلى أنّ النحو العربي، وإن لم يختلط بالفلسفة، والمنطق اختلاطا مباشرا، إلا أنه تأثر بمناهجهما والاستدلال بهما و ذلك عبر دراسة المتكلمين لها، واستخدامهما في الدفاع عن آرائهم، وسار النحاة على خطاهم، وهو ما انعكس على الدراسات النحوية من خلال تأثره (النحو) في مصطلحا ته وأصوله و تسمياته بالفلسفة اليونانية.[2]

إنّ الملاحظ هنا هو غياب تحديد الفترة الزمنية لأثر الفلسفة والمنطق اليونانيين في النحو العربي بتلك الضخامة التي أشار إليها طلال علامة، مما قد يقلل من مصداقية هذا الحكم من خلال ربطه لأهم معالم النحو العربي بالمنطق اليوناني.

ويتفق أحمد جميل شامي إلى حد ما مع ما ذهب إليه أحمد أمين وطلال علامة، في إثبات الأثر اليوناني في البحوث اللغوية العربية بشكل عام، و النحو العربي بوجه خاص في قوله: « لا ننسى أنّ عدوى التفكير الأرسطي طاليسي الذي يخلط بين الدراسات اللغوية، والدراسات المنطقية، والميتافيزيقية قد انتقل إلى اللغة العربية ودراساتها، وبخاصة دراسات أصل اللغة والدراسات النحوية على إستراتيجية اللغة اليونانية إلى العربية عن طريق السريان...».[3]

ويظهر أثر المنطق اليوناني في النحو العربي واضحا من خلال المقولات العشر، وتطبيقها في التفكير النحوي العام، حيث نظر النحاة إلى اللغة نظرهم إلى الأشياء والمحسوسات، وجعلوا بذلك الكلمة جوهرا، كما جعلوا للمادة كذلك، وذهبوا إلى أنّ جوهر الكلمة لا يتغير إلا بإعلال أو إبدال.[4] ذكر أحمد مختار عمر أنّ إبراهيم بيومي مذكور من أشدّ المتحمسين لإثبات التأثير اليوناني في النحو العربي من جانبين: أحدهما موضوعي والآخر منهجي، ويمثل الموضوعي بالتقسيم الثلاثي

---

[1]- طلال علامة، **تطور النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة**، ص: 34.

[2]- ينظر: **المرجع نفسه**، ص: 38.

[3]- أحمد جميل شامي، **النحو العربي قضايا ومراحل تطوره**، ص: 47.

[4]- **المرجع نفسه**، ص: 47.

لأرسطو للكلام، أما المنهجي فيتمثل في القياس والعلة والعامل.[1] « فإن الحجة القوية على الاتصال بين الاتجاه الهيليني / اليوناني السائد في الشرق الأوسط وبين الجهود المبكرة في وصف اللغة العربية هي التشابه في جدول التصريفات المستخدمة في تصنيف الاسم والفعل في كلا الاتجاهين. »[2]

كما يرى عبده الراجحي أنّ النحو العربي كانت له صلة وثيقة بعلمي الكلام والأصول، وكانت هذه العلوم الثلاثة أكثر العلوم تبادلا للتأثير والتأثر، وظهرت هذه التأثرات الكلامية في النحو في فترة مبكرة عند سيبويه،[3] ولا يخفى على الجميع ما لعلم الكلام من علاقة بالمنطق الأرسطي. على أية حال لست مضطرا هنا لدراسة كل ما يتعلق بهذه الجدلية المعقدة- بحسب ما يبدو لي- وإنما يقتصر دوري على عرض الآراء التي تثبت فكرة تأثر الدرس اللغوي العربي بنظيره اليوناني، والآراء التي تنفي ذلك؛ لأنّ البحث في كل تفاصيل هذه المسألة (علاقة النحو العربي بالمنطق الأرسطي) ، قد لا يستوعبه هذا الحيّز من البحث.

**5)- نفي فرضية الأثر اليوناني في نشأة النحو العربي:**

يجمع الكثير من علماء اللغة على أنّ المرحلة التي قد يكون فيها للمنطق الأرسطي أثر على اللغة العربية، هي المرحلة التي تمتد من نهاية القرن الثالث إلى بداية القرن الرابع الهجريين، وفي هذه المرحلة عرف الدرس اللغوي العربي بشكل عام والنحوي منه على وجه أخص مرحلة النضج والاكتمال، مما جعل الكثير من المهتمين بتاريخ اللغة العربية ينفون الأثر اليوناني في نشأة الدرس اللغوي العربي.

ذكر ريحاني الأزهري أنّ المستشرق "م.س. كارتر" كتب بحثا في سنة 1972 عنوانه "أصول النحو العربي"، اقترح فيه تفسيرا جديدا لأصل النحو العربي بدل الفرضية اليونانية، التي لا تستطيع أن تقدم دليلا أو شهادة واحدة على استعارة النحو العربي منهجه ومفاهيمه من المنطق اليوناني، بل

---

[1]- ينظر، أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، ص: 351.

[2]- كيس فرشتيج ، **أصل الاصطلاح النحوي العربي** ، تر عبد المنعم السيد جدامي ، منتصر أمين عبد الرحيم ،مجلة مصطلحيات ، جامعة فاس ، المغرب ، عدد مزدوج:4-5 ،2013 ، ص:141.

[3]- ينظر، عبده الراجحي، **النحو العربي والدرس الحديث**، ص: 17.

تعجز حتى على إثبات وجود الاتصال المزعوم الذي وقع في فترة أو أخرى بين النحاة العرب والسريان، في وقت كان فيه العرب- كما يقول "كارتر"- مستعدّين للاعتراف بالتأثير الأجنبي إن كانوا متأكدين من ذلك ويرجع هذا المستشرق نشأة النحو العربي إلى الجو العام الذي ساد تلك المرحلة واستمد منهجه من العلوم الفقهية والقانونية آنذاك.[1]

ويبدو موقف عبد الجليل مرتاض واضحا من هذه المسألة، وفي فضاءات متباينة من مؤلفاته، حيث يذهب إلى عدم تأثر النحو العربي في نشأته بالمنطق اليوناني في قوله: « إنّ من يتصفح المصطلحات التي استعملها الرعيل الأول من النحويين العرب المتقدمين، والتي سجلها سيبويه بعد و فاة الخليل لا دخل فيها من المصطلح الأجنبي، بل حتى بعض المصطلحات الأرسطية المترجمة في فترة متأخرة لا تقل عن قرن من الزمن عن تأسيس علوم لغوية كانت قد استوت وازدهرت وتطورت تطورا مؤسسا من الداخل لم يعد في أدنى حاجة إلى إسقاط مصطلحات لسانية أجنبية على ما كان قد صنع من مصطلحات لسانية أصيلة في اشتقاقاتها».[2]يضيف قائلا: «حتى هذه المصطلحات الأرسطية المترجمة في فترة لاحقة إلى العربية لم تضف شيئا جوهريا إلى المصطلح اللساني العربي».[3] و تعقيبا منه على ما ذهب إليه المستشرق البريطاني (أوليري)، الذي زعم تأثر الدؤلي بمنطق أرسطو، قال أيضا: « غير أنّ ما لم نهضمه من كلام هذا المستشرق الولوع بالدراسات العربية والمشهور بالاعتراف بفضائل الآخرين قوله: "ويبدو أنه في عمله [أبو الأسود الدؤلي] قد تأثر بمنطق أرسطو و لم يتأثر بالنحاة الإغريق"، إذ كيف يكون أبو الأسود قد اطلع على المنطق الأرسطي ولا يكون قد علم شيئا عن النحو الإغريقي... ».[4] من خلال هذه الآراء أرى أنّ عبد الجليل مرتاض ركّز كثيرا على المصطلح النحوي في معالجته لهذه المسألة، واعتبر أنّ مصطلح "النحو" عربي الأصل، بينما ذهب إبراهيم بيومي إلى تأثر المصطلح النحوي، ومنهجه أيضا بالمنطق

---

[1]- ريحاني الأزهري، **النحو العربي والمنطق الأرسطي**، ص: 41، 42.

[2]- عبد الجليل مرتاض، **في رحاب اللغة العربية**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص: 19.

[3]- **المرجع نفسه**، ص: 19.

[4]- عبد الجليل مرتاض، **الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية**، ص: 112، 113.

اليوناني. وينفي علي أبو المكارم أيضا تأثر الدرس النحوي العربي بالمنطق اليوناني استنادا إلى تماثل الأسس التي أنبنى عليها تقسيم "الكلمة" و"الكلام" في اللغة العربية مع ما يقابلها في اللغة الإغريقية أو الفلسفة اليونانية. ويرى أنّ ذلك يعتبر « تجاوز لا سبيل إلى إقراره، فإنّ التشابه في الحقائق العلمية لا يسلم إلى القول بالتأثر بالضرورة؛ فإنّ دراسة التأثير والتأثر أكثر تعقيد وأعمق خطرا من أن تعتمد على مجرد التشابه وحده...».[1] يذهب عبد العال سالم مكرم إلى ابعد من ذلك في إثبات أصالة النحو العربي حيث يرى أنّ نشأة النحو مرتبطة بالمعارف السابقة للعرب في الجاهلية وفي العصر الإسلامي، وبخاصة في مجالي القراءة والكتابة، والتي ارتبطت بالضوابط الإعرابية من رفع ونصب وجر وجزم، لأنه لا يمكن أن يحدث تعليم القراءة أو الكتابة بعيدا عن منطق اللغة، وسلامة تراكيبها.[2]

ويذهب أحمد مختار عمر كذلك إلى نفي وقوع النحو العربي تحت سيطرة الفلسفة اليونانية، لأنّ مجرد التشابه في تقسيم الكلام، أو في بعض المصطلحات لا ينهض دليلا لإثبات هذه الدعوة البعيدة عن الموضوعية.[3]

ومهما اختلفت الآراء الخاصة بعلاقة النحو العربي بالمنطق الأرسطي، إلا أنّ ذلك لا ينفي الأثر الإيجابي الناتج عن تواصل العرب مع اليونان في العصر العباسي على اللغة العربية، حيث استفادة العربية من بعض المصطلحات اليونانية، وكذلك احتلال اللغة العربية لمواقع كانت تحت سيطرة اليونانية.

---

[1]- علي أبو المكارم، **المدخل إلى دراسة النحو العربي**، ص: 78.

[2]- ينظر، عبد العال سالم مكرم، **الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي**، ص: 11.

[3]- ينظر، أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، ص: 352.

## المبحث الثالث: التواصل الحضار ي العربي الفارسي وأثره في تطوير اللغة العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني:

يعتبر العنصر الفارسي بثقافة مكونا هاما من مكونات الحضارة العربية الإسلامية، لاسيما في العصر العباسي عندما تولى العباسيون الحكم، وكان لانتقال الخلافة الإسلامية من دمشق بغداد الأثر البالغ في إضفاء ملامح جديدة على الحضارة العربية الإسلامية في جلّ مستوياتها. و البارز في هذا التغيّر الذي عرفته الحضارة العربية الإسلامية بتولي الفرس لزمام الحكم في الفترة العباسية تلوّن الدولة العربية بلون إسلامي، ونهاية نظام حكم قائم على أساس التعصب لعرق معين، العامل الذي هيأ الظروف لمجتمع متنوع ذابت فيه كل التباينات الجغرافية، والعرقية، واللغوية، وأصبحت المشاركة في الدين أهم ما يجمع مكونات الدولة العربية الإسلامية. وهذا لا يعني غياب الشعوبية التي عرفت تزايدا ملحوظا في هذه الفترة. وبناء على ذلك استطاع الفرس أن يندمجوا بشكل كلي في الحضارة العربية الإسلامية.

ونتج عن الشعور بالانتماء الإسلامي للعنصر الفارسي سرعة في نقل وترجمة معارف وخبرات هذه الأمة إلى اللغة العربية، وبذلك اعتُبرت الثقافة الفارسية رافدا مهما من روافد الحضارة العربية الإسلامية، وسببا من أهم الأسباب التي عملت على رقي وتطور الحياة العلمية بمختلف أشكالها في الحضارة العربية الإسلامية في الفترة الممتدة من 132 إلى غاية 334 للهجرة.

### 1)- انتقال الثقافة الفارسية إلى المجتمع العربي بفعل التواصل خلال العصر العباسي:

سبق الإشارة إلى أهم آليات التواصل العربي الفارسي في الفصل الثاني من الباب الأول، وبفعل هذه الجسور انتقلت الثقافة الفارسية إلى الحضارة العربية الإسلامية، بدرجة لم تعرفها حضارة أخرى... وربما يكمن السبب من وراء ذلك أنّ الثقافة الفارسية اندمجت في الحضارة العربية الإسلامية جغرافيا ومعنويا وشملتها الدولة العربية بشكل كلي في هذه الفترة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بخلاف الحضارة اليونانية، والهندية اللتان تواصلتا مع الحضارة العربية الإسلامية

بواسطة آليات ربطت بينهما جغرافيا. وانتشرت الثقافة الفارسية في أوساط الدولة الإسلامية في العصر العباسي انتشارا واسعا وساعد على هذا الانتشار عاملان:

استحداث مناصب الوزارة، وإسنادها في غالب الأحيان إلى الفرس، وانتقال عاصمة الخلافة الإسلامية من دمشق[1] إلى بغداد، وكان أكثر الوزراء في هذه الفترة فرسا، وحظيّ هؤلاء بمكانة خاصة في الدولة، حيث كان الوزير قائما مقام الخليفة في كل الشؤون الحربية منها، والمالية.[2] و المكانة التي احتلها العنصر الفارسي جعلت نفوذه يتعاظم أكثر مما سهّل انتشار الثقافة الفارسية في كل مستويات الدولة العربية الإسلامية من جهة، ومن جهة أخرى شعور الفرس بمسؤولياتهم اتجاه الدين الإسلامي كغيرهم من العرب، جعلهم ينقلون كل ما لديهم من خبرات ومعارف تساعد على خدمة هذا الدين. وانطلاقا من ذلك بلغ تأثر العرب بالثقافة الفارسية درجة لم يبلغها تأثرهم بغيرها، حيث « كانوا أكثر تأثرا بالثقافة الفارسية منه بالثقافة اليونانية، فقد ذابت دولة الفرس في الدولة الإسلامية وكانت حياة الفرس الاجتماعية تحت أعين العرب يعرفون عنها الكثير، فاستطاعوا أن يتذوقوا شيئا من ثقافتهم، أما الحياة اليونانية فكانت بعيدة كل البعد عن معيشة العرب».[3]

وتجلى الأثر الفارسي في العمارة الإسلامي العربية بكل وضوح، « لما انتقل مركز الخلافة الإسلامية من دمشق إلى بغداد أثر الفن الفارسي الإسلامي تأثيرا كبيرا، وقد كان للخلفاء العباسيين والأمراء والولاة وكبار رجال الدولة ولوع شديد ببناء القصور الفخمة، وقد أصبحت هذه القصور في العصر العباسي الأول محلات بالرسم، والزخارف من الداخل والخارج، وعليها صور من الجص

---

[1]- لم تكن دمشق صالحة لأن تكون حاضرة للخلافة العباسية لأسباب عديدة أهمها: بعد دمشق عن بلاد الفرس مصدر قوة العباسيين، إضافة إلى أنّ العباسيين لم تكن لهم عصبية العرب ليعتمدوا على العنصر العربي في الحكم، وإنما قامت قوتهم على الموالي من الفرس وغيرهم من الأمم الأخرى، كما أنّ دمشق مقر إقامة بنو أمية، وأنّ قرب دمشق من حدود الدولة البيزنطية بات يشكل خطرا حقيقيا عليها. (حسين حاج حسين، حضارة العرب في العصر العباسي، ص: 155).

[2]- ينظر، أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ج1: 166.

[3]- علي حسن الخريوطلي، **الحضارة العربية الإسلامية**، ص: 256.

المجسم... التي كانت من مميزات الفن الفارسي»،[1] ويرجع سبب شيوع الثقافة الفارسية في المجتمع العربي في العصر العباسي كون الفرس كانوا منذ القدم أهل علم وأدب يتناسبان مع ضخامة ملكهم وعظم سلطانهم، فلما جاءت الدولة العباسية وكثير من رعيتها من الفرس أخذ المثقفون منهم ينقلون إلى العربية تراث آبائهم وما حفظته العصور إلى عهدهم...[2] و أشرت هنا فقط إلى وجود الأثر الفارسي على العرب جراء التواصل فيما بينهم، وشمل الأثر جوانب عدة لم يعرفها العربي كالعمارة، وبعض أنواع المآكل والملبس، واللهو... كلها مجالات ألقت بظلالها على اللغة العربية وهو ما سأقف عنده لاحقا.

## 2)- تطور فن الكتابة العربية بفعل التواصل مع الفرس خلال العصرين العباسي الأول والثاني:

إنّ تطور الكتابة العربية انعكس بشكل مباشر على تطور جميع العلوم والمعارف في الحضارة العربية الإسلامية، حتى اللغة العربية عرفت انتشارا واسعا ، وتطوّر درسها اللغوي بانتقالها من مرحلة المشافهة إلى الكتابة، وبفعل التواصلات اللغوية الكتابية عرفت الحضارة العربية الإسلامية ازدهارا كبيرا شمل مختلف ميادين المعرفة، في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي. و اعتُبر انفتاح العرب على الثقافة الفارسية من الروافد المهمة التي عملت على تطوير الكتابة العربية بحكم ما بلغه الفرس من رقي في هذا المجال.

شهدت هذه المرحلة (العصر العباسي) أحداثا جديدة كان لها الدور البارز في تطوير الكتابة العربية، واختيار ألفاظها ومن بين أسباب هذا التطور أثر الفتوحات الإسلامية، وما صاحبها من استقرار في هذه الفترة، وبذلك عرفت الحضارة العربية الإسلامية رقيا كبيرا في شتى مجالات المعرفة بعد ما كانت مقتصرة على علوم القرآن والسنة وما يتصل بهما.[3] وبفعل الانفتاح على الثقافات

[1]- حسين حاج حسين، **حضارة العرب في العصر العباسي**، ص: 154.

[2]- ينظر، توفيق الطويل، **في تراثنا العربي الإسلامي**، ص: 71.

[3]- حسين حاج حسين، **حضارة العرب في العصر العباسي**، ص: 142.

الأجنبية، تكونت ثقافة جديدة مزجت بين مختلف الخبرات الناتجة عن عملية التواصل الحضاري، « وبذلك تحررت الكتابة العربية من الجمود والقيود، وتجلى هذا الانتعاش في وسائل الخلفاء والوزراء وكبار الكتّاب».[1] وفي العصر العباسي اختير أغلب الوزراء من الفرس بحكم إتقانهم لفن الكتابة والإلمام بشروط هذه الوظيفة، والتي تطور نشاطها في هذه الفترة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وهو ما ذهب إليه أحمد أمين في قوله: « وهذه القدرة الكتابية التي كان يشترطها الخلفاء في الوزير، كانت من أكبر الأسباب في قصر الوزارة على الفرس- غالبا- فالعرب كانوا أهل فصاحة لسانية أكثر منهم أهل بلاغة كتابية. ولعلّ هذا هو السبب في أنهم وضعوا للفصاحة كلمة مشتقة من اللسان، فقالوا: رجل أمين إذا كان ذا بيان وفصاحة، ولم يشتقوا مثل ذلك من الكتابة...».[2]

ويتضح من هذه المقولة أنّ التواصلات بين طبقات المجتمع العربي في مجالها العام والخاص كانت في مجملها تتم بطريقة المشافهة، لكن جلّ العلوم والمعارف العربية دوّن جزءا منها بنهاية العصر الأموي، وعرفت تطورا واكتمالا في العصر العباسي الأول وبداية الثاني منه، ما يعني أنّ أثر الفرس في تطوير الخط العربي بدأ مع العصر الأموي وليس العباسي، و يؤكد أحمد أمين ذلك: « والحق أنّ القدرة الكتابية كانت عند الفرس أبين منها عند العرب، وحتى في الدولة الأموية كان أظهر الكتّاب الفنّيين من الفرس، أمثال عبد الحميد الكاتب، وسالم مولى هشام، وكان العربي يفخر بالسيف واللسان لا بالقلم».[3] ويرى عثمان موافي أنّ معظم من تقلدوا أعمال الكتابة في الدولة العباسية كانوا فرسا، وحذا ذلك بهم إلى أن يصبغوا نظام الكتابة بالصبغة الفارسية، والتي كانت تقوم أساسا على التأني والتروي قبل البدء في الكتابة، والتحقيق ووضوح المعاني وقربها والإيجاز في اللفظ مع الإفاضة في المعنى.[4]

---

[1]- **المرجع السابق**، ص: 143.

[2]- أحمد أمين ، **موسوعة الحضارة الإسلامية، ضحى الإسلام**، م2: 147.

[3]- **المرجع نفسه**، ص: 147، 148.

[4]- ينظر، عثمان موافي، **التيارات الأجنبية في الشعر العربي**، ص: 154.

وكان لنشأة منصب الوزارة، وإسناده في غالب الأحوال إلى الفرس أثرا كبيرا في شيوع الثقافة الفارسية في الحضارة العربية الإسلامية بشكل عام، « وكان من مميزات الوزير أنه صاحب قلم عالم مطلع وكاتب بليغ يستعين بكتاب تميّزهم كفاية علمية وسعة إطلاع وإلمام بشتى العلوم و الفنون، وساعد كل هذا على أن يترجم المسلمون إلى العربية تراث الحضارة الفارسية...».[1]

ونال الخط العربي في العصر العباسي ما ناله من التقدم والنمو «حيث تنافس الكتّاب في تجويده، وتفننوا في تنويعه، وخالفوا بين أوضاعه في بغداد وأوضاعه في الكوفة، باختراع الأقلام المختلفة كالقلم المرصع، وقلم النساخ وغيرهما، وتنوعت بذلك الخطوط إلى أنواع متعددة.»[2]

وتجلى دور هؤلاء الكتّاب في نشرهم نوع من الثقافة، التي كانت أوسع من ثقافة غيرهم في ميادين اللغة والأدب، وعلوم الدين والفلسفة والجغرافيا والتاريخ.[3]

وعموما انعكس تطور الكتابة العربية في هذه الفترة على المجال المعرفي بشكل عام، واللغوي على وجه الخصوص من جانبين:

- ازدهار ونشاط التأليف، والترجمة مما ولّد إبداعا غير مسبوقا تجلى بشكل واضح في ضخامة الإنتاج اللغوي.
- عملت الكتابة كذلك على تيسير التواصل بين المدارس اللغوية، وبين الأئمة وتلاميذهم.

---

[1]- توفيق الطويل، **في تراثنا العربي الإسلامي**، ص: 72.

[2]- احمد حسين الزيّات، **تاريخ الأدب العربي**، ص: 208.

[3]- ينظر، أحمد أمين، **موسوعة الحضارة الإسلامية**، **ضحى الإسلام**، م2: 151.

## 3)- التواصل الحضاري العربي الفارسي وأثره في تطوير اللغة العربية:

سأقف هنا عند أهم الجوانب الإيجابية المنبثقة عن التواصل الحضاري العربي الفارسي على اللغة العربية من خلال النقاط الآتية:

- دور العنصر الفارسي في خدمة اللغة العربية.
- إلى أيّ مدى كان انفتاح العنصر العربي على الفارسي سببا في وضع النحو العربي.
- ودور ظاهرة الاقتراض من الفارسية إلى العربية في تطوير التواصل اللغوي العربي.

كان لتواصل العرب مع غيرهم من الشعوب بالغ الأثر في تطوير الحركة المعرفية بشقيها المعرفي، والمنهجي، ويقول ابن خلدون: « إنّ حملة العلم في الملّة الإسلامية أكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو أعجميّ في لغته ومرباه ومشيخته...».[1] ويذهب ابن خلدون إلى أبعد من ذلك في حديثه عن دور الأعاجم في تطوير الحركة العملية في الحضارة العربية الإسلامية بشكل عام، وعلوم اللغة العربية من أهمها: « أنّ الصنائع من منتحل الحضر وأنّ العرب أبعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرية وبَعُدَ عنها العرب وعن سوقها. والحضر لذلك العهد هم العجم أو من هم في معناهم من الموالي وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تَبَعٌ للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما وكلهم عجم في أنسابهم، وإنما ربّوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب وصيّرُوهُ قوانين وفنا لمن بعدهم...».[2]وإذا كان معظم حملة العلم في العلوم الشرعية؛ التي نشأت الدراسات اللغوية في حضنها من العجم حيث صيّرواْ اللسان العربي قوانين وفنا لمن بعدهم، وكلهم أعاجم، فكيف نتصور حال الدرس اللغوي العربي في الفترة التي عرف فيها العنصر العربي انفتاحا على غيره من الشعوب بعيدا عن جهود هؤلاء العلماء الثلاثة.

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة** ، تح: خليل شحادة، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص: 747.

[2]- **المصدر نفسه**، ج1: 748.

يرى أصحاب الأثر الأجنبي في نشأة الدرس اللغوي العربي أن تأثر النحو العربي بالفارسي، بحكم الجوار ونبوغ الفرس في النحو. واستند بعضهم في هذا الطرح الى بعض المتشابهات في أمور الحال، والفاعل، والمبتدأ، والمصدر.[1] و نجد "فون كريمر" يقول: « إنّ تسرب الفساد إلى اللغة العربية رواية لا يعول عليها إطلاقا ولا أساس لها، فالنحو العربي من وضع الأجانب من الآراميين والفرس، وقد أوجدته الحاجة التي أحس بها هؤلاء الأجانب لتعلم الكتابة العربية وقراءة اللغة العربية على وجه صحيح...».[2]

ويرى "شوقي ضيف" كذلك أنّ العرب تأثروا في مناهجهم الدينية واللغوية بمن كان في العراق من الفرس والساسانيين، وأنّ الفرس نقلوا إلى العربية ما عرفوه من حضارة دفعتهم إلى أن يؤسسوا دراستهم المختلفة على مناهج علمية صحيحة.[3]

وبعيد عن فرضية الأثر الفارسي في الدراسات اللغوية العربية أرى أنّ تواصل العرب مع الفرس بشكل لم يعرفه غيرهم من الشعوب انعكس بشكل إيجابي على اللغة العربية من خلال دور الفرس في تفشي ظاهرة اللحن في اللغة العربية؛ بحكم انتشارهم الواسع في جميع مستويات المجتمع العربي الإسلامي، سواء كانوا حكاما ورعية، ما حفّز العلماء على صيانة وحفظ اللغة من هذا الخطر بوضع قواعد تضبط الاستعمال السليم للغة العربية من جهة، من جهة أخرى حرص هؤلاء الفرس على تعلّم العربية جعلهم يساهمون في إثراء الدرس اللغوي العربي حتى يمكّنوا من تعلّم هذه اللغة وتيسير ذلك لعامة الناس. كما ساهم الاقتراض المعجمي من الفارسية الى العربية في تفعيل التواصل اللغوي العربي . كلها عوامل أدّت إلى تطوير الدرس اللغوي في هذه الفترة إلى درجة ما.

ومهما كانت درجة الأثر الفارسي على اللغة العربية في مستوى من مستوياتها، فإنّ الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية شغل الحيّز الأكبر من ذلك الأثر الإيجابي حيث نتج عن الاحتكاك الواسع بين العرب والفرس خلال العصر العباسي، اقتراض اللغة العربية لعديد من الألفاظ

---

[1]- طلال علامة، **تطور النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة**، ص: 109.

[2]- عبد العال سالم مكرم، **الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي**، ص: 09.

[3]- ينظر، شوقي ضيف، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، ط4، دار المعارف، القاهرة، ص: 36، 39.

الفارسية، والعكس كذلك.« ذلك أنّ العرب لما تحضّروا بعد البداوة وجدوا أنفسهم أمام أشياء كثيرة، ليس في ألفاظهم ما يدل عليها، وكان ذلك في جميع مرافق الحياة من أدوات الزينة، وأنواع المآكل والملبس، وآلات الغناء، والدواوين ونظامها ونحو ذلك، فسلكوا خير طريق يُسلك لذلك، وهو: أنّ يتوسّعوا في مدلولات الكلمات العربية أحيانا، ويأخذوا الكلمات الأجنبية كما هي أحيانا، ومصقولة بما يتفق ولسانهم أحيانا، وكانت اللغة الفارسية منبعا كبيرا من المنابع التي تستمد منه اللغة العربية وتوسع مادتها...».[1] حيث ذكر الأزهري أنّ العرب اقترضوا من الفارسية ما لا يمكن عدّه من الألفاظ « ومن كلام الفرس ما لا يُحصى ممّا قد أعربتْهُ العرب نحو: جاموس، ودبياج...».[2] ولم يكن الاقتراض من الفارسية إلى العربية وليد العصر العباسي، بل اقترن ذلك بالتواصل بينهما والذي يمتد إلى أزمنة موغلة في القدم .« بعد الإسلام انطلق العرب فاتحين وناشرين الدين الجديد فازداد التبادل اللغوي بين الفارسية والعربية فاقترضت العربية من الفارسية ألفاظا كثيرة وخاصة تلك التي تتصل باصطلاحات الإدارة وألوان الحضارة المادية...».[3]وصنّفت الألفاظ المقترضة من الفارسية إلى العربية إلى أربعة أصناف:

1)- ما غيرته العرب وألحقته بأبنيتها مثل: الإبْزِيم*، وتصرف العرب في هذه الألفاظ تصرفا كاملا كأنها لفظة عربية كلفظة الديوان التي جمعت في العربية على دواوين، واشتق منها الفعل: دونّ ويدوّن، والمصدر التدوين.[4]

2)- ما غيّرته العرب ولم تلحقه بأبنيتها، وهي فارسية الأصل دخلت العربية وحدث لها تغير في أصواتها، ووافقت الأصوات العربية، وبالتالي لم يحدث لها تغير في البناء الصّرفي، ولم

---

[1]- أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ج1: 174.

[2]- أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، **تهذيب اللغة**، تح: علي حسن هلالي، دط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، دس، ج10: 585.

[3]- حلمي خليل، **المولّد دراسة في نمو وتطور اللغة العربي**، ص: 153.

*- على وزن افعيل وافعال، اشتق منه البزم وهو العضّ، وبزم عضّ.

[4]- رجب عبد الجواد إبراهيم، **الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية**، ط1، دار القاهرة، 2002، ص: 55 و61.

يتصرف فيها العرب و لم تلحق بكلامهم، كلفظة الإِبْريسم التي أصلها في الفارسية. بالشين: أبريشم ، ولكن اللفظة استعصت على الأوزان الصرفية و لم تتشكل تشكّلا عربيا.[1]

3)- ما لم يغيّروه وألحقوه بأبنيتهم كلفظة "البزّ" أصلها في الفارسية بَزْ ودخلت هذه الكلمة اللغة العربية و لم يحدث لها تغير صوتي، ورغم ذلك فقد ألحقت بأبنية العرب، ووضعت في المعاجم العربية تحت المادة الثلاثية: بزز.[2]

**1)** ما لم يغيّروه العرب و لم يلحقوه بأبنيتهم: وظلت هذه الألفاظ في العربية محتفظة بصورتها التي جاءت عليها من الفارسية، واتسمت في أغلب الأحيان بسمتين؛ أنها لم تكن من استعمال العرب الفصحاء، وأنها غالبا ما تكون في أسماء الأعلام.[3]

واستعمل الجواليقي لفظة الأعجمي من الأسماء مرادفا للكلام الفارسي،[4] ما يدل على عظمة الاقتباس من الفارسية إلى العربية. « ويقال بالإجمال أنّ العرب اقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها، ولذلك رأينا أئمة اللغة إذا أشكل عليهم أصل بعض الألفاظ الأعجمية عدوها فارسية...».[5]

وأ رى أنّ لا ضرورة لعرض كل الألفاظ المقترضة من الفارسية إلى العربية، في العصرين العباسي الأول والثاني، بحكم أنّ المهم هنا أثر هذه الظاهرة في تطوير اللغة العربية وليس الاقتراض بذاته هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنّ البحث لا يسع عرض كل ما اقترض من الألفاظ من وإلى العربية في هذه الفترة، وعموما انعكس تواصل العرب مع الفرس على اللغة العربية كما الفارسية أيضا من عدة جوانب أهمها: تطور التواصل اللغوي، بفعل الاقتراض واتساع حقل استعمال اللغة العربية، إضافة إلى دور الفرس في تطوير الدرس اللغوي العربي بشكل عام.

---

[1]- **المرجع السابق**، ص: 55.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 112.

[3]- **المرجع نفسه**، ص: 56.

[4]- ينظر، الجواليقي، **المعرب من الكلام الأعجمي**، ص: 06.

[5]- جورجي زيدان، **اللغة العربية كائن حي**، ص: 15، 16.

## المبحث الرابع: التواصل الحضاري العربي الهندي وأثره في تطوير اللغة العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني

سبق الإشارة إلى أنّ عامل التراكمية في المعرفة البشرية من أهم الأسباب الذي أدت إلى تطويرها عبر المراحل المتعاقبة للتاريخ البشري بشكله العام، والمهم في هذه الخاصّية؛ أنها تتجاوز كل الحدود ، مما يجعل المعرفة الإنسانية تنمو وتتطور الاتجاه الصحيح بفضل تراكم المعارف والخبرات لجميع مكونات البشرية على اختلاف الأزمنة والأمكنة.

وانطلاقا من ذلك اعتبر رافد المثاقفة من الروافد الأساسية التي عملت على نسج البناء العام للحضارة العربية الإسلامية، خصوصا في الفترة العباسية من تاريخها، بناء على اعتبارات عدة سبق الإشارة إليها. واعتبرت الثقافة الهندية رافدا مهمّا عمل على المساهمة في نمو وتطور المجال المعرفي للحضارة العربية الإسلامية لاسيما في مجالات الطب، والفلك والحساب... ونتج ذلك عن التواصل الحضاري بين العرب والهنود لفترات عريقة تجاوزت العصر الإسلامي من تاريخ العرب القديم بحكم ازدهار حركة التبادل التجاري في الاتجاهين، وبمجيء الإسلام عمّق من وتيرة التفاعل بين الشعبين ممّا جعل تبادل جوانب التأثير والتأثر تتعزز وتنمو في الاتجاهين أيضا، وسأقف في هذا الحيّز من المبحث عند أهم ما نتج عن هذا التواصل في الحضارة العربية الإسلامية لاسيما اللغوية منها.

### 1)- التواصل الحضاري العربي الهندي وأثره في تطوير المجال المعرفي في الحضارة العربية الإسلامية:

ينتج عن عملية التفاعل الحضاري بين الثقافات المتباينة آثارا سلبية وإيجابية من الجانبين، وسأقتصر هنا على بعض الجوانب الإيجابية الناتجة عن التواصل الحضاري العربي الهندي في الحضارة العربية الإسلامية.

يتحدث "عثمان موافي" عن حقيقة رافد المثاقفة في الحضارة العربية الإسلامية بشكلها العام في قوله: « ضمن السذاجة أن ينفق بعض الباحثين جهودا ضخمة في إثبات أصالة العرب في

حضارتهم، وفي نفي كل دخيل أجنبي عنهم، لأنهم أعطوا مثل ما اخذوا، وأثروا بقدر ما تأثروا، وامتد تأثيرهم إلى أوروبا في العصور الوسطى، فلا عيب أن يكون هذا الأجنبي حقيقة واقعة في حضاراتهم وفي فكرهم...».[1] وانعكس التواصل الحضاري بين العرب والهنود بشكل إيجابي في مجالات متعددة من الحضارة العربية الإسلامية ومن أهمها: المقالات الدينية الهندية وعلاقتها بالفلسفة العربية، والرياضيات، وعلوم الفلك.[2] «وعلى الرغم من أنّ الهند لم تكن من أوائل البلاد المفتوحة كفارس، ورغم أنّ الهنود لم يمتزجوا بالمجتمع العربي كما امتزج به الفرس إلا أنّ تأثيرهم في مسار الحضارة العربية الإسلامية واضح في العديد من المجالات العلمية والأدبية والدينية، وقد وقع هذا التأثير عبر قانتين؛ مباشرة وغير مباشرة».[3] واقتبس العرب كثيرا من نظريات الهنود في الحساب والهندسة، كما استدعى الخلفاء من العباسيين أطباء من الهند.[4]

ويذهب "أنيس المقديسي" إلى أنه « يصعب تعيين السبيل الذي جرى فيه الفكر الهندي إلى نفوس الناطقين بالعربية ولكن ممّا لا ريب فيه أنه كان للفلسفة وللعلوم الهندية تأثير شديد في تكوين الفلسفة العربية... من أيام بني أمية إلى أيام محمد بن سبكتكين (أواخر القرن الرابع للهجرة) كان الفتح الإسلامي بابا لتسرّب المبادئ الفلسفية الهندية إلى نفوس العرب...».[5] و كان كان لتواصل العرب مع الهنود بالغ الأثر في توجيه مسار الحركة الأدبية كذلك، باعتبار أنّ الشعر التعليمي العربي – على سبيل المثال لا الحصر– تأثر كثيرا بنظيره الهندي، حيث أنّ الثقافة الهندية المعروفة بهذا النوع من الشعر كانت على صلة بالأدب العربي والثقافة العربية، وكانت الثقافة الهندية وآدابها القريبة إلى الطبيعة العربية، بما فيها من أساطير وحكايات شديدة العلاقة والتفاعل مع الثقافة العربية، مما يجعل أثر العنصر الهندي في نشأة الفن التعليمي في الشعر العربي يكون أقوى من

---

[1]– عثمان موافي، **التيارات الأجنبية في الشعر العربي**، ص: 13.

[2]– ينظر، فخري خليل النجار، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، ص: 164.

[3]– العربي بن سلامة، **الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر والتأثير**، ص: 71.

[4]– ينظر، توفيق طويل، **في تراثنا العربي الإسلامي**، ص: 14.

[5]– أنيس المقديسي، **أمراء الشعر العربي في العصر العباسي**، ص: 69.

نظيره اليوناني.[1] بحيث تكمن أهمية هذا النوع من الشعر في الدور الذي أداه في التحصيل والإلمام بروافد المعارف عن طريق التعليم والتلقين بأبسط الطرق وأيسرها، « وظهر في العصر العباسي فن جديد، هو فن الشعر التعليمي، خصص لنظم مختلف العلوم كالنحو والفقه، والمنطق وسائر الفصائل الحميدة...»[2] وعرفت الفترة العباسية ذروة التبادل الثقافي بين العرب والهنود، واعتبرت كذلك أنها « فترة العلاقات الثقافية المباشرة والعميقة بين العرب والهنود بدأت بعد ظهور الإسلام بقرن واحد، وذلك لما أسست بغداد في أواسط القرن الثاني، وقد افتتحت هذه الفترة عهدا طويلا من الاتصال الثقافي دام بضعة قرون، ولعله لم تكن ثمة فترة في تاريخ العرب والهنود، في العصور القديمة أو الوسطى، كانت فيها العلاقات أكبر ارتباطا بين الشعبين مما كانت في هذه الفترة...».[3]

وبذلك يكون الشعر التعليمي قد أدى وظيفته الى حد ما في تدوين المادة اللغوية العربية وتعليمها أيضا .

**2)- عراقة الدرس اللغوي الهندي:**

تعتبر الدراسات اللغوية الهندية من بين أعرق البحوث اللغوية التي عرفها المجتمع البشري منذ القدم، ويعود تاريخ أهمها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، بحيث « ظهرت في الهند القديمة دراسات للغة السنسكريتية (لغة الهند الكلاسيكية) على مستوى عال من التنظيم والدقة. ولربما كان الهنود أسبق- حتى من اليونانيين- في هذا الميدان، سواء من ناحية الزمن أو ناحية القيمة. وقد أثرت عن الهنود دراسات، في فروع علم اللغة المختلفة تتناول الأصوات والاشتقاق والنحو والمعاجم، كما تتناول كثيرا من مشكلات فقه اللغة، ويرجع أقدم هذه الدراسات إلى فترة مجهولة لنا، أما أقدم ما وصلنا منها فيرجع إلى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد...».[4]

---

[1]- مصطفى بيطام، **مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول**، ص: 343.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 342.

[3]- سيد مقبول أحمد، **العلاقات العربية الهندية**، ص:17،18.

[4]- أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، ص: 58.

وربما كان العمل اللغوي ل"برهمان بانيني" من أهم الأعمال اللغوية الهندية القديمة التي تميّزت بالصفة العلمية، حيث وصف « القوانين الصوتية والنحوية للغة السنسكريتية وصفا يبلغ درجة كبيرة من الدقة، حتى إنه يحكي في بعض الروايات أنه تلقى هذا العلم عن طريق الوحي والإلهام...».[1] واعُتبر عمل بانيني مصدر مهم للدراسات اللغوية الهندية التي جاءت بعده، حيث تناول من تلاه من الأجيال هذه المدونة اللغوية بالشرح والتعليق، ويذهب العلماء المحدثون إلى أن بانيني من أفضل النحاة الوصفيين القدماء.[2]

وربما كان الدافع الذي حمل الهنود على أن يدرسوا لغتهم « دراسة صوتية هو قداسة السنسكريتية التي أنسجت من ميادين الحياة، واعتكفت في المعابد يرددها الكهنة في المحاريب، وترتل بها الصلوات وانسحابها أدى إلى عزلتها، وعزلتها أدت إلى غربتها وثقلها على ألسن الناس، ولذلك خشى عليها الكهنة من اللحن، فدرسوا أصواتها دراسة تعدّ مبتكرة إذا قيست بما وصلت إليه دراسة اللغة المكتوبة كتابة مقطعية في ذلك العصر...».[3]

وتشبه هذه الرواية في نشأة الدراسات اللغوية الهندية إلى حد ما الرواية العربية في نشأة النحو العربي، حيث كانت قداسة اللغة، والخوف عليها من اللحن (الخطأ)، نقاط تشترك فيهما الروايتان وكانت الدراسات الصوتية عند الهنود، « متنوعة وشاملة لمعظم جوانب هذا العلم، فدرسوا الصوت المفرد وقسموه إلى علل، وأنصاف علل وسواكن وقسموا العلل إلى بسيطة ومركبة، كما قسموا السواكن بحسب مخارجها، وتوصل الهنود إلى أثر القفل في إنتاج الأصوات الانفجارية، والفتح في إنتاج أصوات العلة والتضييق في إنتاج الأصوات الاحتكاكية... ولم يكتف الهنود بالحديث عن الصوت المفرد، فتحدثوا عن المقطع، وكان حديثهم مفصلا بشكل مثير للدهشة،

---

[1]- محمود السعران، **علم اللغة**، ص: 318.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 218.

[3]- غازي مختار طليمات، **في علم اللغة**، ص: 129.

كذلك وضع الهنود قواعد دقيقة للنبر في لغتهم القديمة... ويكفي الهنود فخرا أن تكون جهودهم الصوتية الأساس الذي يبنى عليه علماء الأصوات المحدثون...».[1]

لقد شملت الدراسات الهندية فروع علم اللغة المختلفة من أصوات وصرف ونحو ومعجم ، بالإضافة لدراسات أخرى في فقه اللغة ، قبل أن تعالج الدراسات اللغوية الأوروبية هذه القضايا بألفي عام تقريبا. وتركت أكثر من اثنتي عشرة مدرسة نحوية تراثا نحويا يربو على ألف مؤلف ، يمثل ذروة هذه الأعمال وأعظمها كتاب " بانيني " [2]

و يعدّ علم اللغة الذي وضعه "بانيني" أول إنجاز عرفه الإنسان عن الدراسة التركيبية للغة، وكان الاشتقاقي "ياسكا"- قبل بانيني- حسب ما يعزى إليه أنه أول من قسم الكلام إلى أربعة أقسام (اسم وفعل وحرف وإضافة وأداة).[3] بناء على هذه المعطيات يمكن القول إنّ الدرس اللغوي الهندي عرف شأنا لم يسبقه درسا لغوي آخر في حضارة ما خلال المراحل الأولى لنشأة وتطور هذا العلم.

### 3)- التواصل الحضاري العربي الهندي والدرس اللغوي العربي في العصرين العباسي الأول والثاني:

وسأقف في هذا الفضاء من البحث عند علاقة الدرس اللغوي العربي بنظيره الهندي في ضوء التواصل القائم بين الحضارتين خلال العهد العباسي من الحضارة العربية الإسلامية. وسأعالج هذا الموضوع من زوايا ثلاث: فرضية الأثر الهندي في نشأة النحو العربي، وعلاقة الدرس المعجمي والصوتي العربيين بالدرس اللغوي الهندي في إطار الفرضيات القائلة بتأثر اللغة العربية في هذين المستويين بالدرس اللغوي الهندي، وكذلك دور الاقتراض المعجمي من الهندية إلى العربية في تفعيل التواصل اللغوي العربي.

---

[1]- أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، ص: 58، 59.

[2]- أحمد عبد العزيز دراج ، **الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية** ،دط، مكتبة الرشد ،الرياض ، 2003، ص:38.

[3]- عبد الجليل مرتاض، **الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية**، ص: 96، 97.

أشار أحمد مختار عمر إلى وجود تطابق واتفاق في العديد من الجوانب في البحث اللغوي بين العرب والهنود في المجالات التالية :

- **الدراسات الصوتية** : ومن النقاط التي بحثها العرب ولها نظير عند الهنود ما يأتي :

1) وضع العرب أبجدية صوتية للغة العربية تبت أصواتها بحسب المخارج ابتداء من أقصاها في الحلق حتى الشفتين.
2) الحديث عن أعضاء النطق وتسمية كل منها مثل الرئة والحنجرة والحلق واللسان....وكذا حديثهم عن مخارج الأصوات بطريقة تفصيلية
3) اهتداؤهم إلى وجود رنين معين يصحب نطق الأصوات المجهورة ،حيث قسموا الأصوات من حيث وجود هذا الرنين أو عدم وجوده إلى مجهورة ومهموسة .
4) توصل العرب إلى طريقة التحكم في مجرى الهوى هامة في إنتاج الصوت . وقسموا الأصوات على أساسها إلى شديدة ورخوة ومتوسطة .
5) تقسيم الأصوات إلى صحيحة ومعتلة على أساس اتساع المخرج مع العلة دون الصحيحة . كما قسموها إلى مطبقة ومنفتحة أو مستعلية ومنخفضة ، كما اهتدوا إلى السمات الخاصة التي تميز بعض الأصوات.
6) الحديث عن أطول أصوات العلة وتقسيمها إلى قصيرة وطويلة وأطول
7) تعريف بعض القدماء الصوت الساكن بأنه الذي لا يمكن نطقه بدون حركة
8) الموازنة بين الحركات في الثقل والخفة واعتبارهم الفتحة أخف الحركات .[1]

**الدراسات النحوية والصرفية** : من ضمن النقاط التي عالجها العرب في هذا المجال وهي موجودة عند الهنود نجد :

[1]- ينظر، أحمد مختار عمر ، **البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب** ، دار الثقافة ، بيروت ، 1972، ص:127-131

1) تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل
2) تعريف الكلمة بأنها اللفظ الموضوع لمعنى مفرد ، أو بأنها المستقل الدال بالوضع.
3) التمييز بين الحرف الأصلي والحرف الزائد في الكلمة .
4) الخلاف حول الحروف ، هل لها معاني في ذاتها مستقلة عن الأفعال والأسماء أو لا.
5) إفراد نوع من الأسماء له خصائص الأفعال باسم خاص به
6) النظر الى نوع الحروف من حيث الصحة والاعتلال حين الحديث عن أصول الكلمات وإفراد كل بالذكر .[1]

**المعجم :**

1) تأليف كتب في المترادفات والمشترك اللفظي
2) ظهور معاجم مرتبة بحسب الموضوعات ( معاجم المعاني)
3) ظهور معاجم مرتبة بحسب الأبنية أو الأوزان
4) ظهور معاجم للألفاظ مرتبة بحسب الحروف الأخيرة

إضافة الى بحوث متعددة في فقه اللغة مثل القول بقداسة اللغة العربية ، وتفضيلها على سائر اللغات ، والقول بوجود أماكن توجد فيها اللغة العربية النقية أو الفصيحة ، ومسألة الخلاف حول نشأة اللغة بين القول بالتوقيف أو الاصطلاح. [2]

يقول احمد مختار عمر : «ليس من السهل القطع برأي في كثير من قضايا التأثير والأثر ، وبخاصة إذا كانت القضية المطروحة للمناقشة قد مضى عليها مئات السنين . كما أن الباحث المدقق لايستطيع الحكم بسهولة – كما يفعل بعضهم – على أخذ العرب من لمجرد وجود التشابه بين

[1]- **المرجع السابق** ، ص :132.
[2]- ينظر ، **المرجع نفسه** ، ص: 133-136.

علميهما . فالعقل البشري هو العقل البشري في أي بقعة من أنحاء العالم ...وقد يتشابه العلمان أو يتطابقان ويظل كل منهما أصيلا في ذاته. »[1]

**أ)- فرضية الأثر الهندي في نشأة النحو العربي:**

يفترض بعض العلماء وجود علاقة بين النحو العربي ونظيره الهندي، من حيث التشابه في رواية نشأة كلا النحوين العربي والهندي. و بحكم أقدميه الرواية الهندية يرّجح هؤلاء فرضية تأثر النحو العربي بنظيره الهندي في تفسير نشأة هذا العلم، مما جعلهم يذهبون إلى القول بتجاوز الأثر الهندي في النحو العربي هذه المسألة إلى مواضيع جوهرية في النحو العربي، وسأشير إلى ذلك لاحقا.

وفيما يلي عرض للروايتين الهندية والعربية، في نشأة النحو الهندي والعربي، جاء في تحقيق ما للهند من مقولة للبيروني أنه: « كان عند الهنود نحو وصرف، وقالوا في أولية النحو أنّ احد ملوكهم كان يوما في حوض مع نسائه فقال لإحداهنّ "مادو كندهى" أي لا ترشّي عليّ الماء، فظنت أنه يقول "مود كندي هى" أي أحملي حلوى، فذهبت فأقبلت بها فأنكر الملك فعلها...، وأحتجب إلى أن جاءه علمائهم وسلّى عنه بأن وعده تعليم النحو والصرف، وذهب إلى "مهاديو" مصليا مسبحا وصائما متضرعا إلى أن ظهر له وأعطاه قوانين يسيرة، كما وضعها في العربية أبو الأسود الدؤلي، ووعد التأييد فيما بعدها من الفروع، فرجع العالم إلى الملك وعلمه إياها، وذلك مبدأ هذا العلم».[2]

ويقول أحمد أمين: « وأنا أخشى أن تكون حكاية أبي الأسود قد وضعت في العربية على نمط الحكاية الهندية، ولعلّ ممّا يرجح هذا الظن، أنّ الحكاية العربية مختلفة الأشكال، متعددة الرواية ضمن قائل إنّ عليّ بن أبي طالب هو الذي أوْعَزَ إلى أبي الأسود بوضع النحو، ومن قائل إنه عمر بن الخطاب، ومن قائل إنه زياد ابن أبيه: ثم من قائل إنّ سبب الوضع، أنّ قارئا قرأ ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا

[1]- **المرجع السابق** ، ص : 137.

[2]- تحقيق ما للهند من مقولة للبيروني، ص: 12. نقلا عن ضحى الإسلام، ج1: 245.

الْخَاطِئُونَ﴾[1] ... إلى آخر مما قالوا مما يحمل الشك في القصة، ثم هناك شَبَه بين ذهاب العالم الهندي إلى "مهاديو" مصليا مسّبحا ، وبين ذهاب أبي الأسود إلى علي بن أبي طالب يسأله المعونة في وضع النحو وهكذا.»[2]

وعلّق على أبو المكارم على ما ذهب إليه أحمد أمين قائلا: « واضح أنّ بين القصتين نقاط ثلاث بحيث يمكن اعتبارهما معا صورتين لفكرة واحدة... وبرّغم نقاط التشابه العديدة هذه بين القصتين فإنه لا مجال للتسليم بتأثر العربي- في نشأته- بالنحو الهندي؛ إذ أقصى ما لا يمكن التسليم به- مع فرض صحة هذه الروايات، وافتراض انتقالها من الهندية إلى العربية- أنّ محاولة "تفسير" نشأة النحو العربي قد تأثر بمؤثرات هندية وثّمة بون شاسع بين تأثر "محاولات تفسير نشأة النحو" و"تأثر" النحو نفسه...».[3] ولخّص أحمد مختار عمر وجهات النظر المختلفة حول التأثير الهندي على اللغويين العرب في ثلاثة آراء :

1) الرأي الذي يرجح أو يقطع بوجود تأثير هندي ، وتبنى هذا الرأي عبد الرحمن أيوب ، وشوقي ضيف محمد إسماعيل الندوي.
2) الرأي الذي لا يرجح ولا يقطع بوجود تأثير هندي ، ولكن يرى احتمال وجود هذا التأثير وهو الاتجاه الذي اختارته دائرة المعارف الإسلامية ، وذهب في الاتجاه نفسه محمود السعران.
3) الرأي الذي ينفي وجود أي تأثير هندي ،وأصحاب هذا الرأي كارل بروكلمان وعبد الله درويش.[4]

---

[1]- سورة الحاقة، الآية: 37.

[2]- أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ص: 245.

[3]- علي أبو المكارم، **المدخل إلى دراسة النحو العربي**، ص: 81.

[4]- ينظر، أحمد مختار عمر ، **البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب ، ص:138-142**.

ويذهب فتح الله مجتبايي إلى أبعد من ذلك بكثير من خلال إشارته إلى وجود محاكاة في التعاريف والمصطلحات اللغوية، وفي طريقة بيان القواعد في الأبحاث اللغوية الهندية والعربية في أزيد من ثلاثين قضية وهي: النحو، علم الأحكام وقواعد اللغة، فعل ميزان للتصريف والاشتقاق، المسند والمسند إليه، أقسام الكلام: الاسم والفعل والحرف، الصيغة، التصريف، الغيبة بدلا عن الخطاب، الغائب والمخاطب والمتكلم، معرفة الفعل بصيغة الغائبة، تعريف الاسم والفعل، اللازم والمتعدي، المعلوم والمجهول، المعنى في الحروف، تعريف الحرف، الأزمنة الثلاثة في الفعل، الضمير، الإعراب، الإعراب والإعجام، الإعراب المحلي والإعراب بالعوامل، الفاعل: المُحرّك والمُتحرّك الأوّل، استقلال الفاعل عن الفعل، الجامد والمشتق، أحرف العلة، الحركات، الإضافة، الظرف، الاسم مشتق من الفعل أو الفعل مشتق من الاسم، تقدّم الاسم والفعل وتأخّرها، قوة الألفاظ وضعفها، الأسماء المترادفة والمشتركة، الحذف والقلب والإبدال والإضافة، صحة الكلام وسقمه، بعض الروايات في نشأة علم النحو.[1]

بالمقابل نجد أنّ كارل بروكلمان ينفي هذا الأثر في قوله: « والرأي الذي يتكرر دوما عند علماء العرب، وهو أنّ علم النحو انبثق من العقلية العربية المحضة، بغض النظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا العلم ومنطق أرسطو، وفيما عدا ذلك لا يمكن إثبات وجوه أخرى من التأثير الأجنبي، لا من القواعد اللاتينية، ولا من الهندية».[2] وسار شوقي ضيف في الاتجاه نفسه، حيث يرى أنه لا يمكن إثبات شيء من ذلك إثباتا علميا لأنّ النحو العربي يدور على نظرية العامل، وهي لا توجد في أيّ نحو أجنبي.[3]

[1]- ينظر، فتح الله مجتبايي، **النحو الهندي والنحو العربي**، ص: 65 إلى 100.

[2]- كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ج2: 124.

[3]- ينظر، شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، ص: 20.

**ب)- فرضية الأثر الهندي في نشأة الدراسات المعجمية والصوتية العربية:**

عرف الدرس اللغوي العربي في المستويين المعجمي والصوتي تطورا مهمّا مع نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي بفضل عوامل مجتمعة سبق الإشارة إليها في الفصل الثاني من الباب الأول في هذا البحث. حيث عرف الدرس اللغوي العربي في هذين المستويين نفس ما عرفه في مستواه النحوي فيما يخص احتمالات تأثره بالدرس اللغوي الهندي، إلا أن ذلك يبقى مجرد فرضيات تستند إلى عامل التشابه ، أو السبق الزمني في تتبيث هذا الرأي.

و اذا كان شوقي ضيف رفض الأثر الهندي في النحو العربي فأنه يثبت ذلك في الدرس المعجمي في قوله : « وقد وضع الخليل معجما للعربية بترتيب مخارج الحروف متأثرا بالهنود في ترتيب حروف لغتهم »[1]. يشير فتح الله مجتبايي إلى أنّ الخليل بن أحمد « انتهج منهجا آخر وضع أساسه على مخارج الحروف، ويبدأ هذا الترتيب بحرف الــ "ع" الذي ينطق من أقصى المخارج الصوتية في الحلق... فلم يكن هذا الترتيب معروفا آنذاك لا عند الشعوب الأوروبية ولا عند الشعوب السامية، العربية منها وغير العربية، لكن نعلم أنّ الهنود كانوا يعرفون هذه الطريقة في أقل تقدير منذ القرن السابع أو السادس قبل الميلاد...».[2]

فالترتيب الهندي الذي جاءت ألفاظه متتالية وفقا لمخارج الأصوات، « هو الترتيب الذي استخدم في القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي) في كتاب "العين" للخليل بن أحمد وكتاب سيبويه "باب الإدغام"».[3] وربما كان الشك في نسبة كتاب "العين" إلى الخليل بن أحمد سببا في افتراض تأثره بالدرس اللغوي الهندي في الجانب الصوتي والمعجمي منه، « وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أنه اتبع في ترتيب كتاب "العين" ما كان يتبعه علماء النحو في اللغة السنسكريتية، فقد كانوا يبدؤون بحروف الحلق وينتهون بحروف الشفة.»[4] ويذهب محمود السعران في الاتجاه نفسه، عندما

---

[1]- شوقي ضيف ، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي** ، ط11 ،دار المعارف ، القاهرة ، ص : 132.

[2]- فتح الله مجتبايي، **النحو الهندي والنحو العربي**، ص: 45.

[3]- **المرجع نفسه** ، ص: 46.

[4]- أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ج2: 267.

أشار إلى وجود، « تشابه كبير بين تصنيف الهنود لأصوات السنسكريتية حسب "المخارج" وبين تصنيف العرب لأصوات العربية على هذا الأساس، ومعروف أنّ التصنيف الهندي أقدم كثيرا من التصنيف العربي، ومن مظاهر التشابه أنّ الهنود يرتبون الأصوات ابتداء من أقصاها في الحلق إلى الشفتين ثم يذكرون الأصوات الأنفية، وهذا الترتيب هو الذي نجده عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، وعند سيبويه، والذي سار عليه المؤلفون العرب من بعده». [1]

ويشير عبد الرحمن أيوب إلى أنه: « من الممكن أن نلخص مميزات الدراسات اللغوية الهندية في أمور هي :

1) العناية بدراسة الأصوات ومخارجها

2) عدم الاهتمام بالنظريات والتقسيمات العقلية .

3) الاعتماد على أشكال الألفاظ في تقسيمها إلى أنواع.

وبالنظر إلى كتاب سيبويه – أول كتاب في العربية – نجد أنه على العكس من الكتب النحوية المتأخرة ، قد تميز بهذه المميزات الثلاث نفسها . ومن أجل هذا نفسر الاختلاف بين كتاب سيبويه والكتب المتأخرة . بأن سيبويه قد تأثر في تبويب كتابه بالطريقة الهندية في التأليف ، أما المتأخرون فقد تأثروا بالمنطق الإغريقي. » [2]

لكن الملاحظ في هذه القضية هو اختلاف العلماء في درجة الأثر الهندي في الجانب الصوتي من الدرس العربي، لكن ما قد يبدو متفق حوله من قبل المنادين بنظرية الأثر الهندي في الدرس الصوتي والمعجمي العربيين، هو أنّ الأثر كان في الجانب المنهجي من هذه العلوم اللغوية.

بالمقابل أ جد من نفى هذا الأثر جملة وتفصيلا، و وجود ذلك يبقى مجرد احتمال حيث يذهب أحمد مختار عمر في هذا الاتجاه في قوله: « ليس هناك احتمال لوجود تأثير هندي على فن المعاجم العربية، بل العكس هو القائم..». [3]

---

[1]- محمود السعران، **علم اللغة**، ص: 90.

[2]- عبد الرحمن أيوب ، **محاضرات في علم اللغة** ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، 1967-1968.، ص:08.

[3]- أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، ص: 343.

لكنّ الملفت للانتباه ما ذهب إليه فتح الله مجتبايي في ردّه التشابه الموجود في الدرس اللغوي العربي والهندي إلى إطلاع العرب على ثقافة الهند وقواعدهم اللغوية في قوله: « ففي العصور المتأخرة، انتبه كثير من الباحثين في كتاب العين وشكل فصوله وأبوابه، إلى تشابه ترتيب الحروف في هذا الكتاب وترتيب الأصوات في كتب النحو السنسكريتي، وقد أشاروا في أقوالهم إلى هذا التشابه، لكن بعض الباحثين قد تجاوز هذا المقدار، وعزى هذا الأمر إلى العلاقات مع الهند وإطلاع العلماء المسلمين بالقواعد اللغوية الهندية».[1] بينما هناك من يرى أنّ فرضية الأثر الهندي في الدرس اللغوي العربي إدعاء لا يوجد ما يثبته حتى الآن.[2]

وخلاصة القول إنّ الآراء القائلة بتأثر الدرس اللغوي العربي في المستويين المعجمي والصوتي، يكادون يجمعون على حصر هذا الأثر في المستوى المنهجي لهذين المستويين من اللغة، وبدون شك- وانطلاقا من الآراء السابقة- كان لهذا الأثر الهندي عظيم الشأن في رسم معالم الدرس اللغوي العربي إلى درجة ما، في المراحل الأول من نشأته. واستفادت اللغة العربية كذلك بتواصلها مع الهنود باقتراضها لبعض الألفاظ من اللغة الهندية التي لم يكن للعرب لهم بها عهد. وهكذا أفاد الأدب العربي من الهند ألفاظا هندية عربت لاسيما تلك التي لها علاقة بالجانب التجاري حيث نقل الهنود بعض السلع التي تنعدم في البيئة العربية مع مسمياتها، «وقد حكى السيوطي ألفاظا هندية عربت، ووردت في القرآن الكريم، مثل: زنجبيل وكافور- ومما ورد في اللغة من الألفاظ الهندية الآبنوس والببغاء والخيزران والفلفل والأهليلج وغير ذلك من أسماء النباتات والحيوانات الهندية».[3] كما أخذ العرب بعض الاصطلاحات الرياضية من الهنود، كلفظة "الجيب" في حساب

---

[1]- فتح الله مجتبايي، **النحو الهندي والنحو العربي**، ص: 48.

[2]- ينظر، سمير شريف استيتيه، **اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج**، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2005، ص: 22.

[3]- أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ج1: 246.

المثلثات. إضافة إلى مساهمة الهنود في الأدب والبلاغة، حيث كان من أتى بغداد من أطباء الهند وغيرهم يحملون معهم كتبا وصحفا في مواضيع شتى منها الأدب.[1]

وتجلى أثر الهنود في اللغة العربية كذلك ببروز طائفة من الموالي الذين جُلبوا من الهند، ومع مرور الزمن آخذ « ينبغ منهم ومن أولادهم الشعراء وعلماء اللغة والمحدّثون».[2]واشتهر من اللغويين الهنود ابن الأعرابي وكان أبوه زياد عبدا سنديا، وصار هو عالما من أعلام اللغة والأدب العربي، وتتلمذ على يده كثيرون كثعلب وابن السكيتّ.[3]

وبفضل تواصل العرب مع الهنود بواسطة آليات متعددة توسعت جغرافية اللغة العربية، لتشمل أجزاء كبيرة من إقليم الهند خلال المراحل الأولى للفتوحات الإسلامية، وأصبحت لغة العبادة عند المسلمين منذ أن وصل إليها الفاتحون العرب.

---

[1]- **المرجع السابق** ، ص: 244-247.

[2]- **المرجع نفسه** ، ص: 231.

[3]- ينظر، **المرجع نفسه**، ص: 232.

# خـــــاتـــمـــة

انطلقت في هذا البحث من إشكالية تداخل التواصل الحضاري بالتطور الذي عرفه الدرس اللغوي العربي خلال الفترة الممتدة من بداية العصر العباسي الأول ونهاية العصر العباسي الثاني ، وذلك بالوقوف عند علاقة تواصل المستخدمين للعربية بالعناصر الأخرى المتباينة اللغات والثقافات، وما نتج عن هذه العلاقة من جوانب إيجابية على اللغة العربية، والدرس اللغوي العربي بشكل عام. وخلال عملية البحث في هذا الجدلية وقفت عند جملة من النتائج والملاحظات ألخّصها في النقاط الآتية:

❖ إنّ الملاحظ وبشكل واضح أثناء عملية البحث في هذا الموضوع تعدّد مسميات واصطلاحات الجغرافية التي شغلتها اللغة العربية في الفترة المحددة في البحث فاصطلح عليها بالحضارة العربية، والحضارة العربية الإسلامية، والحضارة العباسية ، والحضارة الإسلامية ؛ العامل الذي يصّعب التعامل والبحث مع معطيات هذه المرحلة.

❖ ولاحظت كذلك أنّ موضوع علاقة اللغة العربية باللغات والثقافة الأخرى عُولِج إلى درجة ما. انطلاقا من خلفيات مسبقة، ويفسر ذلك الآراء الموحّدة لأصحاب اتجاه أصالة الدرس اللغوي العربي، والشيء نفسه بالنسبة لأ نصار الاتجاه القائل بالأثر الأجنبي في نشأة وتطور الدرس اللغوي العربي من عرب ومستشرقين. دون وجود دلائل وبراهين تثبت صحة هذه الآراء.

❖ ربما كان تحديد الحيّز الجغرافي، والزماني بغلق الفترة التاريخية في عملية الاستشهاد التي صاحبت التقعيد للدرس اللغوي العربي، استبعادا لظواهر لغوية جاءت بعد فترة الغلق التاريخي لزمن الاستشهاد. وربما أغفل هذا الفعل جانب مهم مرتبط باللغة والمتمثل في خاصية التطور من حيث أسبابها ونتائجها.

❖ من خلال هذا البحث المتواضع في جدلية تأثر الدرس اللغوي العربي بنظيره الأجنبي بحكم أسبقية هذا الأخير في بعض المستويات اللغوية وقفنا عند أشكال معرفي في تناول هذه المعضلة؛ وتجلى ذلك في غموض تناول هذا الإشكال من حيث غياب التميّز بين وضع القواعد اللغوية في جميع مستوياتها على اعتبار أنها تمثل نظام يضبط التواصل اللغوي بين المنتمين لحقل لغوي ما، وبين

اكتشاف وجود هذه القواعد ومنهجية استنباطها وتدوينها وفق منهجية محددة سلفا، تضمن سلامة وحسن استعمال اللغة، بناء على قواعد كانت موجودة ومستعملة، فالدرس اللغوي العربي الذي نشأ واكتمل خلال ا لعصرين الأموي والعباسي لم يأت بقواعد لغوية جديدة، وإنّما اكتشف وجودها ودونها.

ولتوضيح هذه المسألة لا بأس أن نستحضر ظاهرة الجاذبية ودور "نيوتن" في اكتشاف وجودها وليس اكتشافها، فوجود هذه الظاهرة مقترن بضبط حركة استمرار الظواهر الكونية، ودور هذا العالم اقتصر على اكتشاف ما هو موجود، وليس هو من أوجد هذه الظاهرة فشتان بين الأمرين.و انطلاقا من ذلك، يفترض أنّ علماء اللغة العربية استفادوا من خبرات ممّن سبقوهم في هذا المجال في نشأة واكتمال الدرس اللغوي العربي، كما كانت الاستفادة متبادلة بين الفرس، واليونان والهنود كذلك.

❖ انعكس التواصل الحضاري بشكل إيجابي على اللغة العربية من جوانب عدّة أهمها:

– كان لانفتاح العنصر العربي على الأعجمي، وخروجه عن شبه الجزيرة العربية، بل وطغيان العنصر الأجنبي في العصر العباسي السبب المباشر في تفشي ظاهر اللحن في اللغة، الدافع الأول الذي عجّل بوضع القواعد اللغوية.

– ساهم التواصل الحضاري بين العرب والأجانب في هذه الفترة (العصرين العباسي الأول والثاني) في توسع الحقل الجغرافي للغة العربية. و توسع بذلك مجال البحث والاهتمام بهذه اللغة.

– وعمل التواصل بين العرب والشعوب الأخرى على تطوير الجانب المعجمي من اللغة العربية، وذلك بحداثة بعض الحاجيات في الوسط العربي التي لم تكن معهودة في البيئة العربية التي غلب عليها نمط البداوة في مرحلة ما قبل العصر العباسي، وانتقلت هذه المستجدات المادية والمعنوية بألفاظها إلى الوسط العربي، وربما ساهم ذلك في سرعة انتشارها ورواجها إلى درجة اعتبرت من اللغة العربية.

– كما انعكس التواصل الحضاري العربي الأجنبي على اللغة العربية بشكل إيجابي انطلاقا من أنّ معظم من قعّدوا لهذه اللغة من أصول عجمية أو عاشوا في بيئات غير عربية وأتقنوا اللغة العربية إلى جانب لغتهم الأم.

– من أبرز الناتج الهامة الناتجة عن تواصل العرب مع الفرس نشاط الكتابة بالخط العربي في العصر العباسي، مما كان له بالغ الأثر في تطوّر الدرس اللغوي العربي كون الكتابة فعلّت التواصل بين أهم المدارس اللغوية، وأداة لتدوين الإنتاج اللغوي.

❖ ونتج كذلك عن التواصل الحضاري العربي؛ أي بين مختلف الأقاليم العربية ما نتج عن تواصل العرب مع الأجانب من جوانب إيجابية على اللغة العربية في الجوانب التالية:

– انعكس التواصل بين المشرق والمغرب الإسلاميين في العصر العباسي بشكل إيجابي على اللغة العربية من حيث اتساع نطاق استعمالها، ومجال البحث فيها، ومجال تعليمها وتعلّمها.

– ونتج عن تواصل المدارس النحوية تنافس فيما بينها، العامل الذي فعّل وتيرة الإبداع في هذا المجال، ولنا أن نتصور علاقة هذه المدارس في غياب هذا التواصل. فتواصل علماء البصرة والكوفة (الإطلاع على إنتاجهم) غذى وتيرة التنافس بينهما ممّا طوّر الدرس اللغوي العربي كمًا وكيفًا. ونتيجة لتواصل علماء المدرستين ظهرت مدرسة وحدّت الجهود اللغوية لعلماء البصرة والكوفة في حقل الدراسات اللغوية في مدرسة واحدة (مدرسة بغداد).

– كان لرحلات علماء اللغة العربية وتنقلاتهم بين المدن والأمصار بالغ الأثر في تطوير الدرس اللغوي كذلك.

– واعتبر ارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي الحافز الأساس الذي جعل العرب وغير العرب يقبلون على تعليمها وتعلّمها والبحث فيها، وبذلك كان لازما على الفقيه أن يكون لغويا.

# فـــــــهـــرس

# المصادر والمراجع

## فهرس المصادر والمراجع


- القران الكريم .
- إبراهيم أنيس ، **اللغة بين القومية والعالمية** ، دط ، دار المعارف ، القاهرة.
- أحمد أمين، **موسوعة الحضارة الإسلامية، ضحى الإسلام**، ط1 ، دار نوبليس، بيروت، 2006.
- أحمد مختار عمر :
- **ا لبحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر**،ط6 ،عالم الكتاب ، القاهرة 1988.
- **البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب** ، دار الثقافة ، بيروت ، 1972.
- الأزهري أبي منصور محمد بن أحمد ، **تهذيب اللغة**، تح: علي حسن هلالي، دط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.
- استيتيه سمير شريف ، **اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج**، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2005.
- ابن الأنباري ، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء** ،تح:ابراهيم السامرائي،ط3، مكتبة المنار،الأردن، 1985.
- بروكلمان كارل ، **تاريخ الأدب العربي** ، ت: عبد الحليم النجار، ط4، دار المعارف، القاهرة، دس، ج2.
- البستاني بطرس :
- **أدباء العرب في الأعصر العباسية**، دار مارون عبّود، 1979.
- **موسوعة الحضارة العربية: العصر العباسي**، ط1، المركز الثقافي الحديث للطباعة والنشر، بيروت، 2005، م4.
- البغدادي الخطيب ، **تاريخ بغداد** ،دط، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1.
- بومزبر الطاهر ، **التواصل اللساني والشعرية** ، ط1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2007.

- البهنساوي حسام :
- **أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث**، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1994.
- **التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث**، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004.
- بيطار أمينة ، **تاريخ العصر العباسي**،دط، جامعة دمشق .
- بيطام مصطفى ،**مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول**، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، الجزائر،دس.
- تمام حسان، **اللغة بين المعيارية والوصفية**، ط1 ، عالم الكتب، القاهرة، 2001.
- التواتي بن التواتي، **المدارس النحوية** ، دط، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر.
- تيجل مونستر، **الترجمة وأثرها في بناء الحضارات** ،دط،دار الكتاب الحديثة، القاهرة، 2007.
- الجاحظ ،**البيان والتبيين** ، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دس، ج1.
- جاد الرب محمود ، **علم اللغة نشأته وتطوره** ،ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985.
- جان بيرو ، **اللسانيات** ، تر : الحواس مسعودي ، مفتاح بن عروس ، دط ، دار الأفاق ، الجزائر.
- جبر حسن، **أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها** ،دار الكتاب الحديث،الكويت، 1999.
- جرجي زيدان، **اللغة العربية كائن حي**، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988.
- الجرجاني أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي ، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، صححه وشرحه احمد عارف الزين، مطبعة العرفان ،صيدا، 1331ه.
- ابن جنّي، **الخصائص**، ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1.
- الجواليقي أبي منصور ، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف العجم**، تح: ف. عبد الرحيم، ط1 ، دار القلم، دمشق، 1990 .
- الحاج حسين حسين ،**حضارة العرب في العصر العباسي**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1994.

- جوديث جرين، **التفكير واللغة**،تر: عبد الرحيم جبر ،دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992.
- حسين إبراهيم الحسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**،دار الجليل،بيروت.
- حربي خالد ، **نماذج لعلوم الحضارة الإسلامية وأثرها في الآخر**، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006.
- حساني أحمد ، **دراسات في اللسانيات التطبيقية– حقل تعليمية اللغات**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2000.
- الحسناوي رحيم جبر أحمد ، **المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 1999.
- حسين محمد سليمان، **التراث العربي الإسلامي** ، دط، ديوان الجامعية، الجزائر.
- حلمي خليل، **دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام**، دط ، مطبعة مصنع إسكندرية للكراريس، 1978
- خالدي هشام ، **صناعة المصطلح الصوتي في اللسان العربي الحديث**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012.
- الخربوطلي علي حسن ، **الحضارة العربية الإسلامية** ،ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994.
- دراج أحمد عبد العزيز ،**الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية** ،دط، مكتبة الرشد الرياض ، 2003.
- ابن خلدون عبد الرحمن ،**المقدمة** ، تح: خليل شحاذة، دط،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
- الديداوي محمد ، **الترجمة والتواصل: دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم**، ط1 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.
- ديزيره سقال، **نشأة المعاجم العربية وتطورها**، ط1 ، دار الصداقة العربية، بيروت، 1995.

- دي سوسور فرديناند ،**علم اللغة العام**، تر،يوئيل يوسف عزيز ،ط1،دار افاق عربية، بغداد،1985.
- الراجحي عبده، **النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979.
- رايص نور الدين ، **نظرية التواصل واللسانية الحديثة** ،ط1 ، مطبعة سايس ، فاس ، 2007.
- رجب عبد الجواد إبراهيم، **الاقتراض المعجمي من الفارسية إلى العربية**، ط1، دار القاهرة، 2002.
- رضا عبد الحليم عبد العال، **حضارات متداخلة**، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2008.
- رمضان عبد التواب:
- **بحوث ومقالات في اللغة**، ط1 ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988.
- **لحن العامة والتطور اللغوي**،ط1 ،مكتبة زهراء الشرف،القاهرة ،2000.
- روبرت إي الأصغر، **مقدمة في التطور اللغوي**، ت مصطفى محمد قاسم، ط1، دار الفكر، عمان، 2010.
- ريحاني الأزهري، **النحو العربي والمنطق الأرسطي**، دط، منشورات إتحاد الكتّاب الجزائريين، 2005.
- الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دط، دار المعارف، القاهرة، 1973.
- أبو زهرة محمد ، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996.
- الزيّات أحمد حسين ، **تاريخ الأدب العربي** ، دط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
- الزيدي كاصد ، **دراسات نقدية في اللغة والنحو** ، ط1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان،2003.
- زوين عليّ، **بين التراث و علم اللغة الحديث**، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

- شاكر محمود ، **موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم**، ط1، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، 2008، ج1.
- ستيفن أولمان ، **دور الكلمة في اللغة** ، تر : كمال محمد بشر ، القاهرة .
- السعران محمود ، **علم اللغة**، دط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- بن سلامة الربعى ، **الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر والتأثر**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.
- سلامة كار مريم ، **الترجمة في العصر العباسي**، تر: نجيب غزاوي، دط، وزارة الثقافة، دمشق، 1997.
- سليمان قدارة فخر صالح ، **مسائل خلافية بين الخليل و سيبويه**، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن، 1990.
- السمرائي إبراهيم ، **المدارس النحوية، أسطورة و واقع**، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1987.
- السمرائي إبراهيم عبود،**المفيد في المدارس النحوية**،ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع،عمان، 2007.
- سهيل طقوش محمد، **تاريخ الدولة العباسية**، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1996.
- السيد صالح سعد الدين ،**التوصل الحضاري والحفاظ على الذاتية**، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994.
- السيد محمود ، **اللغة العربية واقعا وارتقاء**، دط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010.
- سيد مقبول أحمد، **العلاقات العربية الهندية** ،تعريب نقولا زيادة، الدار المتحدة للنشر، بيروت.

- السيرافي، **أخبار النحويين البصريين**، تحقيق: طه محمد الزين، محمد عبد المنعم خفاجي، ط1،شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ،مصر ، 1955.
- سيلفان أورو وأخرون ، **فلسفة اللغة**،تر،بسام بركة،ط1،المنظمة العربية للترجمة ،بيروت ،2012 ص :550.
- شوقي ضيف:
- **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول**، ط16 ، دار المعارف، القاهرة.
- **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**، ط2 ، دار المعارف، القاهرة.
- **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، ط4 ، دار المعارف، القاهرة .
- **الفن ومذاهبه في الشعر العربي** ، ط11 ،دار المعارف ، القاهرة.
- **في التراث و الشعر و اللغة** ، دط، دار المعارف، القاهرة،1987.
- صادق قنيبي حامد ، محمد عريف الحرباوي، **المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية**، ط1 ، دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع، عمان، 2005.
- صالح الشذر طيبة ، **ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ**، دط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1998.
- الضّامن حاتم صالح ، **علم اللغة** ، مطبعة وزارة التعليم العالي ، الموصل.
- الطنطاوي محمد ، **نشأ النحو و تاريخ أشهر النحاة** ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة.
- طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبيبة، **الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ج1.
- الطويل توفيق ، **في تراثنا العربي الإسلامي**، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985.
- ظاظا حسن :
- **كلام العرب من قضايا اللغة العربية** ، د ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1976

- **اللسان والإنسان،مدخل إلى معرفة علم اللغة**،ط2،دار القلم،دمشق، 1990 .
- عادل عبد العزيز محمد،**الإسلام والتطور الحضاري**، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.
- العابدي أحمد مختار ، **في التاريخ العباسي والأندلسي** ، دط، دار النهضة العربية، بيروت.
- عبد الرحمن أيوب ، **محاضرات في علم اللغة** ، كلية دار العلوم،جامعة القاهرة، 1967-1968.
- عطوان حسين ، **مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1982.
- علامة طلال ، **تطور النحو العربي في مدرستي البصرة و الكوفة**، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت 1993.
- عمايرة إسماعيل احمد ، **المستشرقون والمناهج اللغوية**، ط2، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، 2002.
- عيد محمد ، **المستوى اللغوي للفصحى واللهجات** ، دط ، عالم الكتب ، القاهرة .
- غازي مختار طليمات، **في علم اللغة**، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،دمشق، 2000.
- الغزالي عبد القادر ، **اللسانيات ونظرية التواصل: رومان ياكبسون نموذجا**، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 2003.
- ابن فارس أحمد :
- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**،تح ،احمد حسن بسج، ط1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت، 1997.
- **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دط، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، د.س، ج5.
- أبو الفضل عياض بن موسى ، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار** ، المكتبة العتيقة، المغرب.

- الفراهيدي أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، **كتاب العين**، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي ،ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4.
- فريحة أنيس ، **نظريات في اللغة**، ط2، دار الكتب اللساني، بيروت، 1981.
- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف ، **دراسات في تاريخ الدولة العباسية** ،دط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.
- الفيروز أبادي
- **البلغة في تاريخ أئمة اللغة**، مراجعة: بركات يوسف هبّود، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2001.
- **القاموس المحيط**، ط8 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005.
- **القاموس المحيط**، ط3 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980، ج2.
- قدور أحمد محمد ، **مبادئ اللسانيات** ، دط، دار الفكر، بيروت، 1996.
- قصّي الحسين، **من معالم الحضارة العربية الإسلامية**، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993.
- قطامي نايفة ، **تطور اللغة والتفكير لدى الطفل** ، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، 2008.
- كيس فرستيغ، **اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها**، تر: محمد الشرقاوي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2003.
- ليوتز جون ، **اللغة وعلم اللغة** ، تر: مصطفى زكي حسن التوني، ط1 ، دار النهضة العربية.
- أبو المكارم علي :
- **أصول التفكير النحوي** ، ط1 ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.
- **المدخل إلى دراسة النحو العربي**.ط1 ،دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2006.

- محمد حسن عبد العزيز :
- **التعريب في القديم والحديث** ، دط ،دار الفكر العربي ، القاهرة،1990.
- **مصادر البحث اللغوي** ، ط1 ، مكتبة الأداب ، القاهرة ، 2009.
- محمد سليمان سناء ، **سيكولوجية الاتصال الإنساني ومهاراته**، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2014.
- محمد الشاطر أحمد محمد، **الموجز في نشأة النحو**، د.ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1983.
- محمود عرف محمود، **الدول الإسلامية المستقلة في الشرق وعلاقتها بالخلافة العباسية**، دط، دار الثقافة العربية.
- محمد علي عصام الدين، **بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة**، دط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986.
- محي الدين صابر، **التغيّر الحضاري وتنمية المجتمع**، ط1، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986.
- مجتبياي فتح الله ، **النحو الهندي و النحو العربي**، تر: فؤاد طائي، دار الكتب العلمية، بيروت،2013.
- مرتاض عبد الجليل :
- **بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب**، ط1، مؤسسة الإشراق، بيروت، 1988.
- **العربية بين الطبع والتطبيع (دراسات لغوية تحليلية لتراكيب عربية)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- **اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي**، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.
- **الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية**، ط2، دار هومه، الجزائر، 2009.

- **في مناهج البحث اللغوي** ، دط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003.
- المسدّي عبد السلام ، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، ط2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1986.
- مشتاق عباس معن، **المعجم المفصل في فقه اللغة**،ط1 ،دار الكتب العلمية،بيروت، 2001.
- المعتوق أحمد محمد،**الحصيلة اللغوية:أهميتها مصادرها وسائل تنميتها**،دط،عالم المعرفة،الكويت 1996.
- المغربي عبد القادر بن مصطفى ، **الاشتقاق والتعريب** ، دط، مطبعة الهلال، مصر، 1908.
- المقديسي أنيس، **أمراء الشعر العربي في العصر العباسي**، ط17، دار العلم للملايين، بيروت، 1989.
- مكرم عبد العال سالم ، **القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية**، ط2، مؤسسة علي جراح الصياح، الكويت، 1978.
- المهيري عبد القادر ، **نظرات في التراث اللغوي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993.
- موافي عثمان ، **التيارات الأجنبية في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ط2، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، 1995.
- مؤنس حسين ، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1 ، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987.
- النجار فخري خليل،**تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2009.
- نصيف الجنابي أحمد،**الدراسات اللغوية والنحوية في مصر** ، دط، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1977.
- وافي علي عبد الواحد :
- **علم اللغة**، ط1 ، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
- **اللغة والمجتمع**، ط4، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع،جدة، 1983.

- **نشأة اللغة عند الإنسان والطفل** ، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2003.
- ولد أباه محمد المختار ، **تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.
- نهر هادي ، **علم اللغة الاجتماعي عند العرب** ، ط1، الجامعة المستنصرية .
- ابن هشام ، **المغنى اللبيب عن كتاب الأعاريب** ، المكتبة العصرية ، بيروت ،1995

❖ **المجـــــــــــــلات والدوريات:**

- التوني زكى مصطفى ، **علل التغيير اللغوي** ،حوليات كليات الأداب جامعة الكويت ،العدد الثالث عشر 1992-1993 ، ص :55.
- الصاعدي عبد الرزاق بن فراج ، **موت الألفاظ في العربية**،مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،1997،العدد:107 ص:351.
- العطية خليل إبراهيم، **جهود الكوفيين في علم الأصوات** ، مجلة كلية الآداب،جامعة البصرة، العدد 22.
- طارق بومود ، **أثر أصول الفقه في توجيه أصول النحو** ، مجلة مخبر الممارسات اللغوية ، جامعة تيزي وزو ،العدد الثالث والعشرون ، 2014 .
- رشيد الزوادي ، **التبادل الإسلامي بين المشرق والمغرب الإسلامي** ، مجلة الحضارة الإسلامية ، المعهد العالي للحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، العدد الأول ،1993 .
- كاصد ياسر الزيدي ، **الوزن الحضاري للعربية والتحديات المستقبلية** ، مجلة التعريب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،العدد السابع ، 1999.
- كيس فرشتيج، **أصل الاصطلاح النحوي العربي** ، تر عبد المنعم السيد جدامي ، منتصر أمين عبد الرحيم ،مجلة مصطلحيات، جامعة فاس ، المغرب ، عدد مزدوج:4-5 ،2013.

# فـــهـــرس

# الآيـــــات

# فهرس الآيات

| السورة | الآية | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|---|
| البقرة | ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ...﴾ | 213 | 70 |
| التوبة | ﴿... أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ...﴾ | 03 | 115 |
| الحجر | ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ | 09 | 97 |
| الإسراء | ﴿... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ | 34 | 70 |
| الحجرات | ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ | 10 | 70 |
| الحجرات | ﴿... وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ | 13 | 70 |
| الممتحنة | ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ | 08 | 70 |
| الحاقة | ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ | 37 | 250 |
| القيامة | ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ | 07 | 196 |

# فهرس

# الموضوعات

## فهرس الموضوعات

**مقدمة** ..... أ–د

**مدخل:**

**1–** اللغة والمجتمع ..... 1

**1–1.** تطور اللغة بتطور المجتمع ..... 3

**1–2.** التطور اللغوي استجابة لحاجات المجتمع ..... 7

**1–3.** علاقة المستوى الفكري بالمستوى اللغوي في المجتمع ..... 9

**1–4.** موت اللغات من منظور اجتماعي للتطور اللغوي ..... 11

**2–** التطور اللغوي ..... 13

**2–1.** التطور اللغوي ..... 15

**2–2.** حتمية التطور اللغوي ..... 17

**2–3.** عوامل التطور اللغوي ..... 19

**3–** عوامل نمو وتطور اللغة العربية ..... 22

**3–1.** العوامل الخارجية لنمو وتطور اللغة العربية ..... 22

**3–2.** العوامل الداخلية المساعدة على نمو وتطور اللغة العربية ..... 27

**الباب الأول: التواصل الحضاري والدرس اللغوي العربي خلال العصرين العباسي الأول والثاني** ..... **30**

**الفصل الأول:** التواصل الحضاري في العصرين العباسي الأول والثاني ..... 31

**المبحث الأول:** التواصل مفهومه وأنواعه ..... 32

**1**. المفهوم اللغوي للتواصل ..... 32
**2**. التواصل من منظور لساني ..... 34
**3**. المفهوم الاصطلاحي للتواصل ..... 36
**4**. نظريات التواصل ..... 38
**5**. الوظيفة التواصلية للغة ..... 42
**6**. مكونات العملية التواصلية ..... 44
**المبحث الثاني**: التواصل الحضاري ..... 48
**1**. التواصل الحضاري أمر طبيعي ..... 48
**2**. التواصل الحضاري قديما ..... 50
**3**. ضرورة التواصل بين الحضارات ..... 52
**4**. كيفية حدوث التواصل الحضاري ..... 54
**5**. نتائج التواصل الحضاري ..... 57
**المبحث الثالث**: التواصل الحضاري في العصرين العباسي الأول والثاني ..... 60
**1**. لمحة تاريخية عن العصر العباسي الأول ..... 61
**2**. لمحة تاريخية عن العصر العباسي الثاني ..... 62
**3**. الإطار الجغرافي للخلافة الإسلامية في العصرين العباسي الأول والثاني ..... 63
**4**. التفاعل الحضاري العربي الأجنبي في العصرين العباسي الأول والثاني ..... 66
**المبحث الرابع**: آليات ونتائج التواصل الحضاري في العصرين العباسي الأول والثاني ..... 69
**1**. دور الإسلام في تفعيل ظاهرة التواصل الحضاري ..... 69
**2**. آليات التواصل في الحضارة الإسلامية خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... 72
**3**. نتائج تواصل العرب مع الفرس خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... 83

**4**. نتائج التواصل الحضاري العربي اليوناني خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... 84

**الفصل الثاني**: واقع الدرس اللغوي العربي خلال العصرين العباسي الأول و الثاني ..... 91

– جدلية تداخل المستويات اللغوية منهجيا ومعرفيا في التراث اللغوي العربي ..... 93

**المبحث الأول**: نشأة وتطور الدرس اللغوي العربي ..... 95

**1**. عوامل نشأة و تطور الدرس اللغوي العربي ..... 95

**2**. مصادر الدرس اللغوي العربي ..... 102

**3**. عملية جمع اللغة العربية و مراحلها ..... 108

**المبحث الثاني** : الدرس النحوي العربي خلال العصريين العباسي الأول والثاني ..... 111

**1**. نشأة النحو العربي ..... 111

**2**. الإطار المكاني لنشأة النحو العربي ..... 118

**3**. مراحل تطور النحو العربي ..... 119

**4**. واقع المدارس النحوية خلال العصرين العباسي الأول و الثاني ..... 124

**5**. أهم مظاهر التطور النحوي خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... 132

**المبحث الثالث** : الدرس المعجمي و الصوتي و الصرفي خلال العصرين العباسي الأول والثاني...134

**1**. نشأة المعاجم العربية و تطورها ..... 134

**2**. المدارس المعجمية والدرس المعجمي خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... 135

**3**. الدرس الصوتي والصرفي خلال العصرين العباس الأول والثاني ..... 140

**المبحث الرابع** : مناهج البحث الملغوي خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... 143

**1**. المنهج المعياري في التراث اللغوي العربي ..... 145

**2**. المنهج الوصفي و التراث اللغوي العربي ..... 147

**الباب الثاني: التواصل الحضاري وأثره في تطوير اللغة العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... 151**

**الفصل الأول:** اثر التواصل الحضاري العربي العربي في تطوير اللغة العربية خلال العصرين العباسي الأول و الثاني ..... 152

**المبحث الأول:** آليات تفعيل التواصل الحضاري العربي خلال العصرين العباسي الأول والثاني...156

**1**. دور التجارة الداخلية في تفعيل التواصل الحضاري في العصر العباسي .....156

**2**. دور الفتوحات الإسلامية في تفعيل التواصل الحضاري العربي ..... 159

**3**. دور المذاهب الفقهية والفرق الكلامية في تفعيل التواصل الحضاري العربي ..... 161

**4**. التواصل الحضاري و اتساع حقل استعمال اللغة العربية ..... 164

**المبحث الثاني:** نشأة مدرسة بغداد نتيجة لتواصل علماء مدرستي البصرة والكوفة..... 166

**1**. بغداد مركز لوحدة العلوم والمعارف العربية الإسلامية ..... 166

**2**. اكتمال الدرس اللغوي العربي في مدرسة بغداد ..... 168

**3**. التواصل بين مدرستي البصرة والكوفة وأثر ذلك في تفعيل الدرس اللغوي العربي ..... 171

**4**. التنافس بين المدرستين الكوفية و البصرية طوّر الدرس اللغوي العربي ..... 173

**5**. كتاب سيبويه همزة وصل بين النزعتين البصرية والكوفية ..... 175

**المبحث الثالث:** التواصل بين الأقاليم العربية وأثره في تطوير الدرس اللغوي العربي خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... 177

**1**. رحلات العلماء في الأقاليم العربية ودورها في تطوير اللغة العربية ..... 178

2. الرحلات العلمية بين المشرق و المغرب الإسلاميين و دورها في تطور الدرس اللغوي خلال العصرين العباسي الأول و الثاني ..... 181

3. العلاقات اللغوية بين علماء مصر وعلماء المدارس اللغوية بالعراق خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... 184

**المبحث الرابع**: المناظرات اللغوية ودورها في تطوير الدرس اللغوي خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... 189

1. المناظرة لغة ..... 189

2. المناظرة اصطلاحا ..... 190

3. عناصر المناظرة ..... 191

4. أهم المناظرات اللغوية في العصرين العباسي الأول والثاني ..... 196

**الفصل الثاني**: التواصل الحضاري العربي الأجنبي وأثره في تطوير اللغة العربية اللغة العربية في ضوء التواصل الحضاري ..... 200

**المبحث الأول**: دور الترجمة والتعريب في تفعيل النشاط العلمي خلال العصرين العباسي الأول والثاني..... ..... 206

1. عوامل نمو وازدهار حركة الترجمة في العصرين العباسي الأول والثاني ..... 209

2. نشاط حركة الترجمة وأثر ذلك في تنمية اللغة العربية ..... 211

3. طرق الترجمة ومراحلها خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... 213

**المبحث الثاني**: التواصل الحضاري العربي اليوناني وأثره في تطوير الدرس اللغوي العربي خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... 216

1. انتقال الثقافة اليونانية إلى الحضارة العربية بفعل التواصل الحضاري ..... 218

**2**.قدم الدرس اللغوي اليوناني ..... ..... 220

**3**.الاقتراض المعجمي من اليونانية إلى العربية ودوره في تنمية اللغة العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... ..... 223

**4**. فرضية الأثر اليوناني في نشأة النحو العربي ..... 226

**5**. نفي فرضية الأثر اليوناني في نشأة النحو العربي ..... 230

**المبحث الثالث**: التواصل الحضاري العربي الفارسي وأثره في تطوير العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... ..... 233

**1**. انتقال الثقافة الفارسية إلى العربية بفعل التواصل خلال العصر العباسي ..... 233

**2**. تطور فن الكتابة العربية بفعل التواصل مع الفرس خلال العصرين العباسي الأول والثاني .. 235

**3**. التواصل الحضاري العربي الفارسي وأثره في تطوير اللغة العربية ..... 238

**المبحث الرابع**: التواصل الحضاري العربي الهندي وأثره في تطوير اللغة العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني ..... ..... 242

**1**. التواصل الحضاري العربي الهندي وأثره في تطوير المجال المعرفي في الحضارة العربية الإسلامية..242

**2**.عراقة الدرس اللغوي الهندي ..... ..... 244

**3**. التواصل الحضاري العربي الهندي والدرس اللغوي العربي في العصرين العباسي الأول والثاني..246

**خاتمة**..... ..... ..... 257

**فهرس المصادر والمراجع** ..... ..... 261

**فهرس الآيات** ..... ..... 273

**فهرس الموضوعات** ..... ..... 275

**ملخّص:**

توسعت العلاقات الاجتماعية في الحضارة العربية الإسلامية مع توسع الفتوحات الإسلامية في جميع الاتجاهات من جغرافية شبه الجزيرة العربية ،وازدادت توسعا وكثافة مع بداية العصر العباسي. وانعكس هذا التطور في العلاقات الاجتماعية على جميع المستويات المكونة لهذه الأمة وانطلاقا من ذلك درست في هذه الرسالة علاقة التواصل الحضاري بين الأقاليم العربية ، والتواصل الحضاري العربي الأجنبي باللغة العربية خلال العصرين العباسي الأول والثاني. بالوقوف عند أهم النتائج الايجابية الناتجة عن هذه العلاقة وأثرها في تطوير البحث اللغوي العربي بشكل خاص، واللغة العربية على وجه العموم .

**الكلمات المفتاحية** : التواصل . الحضارة . تطوير . اللغة . العربية . العلاقة.

***Abstract :***

Social relationships have been expanded in the Islamic Arabic Civilization with the Islamic Conquests' Expansions in all directions from Arabian Peninsula Geography and it increased in terms of expansion and population with the beginning of the Abbasid Age. This development was reflected in social relationships on all levels constituting that nation. Starting from this point, I have studied in this thesis the relationship of civilization communication between Arabic territories and Foreign Arabic Civilization Communication in the Arabic Language during the Abbasid Ages- the first and the second-by standing up on the most positive important consequences resulted from that relationship and its effect in developing the Arabic Linguistic Research in particular and the Arabic Language in general.

**Key words:** Communication – Civilization – Development - Arabic Language- Relationship

**Résumé:**

Les relations Sociales ont dévelopé dans la civilisation Arabe Islamique avec l'xpansion des conquêtes Islamiques dans toutes les directions à partir de la géographie du péninsule Arabe et elles augmentent au niveau d'expansion ainsi que de population avec le début d'age Arbbasside. Ce développement se réflecte dans les relations sociales à tous les niveaux qui constituent cette notion. A partir de ce point, j'ai étudié dans cette thèse la relation de communication civilizationnelle entre les téritoires Arabes et la communication civilizationnelle Arabe étrangére par la langue Arabe durant les premiers et deuxiéme des Ages basant sur les résultats les plus importants positifs de cette relation et son effet sur le développement de la recherche linguistique Arabe en particulier et la langue Arabe en général.

**Mots clés :** Communication – Civilisation – Développement – Langue Arabe – Relation.